



جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

محن علماء الأندلس في القرنين

8 . 9 هـ/ 14 . 15 م

The tribulations of Andalusian scholars
in the (9.8 th A.H 14 15th A.D)

مذكرة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة : إشراف الأستاذة :

فاطمة الزهراء حميش أ د سامية أبو عمران

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ د نور الدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر 02
أ د سامية أبو عمران	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة الجزائر 02
أد سيدي موسى مُحَّد الشريف	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة البليدة 02
د موسى هواري	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02
د شريف عبد القادر	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02
د بوعقادة عبد القادر	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة البليدة 02

السنة الجامعية : 1441 . 1442 هـ/ 2020 . 2021 م

Ministry of Higher Education and Scientific Research
(Abo Kasem Abdel Allah) University of Algiers 2
Faculty of Humanities and Social Sciences
Department of History

The tribulations of Andalusian Scholars in the 9.8 A.H / 14.15 A.D

Thesis submitted to the Department of Humanities and Social Sciences in candidacy for the degree of 'Doctorat' in the Medieval History

Prepared by :

Hammich Fatima Zohra

Supervised by :
Dr . Samia Abo Omran

Full name	Degree	Participation (board)	University
Dr. Nor dine Gardawi	Professor of Higher Education	Chairman	University of Algiers 2
Dr. Samia Abo Omran	Professor of Higher Education	Supervisor	University of Algiers 2
Dr. Sidi Mossa Mohamed Chrif	Professor of Higher Education	Member	University of Blida 2
Dr. Moussa Hawari	Lecturer Professor	Member	University of Algiers 2
Dr.Chrif Abdel Kader	Lecturer Professor	Member	University of Algiers 2
Dr. Bouaakada Abdel Kader	Lecturer Professor	Member	University of Blida 2

Academic year : 1441.1442 A.H 2020.2021 A.D

جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

محن علماء الأندلس في القرنين

8 . 9 هـ/ 14 . 15 م

مذكرة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة :

فاطمة الزهراء حميش

إشراف الأستاذة :

أ د سامية أبو عمران

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ د نور الدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر 02
أ د سامية أبو عمران	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة الجزائر 02
أد سيدي موسى مُحَّد الشريف	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة البليدة 2
د موسى هواري	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02
د شريف عبد القادر	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2
د بوعقادة عبد القادر	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة البليدة 02

السنة الجامعية : 1441 . 1442 هـ/ 2020 . 2021 م


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة الرموز و المختصرات

الرمز	الدلالة	الرمز	الدلالة
ج	جزء	تح	تحقيق
مج	مجلد	تر	ترجمة
ص	صفحة	تع	تعليق
ب . ط	بدون طبعة	تق	تقديم
ب . مكا	بدون مكان	ت	توفي
ب . ت	بدون تاريخ	ص ص	عدة صفحات
هـ	هجرية	ط	طبعة
م	ميلادية	هـ / م	التاريخ الهجري يقابله الميلادي

الإهداء

الإهداء

إلى والدي الكريمين " عائشة و امحمّد " . حفظهما الله . من كل شر و أدمهما لي ذخرا.

إلى روحِ جدتي الحبيبة "خديجة " أمي الثانية . رحمها الله . التي أبعدتني عنها دروب البحث الطويلة فرحلت ذات يوم دون وداع .

إلى من كانوا لي السند و الملاذ في هذه الحياة إخوتي الأحباء .

إلى كل من دعمني في مشواري الدراسي و لو بكلمة .

إلى كل العلماء الذين امتحنوا في سبيل الدفاع عن الحق و نصرته .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع .


الشكر

شكر و تقدير

أولا أشكر الله تعالى الذي وفقني لإنجاز و إتمام هذا العمل ،

كما أتقدم بخالص شكري و امتناني لأستاذتي الدكتورة سامية أبو عمران على كل التوجيهات والارشادات و النصائح التي أمدتني بها لإنجاز هذه المذكرة ،

و أوجه شكري أيضا لأستاذتي دلال لواتي التي وجهتني لدراسة هذا الموضوع و على الدعم و المساعدة التي تلقيتها منها .

المقدمة

المقـــــــــدمة :

بعد الانتهاء من عملية الفتح لشبه الجزيرة الإيبيرية " الأندلس " [1](Andaloucia) وضمها لحوزة الدولة الإسلامية ، جاءت مرحلة البناء ونشر العلم والمعرفة في أرجائها ، فقد كانت قبل الوجود الإسلامي تغرق في ظلام الجهل والتخلف وسيطرة الكنيسة على المجتمع والحياة بصفة عامة ، فتمكن المسلمون من إبداع حضارة إنسانية راقية على مدى ثمانية قرون من الزمن (92 . 711 هـ / 897 . 1492 م) مازالت آثارها ماثلة للعيان تأبى الأفول .

وبلغت الأندلس أوج تطورها الحضاري بشقيه المادي والفكري في عهد الدولة الأموية [2](138 . 422 هـ/ 755 . 1031م) ، فقد أنشأت الطرق والجسور والمساجد والقصور وانتشرت العمارة الإسلامية ذات التصاميم الهندسية المتقنة ، والزخارف البديعة ، وبنيت المدارس ودور العلم المختلفة ، والمكتبات الزاخرة بصنوف الكتب والمؤلفات في كل المدن حتى غدت مدينة قرطبة [3] (Cordoba) مركزا بارزا للعلم والمعرفة في أوروبا قاطبة .

[1] . الأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر طولها نحو شهر ونيف وعشرون مرحلة تنتشر فيها المياه الجارية و الشجر و الثمر و سعة الأحوال و هي مقابلة لبلاد المغرب " حيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضا و يتبينون زروعهم و بيادرهم "، تتصل الأندلس من جهة الشمال بجليقية و يحيط بها البحر المحيط من الجهة الغربية من حدود الجلالقة إلى كورة شنترين ثم إلى أشبونة ثم إلى جبل الغور ثم ما تبقى من المدن وصولا إلى جبل طارق المحاذي لمدينة سبتة المغربية ، ثم إلى مالقة ، ثم ألمرية ، ثم مرسية ، ثم طرطوشة ، و تتصل ببلاد الكفر مما يلي البحر الشرقي في ناحية أفرنجة ، ومما يلي المغرب بلاد علجسكس ، ثم إلى بلاد بسكونس ورومية الكبرى في وسطها، ثم ببلاد الجلالقة حتى تنتهي إلى البحر المحيط . أنظر ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج 1 ، ص 262 .

[2] . تأسست الدولة الأموية بالأندلس سنة 138 هـ / 755م على يد الأمير عبد الرحمن بن معاوية بعد سقوط دولة أجداده في دمشق على يد العباسيين ، ففر منها هاربا من بطشهم و لجأ إلى المغرب الأقصى ، ثم عبر البحر إلى الأندلس وتمكن من جمع الاتباع و محاربة المناوئين حتى استقر له الأمر و تمكن من بناء دولته .أنظر عبد المجيد النعنعي ، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د ت ، ص 133 و ما بعدها .

[3] . قاعدة الأندلس وعاصمة الخلافة الأموية ، تبعد عن ألمرية بمسيرة ثمانية أيام ، وعن إشبيلية ثمانون ميلا وعن مالقة مائة ميل ، وعن طليطلة بتسع مراحل . أنظر الشريف الإدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مطبعة بريل ، ليدن ، هولندا ، 1863 ، ج 1 ، ص580 .

واستمر هذا الازدهار الحضاري طوال فترة حكم المسلمين بالأندلس ، ولم تتأثر الحياة العلمية و الفكرية كثيرا بالضعف السياسي و الاضطرابـــات التي كانت تجتاح البلاد بين فترة وأخـرى و لعل خير دليل على هذا المكانة العلمية المرموقة التي وصلت إليها مملكة بني الأحمر (629 . 897 ه / 1232 . 1492 م) رغم الانحطاط السيـاسي والعسكري الذي شهدته ، كما أصبحت مدينة غرناطة (Granada)[1] مركزا جديدا للعلم والمعرفة بعد سقوط مدينة قرطبة في يد الإسبان[2].

ولم تكن غرناطة لتصل إلى هذه المرتبة لـولا جهود العلمـاء ومــا أنجزوه من كتب ومؤلفـات وبحوث في شتى المجالات العلمية ، دون أن ننسى التضحيات الجسيمة التي قدموها في سبيل طلب العلوم و تحصيلهـا من منابعهـا المختلفة ، ونشرها ، وصبرهم على الصعوبات والعراقيل التي اعترضت طريقهم ، و الشدائد والمحن العظيمة التي أصابت الكثير منهم دفاعا عن الحق ونصرته ، ومواجهة الباطل ومقارعته ، فتجرعوا بسبب ذلك كل أنواع التعذيب والتنكيل على يد الحكام وذوي السلطان.

و امتحان العلماء ليست بظاهرة أندلسية ، ولم تكن وليدة حقبة زمنية ، أو مختصة برقعة جغرافية معينة ، فأول محنة عرفتها البشرية كانت عند نزول سيدنا آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض ، كما امتحن كل الأنبياء في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، وسار على نهجهم الكثير من العلماء ، و ظل امتحان العلماء يحد ويخف عبر كل الفترات و الدويلات بالمشرق والمغرب والأندلس.

وتعتبر فترة حكم بنو الأحمر بالأندلس (7 . 9 ه / 13 . 15 م) من أكثر الحقب انتشارا للفتن و المحن والبلايا، و أبلغ وصف لذلك ما قدمه الفقيه مُحَمَّد بن عاصم (ت 857 ه / 1453م)[3] في كتابه "**جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**" يقول : " فالزمان في إدبار والخير في

[1] . تعني بالإسبانية رمانة وهي واحدة من أقدم مدن كورة البيرة تبعد عن مدينة البيرة بأربعة فراسخ وعن قرطبة بثلاثة وثلاثون فرسخا . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 195 .

[2] . يوسف شكري فرحات ، **غرناطة في ظل بني الأحمر** ، دار الجيل ، بيروت ، 1993 ، ص 134 .

[3] . هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن مُحَمَّد بن عاصم أبو يحي القيسي الغرناطي الأندلسي المالكي ، لم تذكر المصادر السنة التي ولد فيها ابن عاصم ، وإن كان صلاح الجرار قد حاول أن يمدنا بسنة وفاته بالاعتماد على بعض ما جاء في كتابه جنة الرضا وقال بأنها قد تكون ما بين 794 . 799 ه / 1391 . 1396 م ، وابن عاصم من عائلة ذات وجاهة وعلم فوالده هو القاضي أبو بكر بن عاصم قاضي الجماعة

انتقاص والشر في ازدياد والصلاح في اضمحلال حسبما وعد بذلك الصادق المصدوق فما الذي يطلب؟! وقد انتصف القرن التاسع وتباعد عن مظان رحمة الله الوطن الشاسع "[1] وقد امتحن أثناء هذه الفترة أغلب العلماء واستمرت محنتهم على يد الإسبان بعد سقوط المملكة ونهاية حكم المسلمين سنة 897 هـ/ 1492م .

اختيار الموضوع :

تبقى الدراسات في موضوع محن العلماء قليلة إن لم نقل نادرة ، ولم تحظى بقسط وافر من البحث والتمحيص ، وأغلب الأبحاث التي تطرقت للموضوع ركزت على محنة فئة واحدة من العلماء " الفقهاء " ، وللمحنة أيضا أوجه متعددة ، وسبل كثيرة ، لكن أغلب الدراسات عالجت الموضوع من جانب واحد فقط وهو محنة العلماء على يد ذوي السلطان دون الخوض في الجوانب الأخرى التي امتحن فيها الكثير منهم وكان لها تأثير كبير عليهم وعلى الحياة العلمية والثقافية بصفة عامة ، فقررت أن أخوض غمار البحث في هذا الموضوع .

واخترت موضوع محن علماء الأندلس بصفة عامة (فقهاء . أدباء . أطباء . فلاسفة . متصوفة ...) في " القرنين 8 . 9 هـ / 14 . 15 م " وهي فترة حكم أمراء بني الأحمر آخر مراحل الحكم الإسلامي بالأندلس ، و قد تميز حكمهم بالضعف السياسي والعسكري وانتشار الاضطرابات ،

وصاحب كتاب " **تحفة الحكام** " . أنظر **إسماعيل باشا البغدادي** ، **هدية العارفين** ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1955 ،ج 2 ، ص 199 ؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 ، ج 6 ، ص 148 ؛ محمد مخلوف ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، تح عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 ، ج 1 ، ص358 ؛ أحمد بابا التنبكتي ، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، ط 2 ، 2000 ، ص 537 ؛ محمد عبيد السبهاني ، **أدب ابن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ / 1453 م)** ، مجلة جامعة الأنبار للغات و الآداب ، العدد 3 ، 2010 ، ص 141 و ما بعدها .

[1] - أبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي ، **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى** ، تح صلاح الجرار ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان (الأردن) ، 1989 ، ج 1 ، ص 101 .

وتفشي الصراعات والفتن ، بالإضافة إلى ضغط الإسبان و ازدياد هجوماتهم لإسقاط ما تبقى من المدن الأندلسية ، عاش خلالها العلماء محنا عظيمة لم تبرزها كثير من الدراسات.

إشكالية الموضوع :

و عليه فإن الإشكالية الرئيسية للموضوع تكون كالآتي:

من هم العلماء الذين امتحنوا في عهد بني الأحمر ؟ و ما نوع المحن التي تعرضوا لها ؟ وكيف تعاملوا مع المحنة و تبعاتها ؟

و تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية أبرزها :

ما معنى المحنة ؟ و هل للمحنة أنواع و أوجه ؟

و ماهي أسبابها و نتائجها ؟

و ما هو الدور الذي قام به العلماء أثناء محنة سقوط غرناطة ؟ و ما مصيرهم بعد سقوطها ؟

خطة الموضوع :

قسمت الموضوع إلى مقدمة ، أربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول جاء بعنوان **"تأسيس دولة بني الأحمر (630 . 897 هـ / 1232 . 1492م)"** خصصته للتعريف بدولة بني الأحمر ، تطرقت في بداية الفصل للأحداث التي سبقت تأسيس دولة بني الأحمر 636 . 897 هـ/ 1239 . 1492 م ، كما حاولت إبراز ظروف وعوامل قيـام دولة بني الأحمر ، ثم استعرضت المميزات السياسية والعسكرية والحدود الجغرافية للمملكة وعلاقاتها الخارجية مع دول الجوار ، بعدها تناولت مميزات الحياة الاقتصـــادية كالزراعة والصناعة والتجـارة ، ثم تطرقت إلى خصائص المجتمع الغرناطي أفراده ، أوصاف النـاس ، عـاداتهم ، ولباسهم ، وأكلهم ، وختمت

الفصل بالحديث عن واقع الحياة الثقافية أماكن و دور العلم المختلفة ، مناهج التدريس ، وأهم علماء هذه الفترة .

الفصل الثاني الموسوم ب " **الابتلاء** " قسمته إلى أربعة مباحث ، خصصت المبحث الأول لتعريف المحنة اللغوي والاصطلاحي مع ذكر محن بعض العلماء الأندلسيين " فقهاء وأدباء " من عهد الدولة الأموية إلى غاية القرن 7 هـ / 13 م ، أما المبحث الثاني فكان لمحنة فقدان الأهل و المرض معا و أدرجت فيه محن مجموعة من العلماء فقدوا بعضا من أهلهم و آخرون تعرضوا للأمراض و الزمنى ، و في المبحث الثالث تطرقت إلى الحوادث التي أصابت بعض العلماء وكانت سببا في مقتل عدد منهم، و خصصت المبحث الرابع لوباء الطاعون الذي اجتاح مملكة بني الأحمر عدة مرات مخلفا في كل مرة عددا كبيرا من الضحايا منهم الكثير من العلماء ، فتطرقت لمناطق انتشاره والمدن الأكثر تضررا منه ، وأفردت أسماء جملة من العلماء قضوا في هذه المحنة ، و في المبحث الخامس تناولت محنا أصابت بعض العلماء أثناء سعيهم للإصلاح ومحاربة الفساد والبدع المتفشية في المجتمع الأندلسي.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان" **محن العلماء على يد الحكام وذوي السلطان** " وقسمته إلى خمسة مباحث ، خصصت المبحث الأول للعلماء الذين امتحنوا بالجلد والتنكيل على يد الحكام ، والمبحث الثاني لمجموعة من العلماء عزلوا من مناصبهم وما أصابهم من محن بسبب ذلك كفقدان الجاه العريض ، والمقام الرفيع ، أو الافتقار والانزواء ، وتطرقت في المبحث الثالث لمحن رهط من العلماء عانوا الأمرين بين جدران السجون ، وخصصت المبحث الرابع لمحن النفي والتغريب هربا من بطش السلطة ، وفي المبحث الرابع تطرقت لمحن العلماء الذين قتلوا بأوامر من أحد أمراء بني الأحمر ، أو أثناء الاضطرابات والفتن ، أو بسبب المشاحنات والمنافسات التي كانت تجري بين العلماء داخل بلاط بني الأحمر .

و الفصل الرابع عنوانه " **محنة العلماء تحت وطأة العدو** " وتضمن الفصل أربعة مباحث ، تعرضت في المبحث الأول لدور العلماء في الجهاد ضد الإسبان ، وخصصت المبحث الثاني لمحنة جمع

من العلماء تعرضوا للأسر ، و المبحث الثالث لمحنة سقوط غرناطة ، تطرقت فيه لمراحل هذه المحنة بداية من حصار غرناطة إلى سقوطها ، وصولا إلى توقيع معاهدة الاستسلام ، وتناولت ردود فعل العلماء المختلفة ، و في المبحث الأخير تطرقت لمصير العلماء بعد نهاية حكم المسلمين بالأندلس وفرض الإسبان لإجراءات التنصير القصري مع التعريف بمجموعة من علماء هذه الفترة وسرد لتفاصيل محن البعض منهم تحت وطأة الإسبان .

واحتوت الخاتمة على مجموعة من النتائج التي توصلت إليها ، كما تضمن البحث أيضا ملاحقاً تنوعت ما بين الرسائل والوصايا التي كتبها العلماء أثناء المحن التي تعرضوا لها ، وصور بعض المخطوطات التي ألفها علماء موريسكيون بعد سقوط غرناطة ، وخريطة وضحت من خلالها الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة ، و مواقع أهم المعارك التي وقعت في عهد بني الأحمر ، و مناطق انتشار وباء الطاعون في المملكة ، بالإضافة إلى صور لزخارف ونقوش من قصر الحمراء .

تقييم المصادر و المراجع المعتمدة في هذا البحث :

و لإنجاز البحث استعنت بمجموعة من المصادر بالإضافة إلى بعض الدراسات الحديثة ، من بين هذه الكتب :

1 / كتب التراجم و الطبقات و المناقب :

كانت كتب التراجم والسير في طليعة الكتب التي استخدمتها في بحثي لاحتوائها على معلومات غزيرة تخص الحياة الشخصية ، والرحلات ، والإنجازات العلمية لأغلب العلماء ، وعلى رأسها كتب لسان الدين بن الخطيب (717 . 776 هـ / 1313 . 1374 م) منها " **الإحاطة في أخبار غرناطة** " ، تحقيق بوزياني الدراجي ، (الصادر عن دار الأمل للدراسات ، الجزائر ، 2009) ، إذ يعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ مملكة بني الأحمر فمؤلفه من أهم علماء هذه الفترة ، كما كانت له مكانة وحظوة داخل بلاط بني الأحمر وهو واحد من الرجال المؤثرين على

الساحة السياسية في المملكة فقد كان كاتبا ، ووزيرا ، و سفيرا لسنوات طويلة ، و احتوى كتابه على تراجم العشرات من العلماء الأندلسيين تضمنت معلومات مستفيضة عن المحن التي أصابت الكثير منهم و الصعوبات التي اعترضتهم ، فأفدت منه كثيرا خاصة في دراسة فترة القرن 8 هـ / 14 م و تبين أخبارها .

. " **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** " : للمؤلف نفسه ، (الصادر عن المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1928) و فيه أفرد تراجم لأمراء بني الأحمر منذ تأسيس الدولة إلى غاية الأمير العاشر الغني بالله مُحَمَّد الخامس (755 . 794 هـ / 1354 . 1391 م) ، و قد احتوت هذه التراجم على معلومات وافرة عن الوزراء و الكتاب والقضاة الذين خدموا في البلاط ، وساعدني في دراسة محن العلماء على يد أمراء بني الأحمر ، و أثناء الانقلابات والاضطرابات و الفتن التي كانت تعصف بالمملكة أورد أخبارها المؤلف أثناء ذكر تفاصيل هذه الأحداث .

كما استعنت بكتب أخرى لنفس المؤلف لكن بدرجة أقل ككتاب " **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** " ، تحقيق ليفي بروفنسال ، (دار المكشوف ، بيروت ، 1956) ، و كتاب " **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة** " ، تحقيق إحسان عباس ، (دار الثقافة ، بيروت ، 1983) ، وكتابه " **أوصاف الناس في التواريخ والصلات** " ، تحقيق مُحَمَّد كمال شبانة ، (مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب الأقصى ، ب ط . ب ت ط) ، و" **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** " ، تحقيق السعدية فاغية ، (مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1989) .

. **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** : لشهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م) ، تحقيق إحسان عباس ، (دار صادر للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1968) ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة لدراسة التاريخ الأندلسي بصفة عامة خاصة فترة القرنين 8 . 9 هـ / 14 . 15 م ، و هو لا يقل أهمية عن كتب

لسان الدين بن الخطيب ، وقد تضمن النصف الأول من الكتاب التعريف بالأندلس ، أما في النصف الثاني منه فعرف بلسان الدين بن الخطيب ، وضمنه معلومات وافرة عنه مع مقتطفات من نثره و أشعاره ، وبعض الرسائل التي تبادلها هذا الأخير مع علماء أندلسيين ومغاربة ، بالإضافة إلى تراجم لعلماء آخرين و معلومات و روايات وردت في بعض الكتب لم تصل إلينا ، أعانني في دراسة محنة لسان الدين بن الخطيب وعلماء آخرين غيره ، كما تضمن الكتاب معلومات وافرة عن صفات المدن الأندلسية و سكانها وعاداتهم استفدت منها في إثراء هذا البحث .

. **" أزهار الرياض في أخبار عياض "** : لنفس المؤلف تحقيق إبراهيم الأبياري، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939) ، خصص المؤلف حيزا كبيرا من الكتاب للتعريف بالإمام القاضي عياض ، كما تضمن الكثير من أخبار لسان الدين بن الخطيب ، وأخبار جملة أخرى من العلماء الأندلسيين ، و نبذة من أعمالهم ، و بعض النصوص التي لم ترد في أي كتاب آخر استفدت منه في دراسة محن علماء القرن 9 هـ / 15 م خاصة ، و أحوال الأندلس والأندلسيين بعد سقوط مملكة غرناطة وما تعرضوا له من محن على يد الإسبان .

. **" نثير الجمان في شعر من نظمني و إياه الزمان "** : لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت 807 هـ / 1405م) ، تحقيق مُحَمَّد رضوان الداية ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1976) ، المؤلف أمير من أمراء بني الأحمر أجبر على مغادرة وطنه بسبب الصراعات داخل البلاط فاستقر في المغرب و اشتغل كاتبا عند أمراء بني مرين ، احتوى كتابه على تراجم لجملة من علماء الأندلس و جاء على ذكر بعض التفاصيل والمعلومات المهمة التي أغفلتها مصادر أخرى ، وكتابه الثاني " **روضة النسرين في دولة بني مرين** " ، (المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962) و قد استفدت منه في التعريف بأمراء وملوك بني مرين ، كما ساعدني في دراسة علاقاتهم مع أمراء بني الأحمر .

. **" تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا "** لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي (ت بعد سنة 793 هـ / 1390م) (دار الأفاق

الجديدة ، بيروت ، 1983 م) يعتبر النباهي من رجال وأعيان دولة بني الأحمر حيث شغل منصب قاضي الجماعة لعدة سنوات ، وتضمن كتابه هذا تراجم لمجموعة من الفقهاء الأندلسيين عملوا في مجال القضاء استعنت به لدراسة محن بعض القضاة ، كما أفادني في دراسة محن علماء آخرين راحوا ضحية الطاعون الذي ضرب المملكة في منتصف القرن 8 هـ / 14 م فقد احتوى الكتاب على تراجم لعلماء كانوا ضحايا هذه الجائحة ،كما تضمن معلومات عن بعض المدن المتضررة من الوباء كمدينة مالقة ، أعداد الضحايا بها ، الجهــود والاجراءات المتخذة بالمدينة لمواجهة الوباء .

ومن المصادر المغربية التي استخدمتها في البحث " **درة الحجال في أسماء الرجال** " ، لأبي العباس مُحَّد المكناسي ابن القاضي (ت 1025 هـ / 1615 م) ، تحقيق مُحَّد الأحمدي أبو النور، (دار التراث ، القاهرة ، 1971) و كتابه " **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** " (دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1973) أفادني الأول في دراسة محن علماء القرن 9 هـ / 15 م ، و استعنت بكتابه الثاني في التعريف بالعلماء الذين هاجروا من الأندلس واستقروا بمدينة فاس بعد سقوط غرناطة ، ومن الكتب المغربية المتأخرة " **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** " لمؤلفه مُحَّد بن قاسم مخلوف (ت 1360 هـ / 1940 م) ، تحقيق عبد المجيد الخيالي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003) ، وكتاب " **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** " لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت 1382هـ / 1962 م) ، تحقيق إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 1982م) تضمنت هذه الكتب تراجم لعلماء مغاربة وأندلسيين و نبذة من أخبارهم ، و معلومات مستفيضة عن رحلاتهم العلمية ، إنجازاتهم ، ومحن البعض منهم ، أفادتني في بحثي .

. " **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** " : لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036 هـ / 1626 م) تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة ، (منشورات كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، 1989) احتوى الكتاب على تراجم عشرات العلماء مغاربة و أندلسيون ، وتضمن الكتاب أيضا معلومات

عن علماء القرن 9 هـ / 15 م استفدت منها في دراسة محن علماء هذه الفترة خصوصا كمحنة الفقيه مُحَّد بن عاصم والتي تفرد التنبكتي بذكر بعض تفاصيلها ، كما أفادني في التعرف على محن بعض العلماء الذين عايشوا محنة سقوط غرناطة .

و من المصادر المشرقية كتاب " **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** " : لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م) ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب ت ط) مثل بقية كتب التراجم الأخرى احتوى الكتاب على معلومات غزيرة عن علماء أندلسيين ، بالإضافة إلى بعض الروايات المنقولة عن كتب سابقة لم تصل إلينا استفدت منها كثيرا ، و كتاب "**بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة** " للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ/ 1505 م) ، تحقيق مُحَّد أبو الفضل إبراهيم ، (مطبعة عيسى البابي و شركائه ، القاهرة ، 1965 م) وأفادني هذا الكتاب في دراسة محن علماء القرن 9 هـ / 15م كما زودني بأخبار العلماء الذين شدوا الرحيل نحو المشرق للإستزادة من منابع العلم هناك .

و من كتب المناقب " **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** " لأبي عبد الله مُحَّد بن مريم المليتي المديوني التلمساني (ت 1020 هـ / 1611 م) ، (المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908) اعتمدت عليه في التعريف بالعلماء الذين استقروا في مدينة تلمسان عند تغلب الإسبان على مملكة غرناطة .

2 / كتب التاريخ :

. ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر : لمؤلفه عبد الرحمن بن مُحَّد بن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م) ، مراجعة سهيل زكار ، (دار الفكر ، بيروت ، 2000 م) ، و لهذا الكتاب أهمية كبيرة في خدمة موضوع البحث إذ أن صاحبه زار مملكة غرناطة و استقر فيها مدة ،كما تمكن من الولوج إلى بلاط بني الأحمر و أورد في كتابه الكثير من المعلومات المهمة التي أفادتني في دراسة محن بعض الوزراء و الكتاب كلسان الدين بن الخطيب

وابن زمرك ، فقد كان ابن خلدون على معرفة بهما وعلى دراية بكثير من الخبايا والصراعات الدائرة داخل البلاط ذكرها عند تطرقه لمحنتهما .

و كتابي **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** : لابن أبي زرع الفاسي (726 هـ/ 1326م) ، (دار صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، المغرب ، 1972) ، **والمعجب في تلخيص أخبار المغرب** : لعبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ/ 1249 م) ، تحقيق مُحَمَّد سعيد العريان ، (صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1962م) تضمن هذان الكتابان تفاصيل مهمة عن فترة حكم الموحدين في المغرب والأندلس استعنت بها لدراسة الفترة التي سبقت تأسيس دولة بني الأحمر ، وإماطة اللثام عن الظروف والعوامل التي ساعدت على قيام الدولة .

. نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر : لمؤلف مجهول ، تحقيق ألفريد البستاني ، (مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، 2002) ، تكمن أهمية الكتاب في أن صاحبه ربما كان أحد الجنود في جيش بني الأحمر وعايش محنة سقوط غرناطة من فرض الحصار إلى غاية توقيع معاهدة الاستسلام وتسليم المدينة للإسبان ، ذكر كثيرا من المعلومات التي أفادتني في دراسة هذه المرحلة ، ومن الكتب المتأخرة التي استعنت بها أيضا في دراسة هذه الفترة " **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ": لأحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت 1315 هـ/ 1897 م) ، (دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1955) وأفادني هذا الكتاب في تتبع مسيرة آخر أمراء بني الأحمر أبي عبد الله الصغير بعد إجباره على الرحيل عن بلده و مصير من كان معه من الأندلسيين ، كما تضمن الكتاب معلومات عن بعض العلماء الأندلسيين الذين استقروا في المدن المغربية المختلفة بعد سقوط مملكة غرناطة في يد الإسبان .

ج / كتب الجغرافيا و الرحلات :

كما استعنت بمجموعة من كتب الجغرافيا في تحديد مواقع المدن والطرق والمسالك وأماكن المعارك المختلفة ، كما تضمنت هذه الكتب معلومات هامة عن قطاعي التجارة و الزراعة استفدت منها أثناء تطرقي لمميزات هذين القطاعين بالمملكة ، ومن بين هذه الكتب **نزهة المشتاق في اختراق الافاق** للشريف الإدريسي (548 هـ/ 1154م) ، (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002) ، وكتاب **معجم البلدان** لمؤلفه شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/ 1229 م) ، (دار صادر ، بيروت ، 1977م) ، وكتاب **الروض المعطار في خبر الأقطار** لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت 900 هـ/ 1494 م) ، تحقيق إحسان عباس ، صدر عن مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975) ، و**كتاب الجعرافية** لأبي عبد الله بن أبي بكر الزهري (ت في أواسط القرن 6 هـ / 12 م) ، تحقيق مُحَمَّد حاج صادق (مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، ب ت) .

و من كتب الرحلات " **رحلة القلصادي** " والمسمى " **تمهيد الطالب و منتهى الراغب إلى أعلى المنازل و المناقب** " لأبي الحسن علي القلصادي (ت 891هـ / 1486 م) ، (الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978م)، و القلصادي واحد من فقهاء القرن 9 هـ / 15 م ، سرد في كتابه أخبار رحلته العلمية التي قادته إلى بعض المدن الأندلسية وبلاد المشرق ، كما أورد نبذة عن شيوخة ، أعانني على دراسة محنته ومحن علماء آخرين ماتوا أثناء الوباء الذي ضرب مملكة غرناطة سنة 844 هـ/ 1440م .

كما اعتمدت في دراستي على بعض المعاجم اللغوية على رأسها " **لسان العرب** " لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي (711 هـ/ 1311 م) ، (دار صادر ، بيروت . ب ت ط) وقد استخدمته لتبيين مفهوم المحنة ، كما استعنت به لاستيضاح المصطلحات الصعبة الواردة في المصادر المختلفة كلما احتجت إلى ذلك .

ب / المراجع :

على الرغم من وجود الكثير من الدراسات الحديثة المتخصصة في التاريخ الأندلسي من الفتح إلى غاية السقوط ، و أخرى اختصت برصد إنجازات العلماء الأندلسيين وتتبع مسيراتهم العلمية إلا أن موضوع محن العلماء لم ينل ما يستحقه من الاهتمام من طرف الباحثين ، و على الرغم من قلتها استفدت من بعض الدراسات الأندلسية المتعلقة بتاريخ مملكة بني الأحمر في المجالات السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، و الثقافية لتوضيح ملامح وتحديد معالم هذه الفترة ، و من المراجع التي استخدمتها في إنجاز هذا البحث :

. " دولة الاسلام في الأندلس " الموسوم " بنهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين " لمحمد عبد الله عنان ، (مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 4 ، 1997م) ، وتضمن كتابه وصفا دقيقا للمحنة التي أصابت الشعب الأندلسي بعد سقوط غرناطة ونقض الإسبان لمعاهدة التسليم وإجراءات محاكم التفتيش ، كما تفرد عنان بنقل بعض الوثائق المهمة التي يبدو أنها لم ترد في أي كتاب آخر قبله كرد الفقيه الوهراني أبي عبد الله أحمد بن أبي جمعة المغراوي على رسالة الموريسكيين بعد نقض الإسبان لمعاهدة التسليم و غيرها من الوثائق استفدت منها في دراسة مرحلة السقوط والفترة التي تليها.

.كتاب " **غرناطة في ظل بني الأحمر** " ليوسف شكري فرحات ، (دار الجيل ، بيروت ، 1993م) والكتاب عبارة عن دراسة مستفيضة لمملكة بني الأحمر وأهم ما ميز الحياة السياسية ، الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية في هذه الدولة ،كما تضمن تراجم لأمرائها من مؤسس الدولة إلى آخر الأمراء فيها و أهم الأحداث التي وقعت في عهد كل واحد منهم ، أفادني في دراسة مميزات الدولة ، كما استخدمته للتعريف بأمراء بني الأحمر أحيانا .

. كتاب " **الفكر الأصولي و إشكالية السلطة العلمية في الإسلام** " للمفكر المغربي عبد المجيد الصغير ، (دار المنتخب العربي ، بيروت ، 1994) تناول هذا الكتاب علاقة العلماء بالسلطة

، وتحليل للصراع بينهما منذ نشأة الدولة الإسلامية ، وقد استعنت به لتوضيح أسباب الصراع بين العلماء و رجال الحكم .

.كتاب " **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** " لخير الدين الزركلي ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002 م) ، استخدمت الكتاب للتعرف على تواريخ وفاة بعض العلماء ، أو تواريخ وفاة مؤلفي الكتب التي اعتمدت عليها ، كما أفادني في التعريف ببعض العلماء الذين لم أعثر على تراجم لهم في الكتب السابقة الذكر ، خاصة في المرحلة التي تلت سقوط مملكة غرناطة كالفقيه أحمد بن القاسم .

و من بين المقالات التي استعنت بها في بحثي مقالة " **أدب ابن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ / 1453 م)** " لمحمد عبيد السبهاني (مجلة جامعة الأنبار للغات و الآداب ، العدد 3 ، 2010 م) تضمنت معلومات عن الإنجازات العلمية للفقيه مُحَمَّد بن عاصم و نبذة من أشعاره و أعماله الأدبية استفدت منها أثناء دراستي لمحنة هذا الفقيه ، ومقال آخر لمحمد عويد الساير بعنوان " **ابن هذيل التجيبي الغرناطي (ت 753 هـ / 1352 م) حياته و ما تبقى من شعره جمع و صنعة ودراسة** " ، (جامعة تكريت للعلوم ، العدد 7 ، مجلد 19 ، 2012) استعنت به لدراسة محنة ابن هذيل التجيبي .

و من المقالات التي استعنت بها أيضا مقال بعنوان " **صور من محن المحدثين** " لكامل مُحَمَّد جاهين ، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات ، العدد 2 ، مجلد 9 ، 2017 م) ، تطرق جاهين في هذه المقالة لمحنة ابن حزم الأندلسي ، كما تضمن مقاله تعريفا للمحنة و أسبابها استفدت منها خاصة أثناء دراسة أسباب المحن ، هذا بالإضافة إلى بعض المراجع الأجنبية و بعض الأطروحات الجامعية العربية و الأجنبية .

الصعوبات :

وكأي باحث واجهتني بعض الصعوبات وكانت العقبة الأساسية غزارة في مادة القرن 8 هـ / 14 م مع شح المعلومات المتعلقة بالموضوع فترة القرن 9 هـ / 15 م ، فحاولت أن أوازن بين المادة المتوفرة لدي دون أن يسبب ذلك خللا أثناء عملية التحرير ، كما واجهتني مشكلة قلة المراجع والدراسات الحديثة التي تبحث في موضوع المحنة ، و من الصعوبات أيضا تشعب الموضوع فمحاولة ضبط الفصول والمباحث وتصنيف محن العلماء على حسب المادة المتوفرة لم تكن عملية هينة ، بالإضافة إلى ضيق الوقت خاصة وأن بحثي يعتمد أساسا على المصادر، فعملية انتقاء النصوص المناسبة ومقارنتها بنصوص أخرى ونقدها وترتيبها زمنيا تتطلب وقتا أكبر ، بالإضافة إلى حرماننا من التربصات التي كان الطلبة يستفيدون منها في السنوات الفارطة ما حال دون استفادتنا من المادة المتواجدة في البلدان الأخرى .

وفي الأخير أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة سامية أبو عمران على كل ما قدمته لي من توجيهات وإرشادات لإثراء هذا البحث ، كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة العلمية الموقرة التي تكبدت عناء القراءة لتصويب العمل . وأسأل الله التوفيق و السداد

الفصل الأول: تأسيس دولة بني الأحمر بغرناطة (630 . 897 هـ 1232 . 1492 م)

أولا. الأوضاع السياسية والعسكرية في الأندلس بعد هزيمة حصن العقاب 609 هـ / 1212 م :

ثانيا ـ تأسيس دولة بني الأحمر :

ثالثا . مميزات الدولة :

1 . المميزات السياسية و العسكرية لدولة بني الأحمر :

أ. نظـــام الحكـــم في دولة بني الأحمر :

ب. جيش دولة بني الأحمر :

ج . مقر الحكم " قصر الحمراء " :

د. السكة :

2 . العلاقات الخارجية لدولة بني الأحمر :

رابعا . الحياة الاقتصادية في دولة بني الأحمر :

1 . الزراعة :

2 . تربية الحيوانات و الصيد :

3 . الصناعة :

4 . التجارة

خامسا . الحياة الاجتماعية بدولة بني الأحمر :

1 . المجتمع

2 . الاكل

3 . المرأة الغرناطية

4 . اليهود و النصارى

سادسا . الحياة العلمية و الفكرية في دولة بني الأحمر :

أ. دور العلم :

ب . العلوم و الآداب :

أولا. الأوضاع السياسية والعسكرية في الأندلس بعد هزيمة حصن العقاب 609 هـ / 1212 م :

توفي الأمير الموحدي المنصور سنة 595 هـ/ 1199 م ودخلت الدولة الموحدية في المغرب والأندلس مرحلة من الضعف[1] ، خلفه في الحكم ابنه محمد الناصر (595 . 609 هـ /1199 . 1213 م)[2] الذي بدأ حكمه بالكثير من المشاكل و العقبات كانت أخطرها ثورة يحي المايورقي في إفريقية ، فقرر الزحف إليها بجيشه وخاض هناك حروبا تمكن في الأخير من هزيمته وبسط نفوذه ، ثم قام بتنصيب الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر ابن ابي حفص[3] واليا على إفريقية [4].

ووصلته أخبار بأن ملك قشتالة (Castille) ألفونسو الثامن Alfonso VIII (1158 . 1214 م)يقوم بتوسعات في الأندلس يحتل القرى و يقتل الرجال ويسبي النساء ، فقرر الناصر الزحف إليه واستنفر المسلمين للجهاد فلبى نداءه جمع كبير من الناس[5] حتى وصل تعدادهم من أهل الأندلس والمغرب ستمائة ألف مجاهد ، ودارت المعركة سنة 609 هـ/ 1212 م التقى فيها الطرفان في موضع يسمى العقاب (Las Navas de Tolosa) ، لكن الهزيمة حلت بالمسلمين واستشهد منهم الكثير ، وكانت هذه الموقعة سببا في ضعف الموحدين وإيذانا بنهاية حكمهم في المغرب والأندلس [6].

عقب الهزيمة انتشر الخوف والتوجس بين الأندلسيين ، و قد عبر الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي عن سوء الأوضاع قائلا :

---

[1] . ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، صور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 230 .

[2] . تولى الحكم بعد وفاة والده المنصور سنة 595 هـ/ 1199م وقعت في عهده موقعة حصن العقاب ، توفي مسموما بقصره في مراكش سنة 610 هـ/ 1213 م . أنظر ابن أبي زرع ، **المصدر السابق** ، ص 231 وما بعدها .

[3]. هو الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص ولاه الأمير الموحدي الناصر ولاية إفريقية سنة 602 هـ / 1205 م . أنظر ابن أبي زرع ، **المصدر السابق** ، ص 233 .

[4] . **نفسه** ، ص ص 232 . 233 .

[5] . **نفسه** ، ص 234 .

[6] - المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 446 .

وقائِلَةٍ أرَاكَ تُطِيلُ التّفَكُّرا كأنَّكَ قدْ وقفْتَ لدَى الحِسَابِ
فقُلْتُ لهَا أُفَكِّرُ في عِقَابٍ غَدًا سَبَبًا لمعرَكةِ العُقَابِ
فَما في أرْضِ أنْدَلُس مَقَامُ وقدْ دَخَلَ البَلَا مِنْ كُلِّ بَابِ[1]

وراحت المدن الأندلسية تتساقط الواحدة بعد الأخرى في يد الإسبان المتربصين بها في غفلة من المسلمين المتنافسين على الزعامة والسلطة لخلافة الأمراء الموحدين ، في هذه الظروف ظهر زعيم أندلسي هو مُحَمَّد بن يوسف بن هود الجذامي ثار في قرية الصخيرات في مدينة مرسية (Murcia)[2]سنة 625 هـ/ 1228 م وساعده على ذلك تذمر الأندلسيين من حكامهم الذين تحالفوا مع النصارى وتنازلوا لهم عن الحصون ، فزحف ابن هود على مرسية وتمكن من انتزاعها من حاكمها السيد أبو العباس بن أبي عمران ، وعلى إثر ذلك أعلن ولاءه للعباسيين في بغداد [3] وطبعا هم بدورهم أرسلوا إليه الخلع والمراسيم ، و قد لقب نفسه بالمتوكل على الله واتخذ من اللون الأسود شعارا له ، ولم يمض وقت كبير حتى دانت له كل من جيان [4] (jaen) ، وقرطبة ، ومـاردة [5] (Merida) ،

[1] . مُحَمَّد عبد الله عنان ، **دولة الاسلام في الأندلس** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 4 ، 1997 ، ص19.

[2] ـ مدينة تقع في شرق الأندلس وهي من أعمال تدمير اختطها مروان بن الحكم بن هشام ، تنتشر فيها الأشجار والحدائق . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 107 .

[3] . عبد الرحمن ابن خلدون ، **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، مرا خليل شحادة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2001 ، ج 4 ، ص ص 215 . 216 ؛ عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص ص 16 . 17 .

[4] ـ مدينة بالأندلس كثيرة الأقاليم والقرى تقع في سفح جبل عال جدا ، بينها وبين بياسة عشرون ميلا . أنظر عبد المنعم الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تح إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 ، ص ص 183 . 184 .

[5] ـ مدينة من أعمال قرطبة تبعد عنها بمسيرة ستة أيام كثيرة القرى والحصون ، و بها بعض الآثار القديمة التي يقصدها الناس للفرجة . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 38 . 39 .

وبطليوس[1] (Badajoz)[2] ، كما تمكن من ضم مدينة غرناطة إلى حكمه بعد انتزاعها من الأمير الموحدي المأمون (625 . 630 هـ / 1227 . 1232 م)[3] سنة 628 هـ/1231 م ، وبايعه أيضا أهل شاطبة[4] (Jativa) ، وقرطبة ، وأهل إشبيلية على إثر رحيل المأمون عنها إلى مراكش[5] .

وهكذا تمكن ابن هود من بسط سيطرته على أغلب مناطق الأندلس في وقت قصير ، لكن شيئا فشيئا بدأ الصرح الذي بناه يتداعى بفعل ضربات النصارى المتتالية ، فقد فرض ملك ليون ألفونسو التاسع Alfonso IX (1171 . 1230 م) الحصار حول مدينة بطليوس فجهز ابن هود جيشا لمحاربته سنة 628 هـ/ 1231 م لكن الهزيمة كانت مآله فقرر العودة إلى إشبيلية ، و في نفس السنة قام ملك قشتالة فرديناند الثالث Ferdinand III (1199 . 1252 م) بالهجوم على مدينة جيان وحاصرها لكنه لم يتمكن من دخولها لمنعتها ، وفي السنة التالية تمكنت جيوشه من هزيمة ابن هود في سهول إشبيلية فاضطر ابن هود لعقد هدنة معه نظير ضريبة كبيرة بسبب تزايد خصومه أبرزهم محمد ابن الأحمر[6] الذي تمكن من السيطرة على مدينة أرخونة (Arjona)بفضل الدعم الذي وجده من الأهل و الأصحاب والأنصار في المدينة[7] ، ثم سيطر على وادي آش[8] (Guadix) ،

[1] - تقع في غرب الأندلس على نهر يانة ، وتبعد عن مدينة إشبيلية بمسيرة ستة أيام ، وعن قرطبة بستة مراحل ، وعن مدينة ماردة بثلاثون ميلا . أنظر الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 545 .

[2] . عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ب ت ط ، ص 417 .

[3] . عنان ، **المرجع السابق** ، ص ص 16 17 .

[4] . مدينة كبيرة تقع في الجهة الشرقية من الأندلس ، شرق مدينة قرطبة ، اسمها مشتق من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة . الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 309 .

[5] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 215 .

[6] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 17 .

[7] Rachel Arié , **Historia y cultura de la granada nazari**, Biblioteca de Bolsillo Granada, 2004, p 21 .

[8] . تقع على مقربة من غرناطة تبعد عنها بثمانية أميال فقط ، وعن مدينة بسطة بثلاثين ميلا ، وتعتبر ملتقى الطرق المؤدية إلى عدة مدن أخرى كبسطة ، وجبل عاصم Montana، Asim ، وقرية يورا Yura. الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 568 .

وبياسة (Baeza)، وجيان ، أما إشبيلية وما حولها فقد كانت تحت إمرة بعض الأمراء الموحدين ، وساد العداء بين هؤلاء الأمراء وكان كل واحد منهم يتآمر على الآخر ، هذا الذي سهل المهمة لفرديناند وبالاعتماد على القوات الكبيرة التي كان يملكها استولى على الكثير من الحصون و ألحق بالمسلمين عدة هزائم [1] .

جمع ابن هود قواته وسار إلى أحواز مدينة غرناطة لمواجهة خصمه الجديد مُحَمَّد بن الأحمر ، فوجد النصارى الفرصة سانحة وزحفوا باتجاه مدينة قرطبة التي كانت تسودها الفوضى وبحاجة ماسة لزعيم يوحد أهلها على كلمة واحدة ، ولما وصل القشتاليون إلى المدينة ضربوا حولها حصارا فلم يجد القرطبيون أمامهم إلا إرسال استغاثة لزعيمهم ابن هود الذي لبى النداء ونزل في استجة (Ecija) على مقربة من قرطبة لكنه لم يشتبك مع النصارى ، وتضاربت الروايات حول سبب ذلك فهناك من قال أن ابن هود عندما رأى القوات القشتالية تفوق قواته عزف عن القتال خوفا من الهزيمة ، وهناك من قال أن ابن هود تلقى نداء من أبي جميل زيان زعيم بلنسية ، لصد خايمي (Jaime) ملك أرغون فسار إلى بلنسية التي كان يطمح لضمها تحت لوائه ، وترك قرطبة تواجه مصيرها [2] ، وعلى الرغم من صمود أهلها ودفاعهم المستميت عنها إلا أنها سقطت في الأخير ودخلها القشتاليون في 23 شوال 633 هـ/29 يونيو 1236 م[3] ، توفي ابن هود بعد سنتين من سقوط قرطبة في أوائل سنة 635 هـ /

[1] . يوسف أشباخ ، **تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، ص 180 .

[2] . سقطت قرطبة في يد الإسبان بسبب ضعفها و بسبب الخيانة فقد وصل إلى علم الإسبان عن طريق بعض الأسرى المسلمين أن قرطبة خالية من الدفاع وتطوع أيضا جمع منهم لمساعدة النصارى على احتلال المدينة ، فتسللت فرقة صغيرة من الجنود النصارى في عتمة الليل وساعدهم هطول المطر ، وساروا حتى وصلوا إلى قصبة قرطبة الأمامية ، وبمساعدة الأسرى الخونة وضعوا سلالم على الجدران تمكنوا من تسلقها ، وتقدم النصارى حتى تمكنوا من السيطرة على أحد الابراج المنيعة وعلى قسم من السور وعلى أحد الأبواب يسمى باب مرطوس وقتلوا الحراس ثم قاموا بفتح الباب لزملائهم المنتظرين في الخارج فدخلوا وهاجموا المدينة . أنظر أشباخ ، **المرجع السابق** ، ص 183 .

[3] . عنان ، **المرجع السابق** ، ص ص 33. 34 .

1237م بمدينة ألمرية [1] (Almeria) في ظروف غامضة حيث وجد ميتا في الحمام ، ومن المرجح أن وزيره مُحَمَّد بن عبد الملك الأموي الرميمي هو من دبر قتله [2] ودفن بمرسية [3] .

و هكذا تخلص ابن الأحمر من منافسه العنيد ابن هود ، وكان لهذا الصراع الأثر السيئ على المسلمين في الأندلس فقد نتج عنه ضياع عدد من المدن والحصون كقرطبة وإشبيلية [4] وخدم هذا الانقسام الإسبان أكثر من القيام بالغارات العسكرية[5] .

و تمكن ابن الأحمر من رسم معالم مملكته ولم تكن مهمته هينة كانت البداية بدخول مدينتي وادي آش وجيان في طاعته ، كما فتحت له مدينة قرطبة أبوابها لكن سرعان ما ارتد أهلها عنه وأعلنوا ولاءهم لابن هود ، كما نفر منه أهالي إشبيلية وجددوا عهدهم لهذا الأخير ، فلم يجد ابن الأحمر إلا الدخول في طاعة ابن هود فقام بذلك في شوال 631 هـ / 1234م مكتفيا بإمارته على مدينتي أرخونة وجيان وضواحيهما ، وبقي الأمر على هذا النحو إلى أن سقطت مدينة قرطبة في يد فرديناند الثالث ملك قشتالة سنة 633 هـ/ 1236 م بدون أن يتدخل ابن هود فنقم الناس عليه واتجهوا نحو ابن الأحمر ، كما تمكن من بسط نفوذه على مدينة غرناطة بعد ثورة أبنائها على حاكمها عتبة بن يحي المغيلي بتحريض من أبن أبي خالد أحد أعيان جيان فدخلها في رمضان 634 هـ/ ماي 1237م وجعلها حاضرته ومقر حكمه بدلا من مدينة جيان التي كانت معرضة لخطر النصارى ،

---

[1] . هي مدينة ساحلية تقع بين مرسية وغرناطة ، تعتبر مرسى الأندلس ترسوا فيها المراكب القادمة من بلاد المشرق أنظر أبو عبيد الله الزهري ، **كتاب الجعرافية** ، تحقيق مُحَمَّد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، ب ت ط ، ص 101 .

[2] ـ بعد سقوط قرطبة سار ابن هود إلى ألمرية لينقل جنوده منها إلى بلنسية فاستقبله عبد الرحمن الرميمي استقبال عظيما في قصره واحتفل بقدومه وأقام له المآدب ، وفي الليل انقض عليه في غرفته وقام بقتله خنقا في 27 جمادى الأولى سنة 635 هـ / 1237 م وفي اليوم الموالي اشيع أن ابن هود توفي جراء الافراط في تناول الخمر . أنظر أشباخ ، **المرجع السابق** ، ص 187 .

[3] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 218 ؛ عنان ، **المرجع السابق** ، ص 34 .

[4] ـ مُحَمَّد عبده حتاملة ، **الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة** ، مطابع الدستور التجارية ، عمان ، الأردن ، 2000 ، ص 562 .

[5] ـ غوستاف لوبون ، **حضارة العرب** ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012 ، ص 284 .

وبعد مقتل ابن هود في ألمرية (Almeria) أضطربت الأحوال ودبت فيها الفوضى فدخلها ابن الأحمر بسهولة في شوال 635 هـ/ 1238 م وفي العام التالي تمكن من ضم مدينة مالقة [1] (Malaga).

ثانيا ـ تأسيس دولة بني الأحمر :

تأسست الدولة النصرية في وقت كانت الأندلس تعيش أصعب فتراتها فمن جهة تعاني الضعف بعد هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب 609 هـ/ 1212 م وما لحق ذلك من ثورات وانتفاضات ، ومن جهة أخرى تحركات الإسبان سعيا لاحتلال ما تبقى من الأندلس ، فظهر مُحَمَّد بن الأحمر على الساحة وحاول جمع وتوحيد الأندلسيين تحت رايته ، وتمكن في الأخير من تأسيس دولته التي صمدت في وجه الهجمات الإسبانية أكثر من قرنين من الزمن من (7 ـ9 هـ / 13 ـ 15 م).

يعود أصل بنو الأحمر إلى أرخونة من حصون قرطبة ، وكانوا من أصحاب الوجاهة في ناحيتهم ينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج [2] وكبيرهم أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي مؤسس الدولة النصرية ويلقب بالغالب بالله [3] ويعرف بالشيخ ، وأبي الدبوس [4] ، كان السلطان مُحَمَّد بن الأحمر " آية من آيات الله في السذاجة والسلامة والجهورية " يتصف بالشجاعة والتجلد رافضا للراحة ، وكان يميل إلى التقشف مبتعدا عن التصنع حازما ، متواضعا في ملبسه يخصف النعل ويلبس الخشن ، مقداما يشارك في الحروب بنفسه ، وقد تناقل الناس الكثير من الحكايات التي تصف بطولاته في المعارك [5].

---

[1] ـ مدينة من أعمال رية تقع على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية ، كانت مقصدا للمراكب والتجار فازدهرت كل جوانب الحياة فيها وانتشر وتضاعف فيها العمران حتى أصبحت أرشذونة وغيرها تابعة لها أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 43 .

[2]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 04 ، ص 218.

[3] . لسان الدين بن الخطيب ، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1347 ، ص 30 .

[4] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 218 .

[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 30 .

ارتسمت حدود مملكة غرناطة [1] وامتدت من جيان وبياسة [2] (Baeza) حتى البحر ومن الجهة الشرقية حتى ألمرية وفي الجهة الغربية حتى مصب الوادي الكبير [3] (Guadal quivir)، ويمر في وسطها نهرا شنيل [4] (Genil)، والدارو [5] (Duero) ، وبها جبال سييرا نيفادا (Sierra Nevada) ، وهضبات البشرات (Alpujarras)[6] " فهي في وقتنا هذا قاعدة الدنيا ، وقرارة العليا ، وحاضرة السلطان ، وقبة العدل والاحسان ، لا يعدلها في داخلها ولا خارجها بلد من البلدان ، ولا يضاهيها في اتساع عمارتها وطيب قرارتها وطن من الأوطان "[7] ، و تضم مملكة غرناطة مجموعة من المدن كالوادي آش ، و المنكب [8] (Almunacar) ، و لوشة وغيرها ، ومن أعمال ألمرية أندرش و غيرها ومن أعمال مالقة بلش و الحامة و غيرهما [9]، وعاصمة المملكة مدينة غرناطة ومعناها الرمانة باللغة الإسبانية ، اتخذته المملكة شعارا لها ومازال راسخا في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة على باب قصبة الحمراء الرئيسي إلى غاية الآن [10].

---

[1] أنظر الملحق رقم : 01 .

[2] . مدينة صغيرة تبعد عن جيان بعشرين ميلا ، وعن مدينة أبدة من جهة الشرق بسبعة أميال وهي مطلة على الوادي الكبير الذي يشق قرطبة ، تنتشر فيها الأسوار والأسواق والمتاجر أنظر الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 568 . 569 .

[3] ينبع هذا الوادي من جبل فتح الديلم المشرف على قيجاطة ، كان يسمى قديما توفير وسمي بالوادي الكبير في عهد بني أمية ، و حسب بعض الروايات المنتشرة بين الناس هذا الوادي ووادي تدمير الذي يقطع مرسية ينبعان من عين واحدة تنقسم إلى نصفين نصف يشق قرطبة ، والنصف الآخر يشق مرسية أنظر الزهري ، **المصدر السابق** ، ص ص 97 . 98 .

[4] . يشق نهر شنيل مدينة غرناطة و يسمى أيضا نهر الثلج وهذا لأنه ينبع من جبل شلير وهو جبل شديد الارتفاع تكسوه الثلوج في كل فصول السنة أنظر الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 569 . 570 .

[5] . كان يسمى بنهر قلزم ثم تغير اسمه فأصبح يعرف بنهر حدارة ، وهذا النهر هو الذي يزود الحمامات ودور الكبراء في مدينة غرناطة بالماء ، كما كان الناس يلتقطون منه " سحالة الذهب "أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 195 .

[6] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 20 .

[7] . لسان الدين بن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق بوزياني دراجي ، دار الأمل للدراسات ، الجزائر ، 2009 ، ج 1 ، ص 173 .

[8] . مدينة ساحلية بالأندلس من أعمال البيرة تبعد عن غرناطة بأربعين ميلا . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 216 .

[9] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 165 . 166 .

[10] . محمد عبد الله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997 ، ص 160 .

يعود قيام مملكة بنو الأحمر في الطرف الجنوبي من الأندلس لما يكتسيه المكان من أهمية استراتيجية وذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التي تقع فيما وراء نهر الوادي الكبير تكون بعيدة عن العدو وفي نفس الوقت تكون قريبة من بلاد المغرب ، وهنا يمكنها طلب وتلقي المساعدة من بلاد المغرب وقت الخطر[1]، وتدفق على هذه المملكة بعد نشأتها العديد من المهاجرين الأندلسيين الذين سقطت مدنهم في يد الإسبان كبلنسية [2]، مرسية ، جيان ، إشبيلية ، قرطبة وغيرها " ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت المصر المقصود " [3] فغدت الملاذ والأمل لكل الأندلسيين المغلوب على أمرهم فأصبحوا يتطلعون إلى المدد الذي سيأتيهم منها [4].

قام ابن الأحمر ببناء حصن الحمراء وجلب إليه الماء [5]، كما بنى أهراء الحبوب ومحابس الماشية ، وشيئا فشيئا امتلأت خزائن الدولة بالمال الذي كان يشرف عليه هو شخصيا [6] ، كما أنشأ دورا للعجزة والعميان ، وبنى مستشفى ، ومدارس ومنازل للغرباء بدون تمييز، وكان يعقد مجلسا عاما مرتين في كل أسبوع يستمع فيه إلى قصائد الشعراء ويستقبل تظلمات ومطالب الناس ، ويستقبل الوفود المختلفة ويعقد المشاورة في شؤون الدولة مع أعيان الحضرة من القضاة وأولو الرتب النبيهة[7].

---

[1] . عنان ، **نهاية** ، ص 37 .

[2] . هي قاعدة تدمير تبعد عن بلنسية بخمس مراحل ، وعن قرطبة بعشرة مراحل ، مدينة يسودها الرخاء ، فيها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة . أنظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 539 .

[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص 148 ؛ بوحسون عبد القادر ، **الأندلس في عهد بني الأحمر** ، (**رسالة دكتوراه**) ، جامعة تلمسان ، 2013 ، ص 29 .

[4] . جمال يحياوي ، **سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1492. 1610** ، دار هومة ، الجزائر ، 2004 ، ص 28 .

[5] . **The Encyclopaedia of Islam** , L eiden E . J . Brill , 1991 , P 1014 .

[6] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 31 .

[7] . **نفسه** ، ص ص 31 . 32 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 26 .

ثالثا . مميزات الدولة :

على الرغم من صغر مساحتها والظروف السياسية التي أفرزت قيامها تميزت مملكة بني الأحمر بالازدهـار في الكثير من المجـالات ، و خصهـا الله وأغدق عليها الخيرات ، فوجدت فيها الأقــوات و الفواكه لذيذة ، والحيوانات الفارهة ، والمياه الكثيرة ، والعمران المتسع كالبحر ، واللباس المصنوع بجودة عالية ، والهواء النقي [1] .

1 . المميزات السياسية و العسكرية لدولة بني الأحمر :

أ . نظـــــام الحكــــم في دولة بني الأحمر :

كان نظام الحكم في الدولة ملكيا وراثيا ، و في البداية أعلن ابن الأحمر ولاءه للمستنصر العباسي (624 . 640 هـ / 1226 . 1242م) ، وبعدها عاد وأعلن ولاءه للدولة الحفصية [2]، وتداول على الحكم ستة عشر ملكا [3] اختلفت مدة حكم كل واحد منهم ، أولهم مُحَمَّد بن يوسف بن الأحمر مؤسس الدولة حكم بين سنوات (629 . 672 هـ / 1232 . 1273م) ، جاء بعده مُحَمَّد الثاني بن مُحَمَّد بن يوسف بن نصر الملقب بالفقيه حكم من (672 . 701 هـ/ 1273 . 1302 م) ، ثم حكم مُحَمَّد الثالث المخلوع الذي بين سنوات (701 . 708 هـ/ 1302 . 1309 م) ، ثم نصر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يوسف بن نصر ويكنى بأبي الجيوش وحكم بين سنوات (708 . 713 هـ / 1309 . 1314 م)، ثم أبو الوليد إسماعيل الأول (713 . 725 هـ/ 1314 . 1325 م) ، وصولا إلى أبو عبد الله الزغل (890 . 892 هـ/ 1485 . 1487 م)، ثم أبو عبد الله مُحَمَّد الصغير (892 . 897 هـ/

---

[1] . شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني ، **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، تحقيق مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939 ، ج 1 ، ص 61 .

[2] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 32 .

[3] . أنظر الملحق رقم : 2

1487 . 1492 م) والذي لقب بالصغير تمييزا له عن عمه أبو عبد الله الزغل وهو آخر الأمراء ففي عهده سقطت مملكة غرناطة في يد الإسبان [1].

ب . جيش دولة بني الأحمر :

اهتم أمراء بنو الأحمر بتنظيم الجيش منذ تأسيس الدولة وكان لمملكة غرناطة من القوة العسكرية ما يمكنها من المحافظة على سيادتها و استقلالها ، فقد جمع ابن الأحمر حوله رجالا كانوا سندا له في بناء دولته وقوتها وكانوا جميعا من قرابته من بني نصر وأصهاره من بني أشقيلولة عبد الله وعلي [2] .

و تعزز جيشه بانضمام جنود مغاربة من القبائل المرينية ، والزناتية ، والتجانية ، والمغراوية ، والعجيسية ، والعرب المغربية [3]وصلت على عدة دفعات ، كانت الأولى في عهد مُحَّد الأول من قبائل زناتة استعان بهم للقضاء على الاضطرابات التي شهدتها المملكة أثناء فترة حكمه ، أما الثانية فكانت في عهد الأمير مُحَّد الفقيه (672 ـ 701 هـ/ 1273 ـ 1302م) و كانوا من الجنود الثائرين على الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق [4] استعملهم لكبح تمردات أقاربه من بني أشقيلولة ، واستمر انضمام الجنود المغاربة إلى جيش بني نصر بعد ذلك حتى أصبحوا يشكلون نسبة عالية فيه[5]، كما انظم إلى جيش بني الأحمر أيضا حوالي خمسين ألفا من الجنود اللذين غادروا المدن الأندلسية بعد سقوطها و دخلوا تحت طاعة أمراء غرناطة و قدموا سواعدهم وسيوفهم للذود عن المملكة [6].

---

[1]. شكري ، **المرجع السابق** ، ص 56 . 57 .

[2]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 218 .

[3]. ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 1 ، ص 258 .

[4]. يكنى أبا يوسف بويع أميرا سنة 656 هـ / 1258 م كان هذا الأمير متدينا " صواما قواما دائم الذكر كثير الفكر " حارب الموحدين إلى أن قضى على دولتهم ، ويعتبر المؤسس لمدينة البيضاء دار الإمارة ، توفي بالجزيرة الخضراء سنة 685 هـ/ 1286م . أنظر إسماعيل بن الأحمر ، **روضة النسرين في دولة بني مرين** ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962م ، ص 17 و ما بعدها .

[5]. شكري ، **المرجع السابق** ، ص 74 .

[6]. لين بول ستانلي ، **قصة العرب في إسبانيا** ، تر علي الجارم بك ، كلمات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب ت ط ، ص 134 .

كما اهتم أمراء بنو الأحمر بتحصين المملكة لحمايتها ضد أي خطر فبنوا مجموعة من القلاع و الأبراج والحصون فوق صخور شاهقة تشرف على السهول والأودية تحسبا لأي هجوم يداهم المدينة و هذا منذ عهد الأمير مُحَمَّد الفقيه [1].

. قيادة الجيش :

تولى الأمير مُحَمَّد الأول قيادة الجيش الأحمري بنفسه وبعد بسط سيطرته على مملكة غرناطة واستقرار الأمور عين ابن أشقيلولة قائدا للجيش ، ويذكر ابن الخطيب أن مؤسس الدولة عقد اتفاقا مع صهره ابن أشقيلولة على قسمة ما يتحصلان عليه من الملك ، ولما عرض عليه الأمر رد عليه قائلا : " أنا أمي لا أكتب و عزك عزي و ملكك ملكي " فاسكنه بالقصبة و عينه قائدا للجيش [2].

و بعد ذلك أسندت هذه المهمة لأحد أفراد الأسرة الحاكمة أو الشخصيات البارزة في المملكة، و عند اعتلاء الأمير مُحَمَّد الخامس (755 ـ 760 هـ / 1354 ـ 1359 م) للسلطة أولى أهمية كبيرة لتنظيم الجيش فرفع أجورهم ، كما أسس ديوان الجيش للإهتمام بانشغالات الجنود وكل ما يتعلق بالأمور العسكرية [3] .

. تنظيم الجيش :

انقسم الجيش في عهد بني الأحمر إلى قسمين الفرسان و المشاة [4] مقسمة بدورها إلى مجموعة من الفرق على حسب نوع السلاح الذي يحملونه " و استركاب حملة الرايات خلفهم كل منهم بسمة

---

[1] . فائزة حمزة عباس ، **المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية** ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، العدد 1 ، مج 12، 2012 ، ص 438 .

[2] . لسان الدين بن الخطيب ، **أعمال أعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** ، تح ليفي بروفنسال ، دار المكشوف بيروت ، 1956 ، ص 287 .

[3] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 74 .

[4] . خوسيه أنطونيو كندة ، **تاريخ حكم العرب في إسبانيا** ، تر لارا نيكولا قالية ، هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة ، أبوظبي ، 2014 ، ص 283 .

تخص سلاحه و شهرة يعرف بها "[1] ، و فيما يخص اللباس لم يلبس الأمير مُحَّد بن الأحمر ولا جنوده العمائم التي كانت تقليدا سابقا [2] فكان لباسهم في البداية شبيها بلباس جيرانهم الإسبان " و زيهم في القديم شبه زي أقتالهم و أضدادهم من جيرانهم الفرنج " [3] وتمثلت ألبستهم في الدروع و تعليق الترسة ووضع البيضات على الرؤوس (الخوذ) لحمايتها ، بالإضافة إلى السروج ، أما الأسلحة فكانت الأسنة [4]، و التراس ، و الرماح ، و المغافر ، و السيوف [5] و لم يستعملوا الدبابيس ولا قسي العرب ، و كانوا يستعملون في محاصراتهم قسي الإفرنج [6] ، و يمتطون خيلا ضخمة الأجسام "حصونا للقتال " لها قدرة كبيرة على حمل الدروع و الأسلحة الثقيلة [7] و المتمثلة في الآلات الضخمة قاذفات كرات النفط والتي كانت تثير الذعر في نفوس العدو ، وفي ذلك كتب الشاعر أبو زكريا بن هذيل التجيبي واصفا قوة هذه الآلات في الحرب يقول :

و ظَنُّوا بِأَنَّ الرَّعْدَ و الصَّعْقَ في السَّما فَحَاقَ بِهِمْ مِنْ دُونِهَا الصَّعْقُ و الرَّعْدُ [8].

و مع الوقت تم التّخلي عن هذه الترتيبات و تعويضها بأخرى أندلسية مثل الجواشن المختصرة (الدروع) و البيضات المذهبة ، والسروج العربية ، واليلب اللمطية (و هي عبارة عن دروع مصنوعة من جلود الابل توضع على الرؤوس مكان البيض) ، و الأسل اللطيفة ، و تميز الجند الغربي عن سائر الجنود بارتدائهم العمائم " و العمائم تقل في زي أهل الحضرة إلا ما شذ في شيوخهم و قضاتهم

---

[1]. ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 1 ، ص 257 .
[2]. المقري ، **نفح** ، ج 1 ، ص 222 .
[3]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 257 .
[4]. **نفسه** ، 257 .
[5]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 202 .
[6]. **نفسه** ، ص 222 .
[7]. **نفسه** ، ص 199 .
[8]. ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 72 .

و علمائهم و الجند الغربي منهم " [1] و كان الجند يضعون العمائم ويشدونها فوق البيضة على الرأس فوق القلنسوة [2] .

كما سن أمراء بنو الأحمر مجموعة من الإجراءات الصارمة لتسيير الجيش و ضبطه ومنع الانشقاقات والمناورات داخله ، وأثناء الحروب مع النصارى فرض على الجنود جملة من القوانين منها ضرورة موافقة أهل الجنود على اشتراكهم في الحروب إلا في الحالات التي يستدعي فيها تجنيد الجميع ، و أثناء المعارك منع على الجنود قتل النساء و الأطفال و الشيوخ و المصابين والمرضى والرهبان المحبوسين إذا لم يكونوا مسلحين أو محاربين في صفوف العدو[3] .

ج . مقر الحكم " قصر الحمراء " :

برع الأندلسيون في مجال العمران وتمكنوا من تصميم مباني غاية في الروعة والاتقان وأجمل هذه المباني قصر الحمراء بغرناطة [4] الذي يعتبر أعجوبة من عجائب الدنيا في زماننا بسبب الاتقان في إنجازه والنقوش والزخارف التي تزين جدرانه ، شيده الأمير مُحَّد بن نصر مؤسس الدولة على أنقاض قلعة قديمة [5] على منحدر جبل شلير[6] الذي يشرف على مدينة غرناطة " تحيط به المروج خضراء ،

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 28 .

[2] . عبد الحفيظ حيمي ، **نظام الشرطة في الغرب الإسلامي 2 . 6 هـ / 8 . 12 م** ، (**رسالة دكتوراه**) ، جامعة وهران ، 2015 ، ص 212 .

[3] . كنده ، **المرجع السابق** ، ص 283 .

[4] . وات منتغمري ، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، تر مُحَّد رضا المصري ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، 1998 ، ص 183 .

[5] . فون شاك ، **الفن العربي في إسبانيا و صقلية** ، تر الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ص 119 .

[6] . هو جبل مكسو بالثلوج طوال فصول السنة وعند طرفه السفلي تنتشر المساكن المتصلة ببعضها البعض . أنظر الزهري ، **المصدر السابق** ، ص 93 .

وعند المرور تحت الأشجـــار المحيطة بالقصر تسمع تغريد العصــافير وخرير المــياه المتدفقة في سواقي و قنوات القصر" [1] وجلب إلى القصر الماء وزوده بمخازن للحبوب والماشية على اختلافها [2] .

تمتد جدران حصن الحمراء بأبراجها العالية على طول الرابية المحاذية لغرناطة متوازية مع جبال سيرا نيفادا ، يتسع هذا الحصن لاحتواء أربعين ألف مقاتل[3]، وقام ابن الأحمر بتشييد الكثير من الأبراج المنيعة حول القصر منها البرج الكبير المسمى برج الحراسة ،كما بنى سورا ضخما حوله ، و في أواخر القرن 7 هـ / 13 م قام مُحَمّد الفقيه ثاني أمراء بنو الأحمر ببناء الحصن الجديد والقصر الملكي ، وقام ابنه مُحَمّد أيضا ببناء مسجد إلى جوار القصر ، أما الرسوم والزخارف التي تزين القصر فتعود لعهد الأمير يوسف أبي الحجاج (733 . 755 هـ / 1333 . 1354 م)كما بنى معظم الاجنحة والأبهاء الملوكية وباب الشريعة [4]، وتعد هذه الزخارف أجمل ما أبدعته يد انسان في مجال الزخرفة [5]رغم استعمالهم لمواد فقيرة هشة ، زينت جدران الحجرات بحشوات جصية تشبه السجاجيد موزعة عليها زخارف ذات تأثيرات مرابطية و موحدية [6] .

إلى جانب الزخارف يوجد جداريات بديعة نقشت عليها أشعار للشاعر ابن زمرك وهي موزعة في عدة مواقع في قباب القصر وجدرانه ، و طبقات أبوابه الخشبية والحجرية ، وفي رخام نافورة الأسود مشكلة تسعا وعشرين قطعة [7]، و كانت أغلب مواضيع النقوش المدح والوصف والفخر إلى جانب مواضيع أخرى كالشكر والتهنئة وغيرها [8] .

---

[1] - لوبون ، **المرجع السابق** ، ص 305 .

[2] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 31 .

[3] . واشنطن ايرفينغ ، **الحمراء** ، تر هاني يحي نصري ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، 1996، ص ص 47 . 48.

[4] . عنان ، **الآثار** ، ص 186 .

[5] . **أنظر الملحق رقم** : 03

[6] . ج . س كولان ، **الأندلس** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980 ، ص ص 173 . 174 .

[7] . حميدة صالح البلداوي ، **جداريات شعرية في قصر الحمراء** ، مجلة كلية التربية للبنات ، مج 21 ، 2010 ، ص 2 .

[8] . سعد مُحَمّد العزايزة ، **شعر النقوش عند ابن زمرك الاندلسي** ، مجلة الجامعة الاسلامية ، مج 13 ، العدد 2 ، 2005 ، ص 5 .

ومن مرافق القصر أيضا الساحة التي يطلق عليها فناء البركة أو فناء الريحان أول ما يقابلك عند دخولك إلى القصر ، وهي عبارة عن فناء كبير في وسطه توجد بركة من الماء تحفها أشجار الريحان ، ثم تجد بهو صغير يؤدي إلى بهو قمارش أو بهو السفراء وهو أعظم بهو في القصر ، يحتوي هذا البهو على قبة شاهقة مازالت تحتفظ بنقوشها الأصلية وتتكرر فيها عبارة (عز لمولانا السلطان أبي الحجاج) ، وعبارة أخرى هي شعار بني نصر (ولا غالب إلا الله) ، كما يوجد في هذه القبه قصيدة للشاعر ابن زمرك من أربع وعشرين بيتا يصف فيه الروض والقبة وقد بدأ قصيدته بقوله:

أنا الرَّوْضُ قدْ أصْبَحْتُ بالحُسْنِ حَالِيَا تَأَمَّلْ جَمَالِي تَسْتَفِدْ شَرْحَ حَالِيَا

كما يصف جمال هذا الروض قائلا :

ولمْ نرَ رَوْضًا مِنْهُ أنْعَمَ نَضْرَةً وأعْطَرَ أَرْجَاءً وأحْلَى مَغَانِيَا [1].

و أشهر المرافق و أجملهـــا في القصر هو بهو الأسود ، يحتوي هذا البهو على مئة و ثمـــانية و عشرون عمودا من المرمر مصفوفة ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة بشكل متناسق بديع ، ولم يخل هو أيضا من الزخارف الجميلة النادرة ، ومن مرافق القصر أيضا الحمامات المزينة بالرسومات ، و الزليج الجميل وبها فوارة ينبع منها الماء يصدر صوت شبيه بالإيقاعات الموسيقية المنبعثة من المشارف حيث كان القيان يجلسون للعزف لسيدات القصر أثناء الاستحمام ، أو هن مضطجعات على الأرائك الذهبية ، و خصص لكل مستحم صخرة عظيمة مصنوعة من المرمر في غرفة سقفها من الزجاج المزين بأشكال من النجوم والورود يتسرب من خلالها الضوء إلى الداخل [2] .

و قد تميزت العمارة في عهد بني الأحمر بطغيان الطابع المدني أكثر من الديني فلم يكن هناك إقبال كبير على بناء المساجد و الحصون مثل المرابطين و الموحدين ، و تميز العمران في عهدهم

---

[1] . البلداوي ، **المرجع السابق** ، ص 2 .

[2] . ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 137 .

بمجموعة من الخصائص كالبساطة من الخارج و كثرة الزخارف في الداخل ، و استعمالهم في عملية البناء و الزخرفة مجموعة من المواد منها الحجارة ، و الجص ، و الخزف ، و الخشب ، و النحـــاس ، و الحديد ، و الرخام [1].

كما اهتم أمراء بني الأحمر بالبناء في المدن والقرى [2] فبنوا المســـاجد ، والمدارس ، والمستشفيات ، و الحمامات ، و الخانات ، و الأسواق[3] ، و في عهد الأمير محمد الرابع (725 . 733 هـ / 1325 . 1333 م) تم بناء سور دائري على الربض الكبير المنسوب للبيازين ، كما قام ببناء الأبراج المنيعة على الثغور و الروابي وصل عددها لأربعين برجا على امتداد البحر الشرقي من ثغر البيرة إلى الأحواز الغربية تظهر للعيان من بعيد كالنجوم [4] ، وفي عهد الأمير يوسف بن إسماعيل عرفت مدينة غرناطة مجموعة من التعديلات لتزيينها فقام ببناء عمارات بتصاميم هندسية غاية في الاتقان والجمال ، كما قام بإعادة بناء الجامع الأعظم و تزيينه بزخارف بديعة وبناء قصر على مقربة من مدينة مالقة خططه بنفسه و أنفق عليه أمولا طائلة [5]، وقد استمر الاهتمام بالعمران في عهد ابنه الأمير محمد الخامس الذي عرفت المملكة في عهده ازدهارا كبيرا في المجال المعماري [6] .

---

[1] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 153 .
[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 205 .
[3] . فون شاك ، **المرجع السابق** ، ص 119 .
[4] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص ص 97 . 98 .
[5] . كندة ، **المرجع السابق** ، ص 272 .
[6] . فون شاك ، **المرجع السابق** ، ص 120 .

د . السكة :

يقول ابن الخطيب " و صرفهم فضة خالصة ، وذهب إبريز طيب " [1] إذ كانت النقود في عهد الأمير مُحَمَّد الأول شبيهة بنقود أسلافه الموحدين وهي عبارة عن دراهم فضية مربعة الشكل في الأوقية منه سبعون درهما ، منقوش على أحد أوجهه ((لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله)) و على الوجه الآخر ((لا غالب إلا الله ، غرناطة)) ، ثم القيراط الذي يساوي نصف درهم منقوش على وجهه ((الحمد لله رب العالمين)) وفي الوجه الآخر ((ما النصر إلا من عند الله)) ، و نصفه وهو الربع منقوش على أحد أوجهه ((هدى الله هو الهدى)) و في الوجه الآخر ((العاقبة للتقوى)) [2] .

و أبقى أمراء بني الأحمر على هذه النقود مدة ثم عدلوا عن ذلك و جعلوا عملة الدولة الدينـار و هو من الذهب الخالص و الأوقية منه ستة دنانير و ثلثا دينـار، و في الدينـار الواحد ثمن أوقيـة و خمس ثمن أوقية عليه نقوش على أحد أوجهه ((قل اللهم مالك الملك بيدك الخير)) ، يستدير به ((إلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمان الرحيم)) ، و على وجهه الآخر ((الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر ، أيد الله أمره)) ، و يستدير به شعار أمراء بني الأحمر ((لا غالب إلا الله)) ، وكانت هذه النقوش تعدل بين فترة و أخرى ففي عهد الأمير الغني بالله نقش على أحد أوجه الدينار ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون)) ، ويستدير به ((لا غالب إلا الله)) ، وفي وجهه الآخر ((الأمير عبد الله الغني بالله مُحَمَّد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر أيده الله وأعانه)) ، ويستدير به ((بمدينة غرناطة حرسها الله)) [3].

---

1 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 261 .

2 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 261 . 262 .

3 . **نفسه** ، ص ص 262 . 263 .

2. العلاقات الخارجية لدولة بني الأحمر :

أ . مع دول المغرب الاسلامي :

ارتبطت بلاد الأندلس والمغرب بعلاقة وطيدة منذ عملية الفتح التي تمت بسواعد المغاربة ، فكانت بلاد المغرب دائما امتدادا للأندلس في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وملاذ وملجأ الأندلسيين وقت الخطر ، فقد هب المرابطون بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين لنجدتهم في معركة الزلاقة [1] (sagrajas) (479 هـ / 1086 م) ، ولما وصل الموحدون للحكم (515 ـ 666 هـ / 1121 ـ 1269 م) وحدوا الأندلس والمغرب تحت رايتهم لعشرات السنين ، واستمرت هذه العلاقة الطيبة تقليدا يحافظ عليه أغلب سلاطين الأندلس إلى غاية عهد بني الأحمر .

ب ـ مع دولة بني مرين :

تعتبر الدولة المرينية الأقرب إلى الأندلس جغرافيا وارتبطت مع دولة بنو الأحمر بعلاقات متينة مبنية على التعاون في شتى المجالات خاصة في المجال العسكري ، فكان أمراء بنو الأحمر يطلبون العون والسند من أمراء الدولة المرينية أثناء الخطر أو الحصار ، ويرسلون السفارات والهدايا من حين لآخر حفاظا على هذه العلاقات ، ويختارون من يمثلهم في هذه السفارات بعناية فائقة ، ففي سنة 755 هـ/ 1334 م أرسل الأمير الغني بالله سفارة إلى الأمير المريني أبي عنان المريني [2] ووضع على رأسها وزيره لسان الدين بن الخطيب [3]طلبا للعون ضد تهديدات النصارى ، ولما مثل ابن الخطيب بين يدي الأمير المريني استأذنه في إلقاء بعض الأبيات فأذن له " وأنشد وهو قائم " :

---

[1] ـ هي معركة وقعت سنة 479 هـ/ 1086 م بين الإسبان والأندلسيون بقيادة المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وجيش المرابطين بقيادة يوسف ابن تاشفين في سهل الزلاقة لذلك سميت بهذا الاسم ، كان النصر في هذه المعركة حليف المسلمين .أنظر شوقي أبو خليل ، **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ب ت ط ، ص 54 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 18 .

[3] ـ هو لسان الدين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله ابن سعيد بن أحمد السلماني نسبة إلى سلمان أحد أحياء مراد القحطانيين ، كان مولده في الخامس والعشرين من شهر رجب عام 713 هـ/ 16 نوفمبر سنة 1313 م في بيت معروف بالعلم والأدب والجاه ،

خليفةَ اللهِ ساعَدَ القَـــــدَرُ عُلاكَ مَا لاحَ فِي الدُّجَى قَمَرُ

ودافَعَتْ عنكَ كَفُّ قُدْرَتِـــهِ ما لَيْسَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ البَشَرُ

وكانت هذه الأبيات كافية لتحقيق مطالبه فقد أعجب الأمير المريني بهذه الأبيات وقال لابن الخطيب : " ما ترجع إليهم إلا بجميع عطائهم " و لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على الأمير إلا لسان الدين بن الخطيب [1] .

وفي سفارة أخرى أرسلها الأمير الغني بالله مُحَمَّد الخامس (755 ـ 760 هـ / 1354. 1359م)[2] إلى الأمير أبي عنان فارس يطلب الشفاعة للفقيه قاضي الجماعة بمدينة فاس مُحَمَّد المقري (ت 758 هـ/1357 م)[3] وضع على رأسها الشيخين قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني السبتي (697 . 733 هـ/ 1297 . 1332م) والخطيب أبي البركات بن الحاج البلفيقي (664 . 770 هـ/ 1265 . 1368م) ، وكان الفقيه المقري وصل إلى مملكة غرناطة في أوائل جمادى الثانية عام 757 هـ/ 1356 م مبعوثا من طرف الأمير المريني في سفارة خاصة ولما انتهى من مهمته قرر عدم العودة إلى المغرب والبقاء

كان ابن الخطيب طالبا مثابرا مواظبا على الدراسة وشيئا فشيئا بدأت موهبته في الظهور فبرع في الكتابة نثرا وشعرا وألف العديد من الكتب في عدة مجالات كالأدب والتاريخ والطب أشهرها الإحاطة في أخبار غرناطة من ثمانية أسفار ، والصيب والجهام جمع فيه ما كتبه من شعر وكتاب مفاضلة مالقة وسلا ، ورسالة الطاعون ، وكتاب عائد الصلة من سفرين أيضا ونفاضة الجراب في عدة أسفار وكتاب طرفة العصر في دولة بني نصر في سفرين واعمال الاعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام في ثلاثة أسفار وهو آخر ما ألف .أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 75 ؛ البغدادي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، 167 ؛ ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 440 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 445 . 446 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 330.

[1] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص ص 441 . 442 .

[2] . هو الأمير مُحَمَّد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر تولى الحكم بعد وفاة أبيه ، قضى خمسة سنوات في الحكم ثم وقعت الفتنة التي أفقدته الملك سنة 760 هـ/ 1358م واسترجعه سنة 762 هـ/ 1361م ، وحكم عهدته الثانية التي استمرت حتى 794 هـ/ 1392م . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 100 و ما بعدها ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 37 . 39 .

[3] ـ هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن القرشي التلمساني المعروف بالمقري أصله من تلمسان بها ولد ونشأ وقرأ الفقه والتفسير والعربية و يعتبر واحد من علماء المدينة ، عينه الأمير المريني ابن عنان قاضي في فاس ، ثم قضاء العساكر عند انتقال الأمير المريني إلى قسنطينة ، توفي أثناء عودته إلى فاس سنة 758 هـ/ 1357م ، ونقل بعد ذلك إلى تلمسان . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 420 وما بعدها ؛ أبو الحسن النباهي ، **تاريخ قضاة الأندلس** ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 ، ص 209 .

للإقامة في مالقة ، ولما وصل الخبر إلى الأمير المريني أنكر منه ذلك وتوعده فقدم الشيخ المقري إلى غرناطة طالبا الشفاعة ، فأرسل الأمير الغني بالله الوفد يطلب له الشفاعة ، فاستجاب الأمير المريني لطلبه وعفى عنه [1].

وكلّما حل الخطر بمملكة بني الأحمر يهب المرينيون لدفع هذا الخطر مشاركين في أغلب المعارك بجيوشهم وأسلحتهم ، ومن بين المعارك التي شاركوا فيها معركة بجبل الفتح سنة (733 هـ / 1332 م) " ووفد على ملكه الأمير الشهير أبي الحسن علي بن عثمان ين يعقوب بن عبد الحق مستصرخا إياه فأعظم وفادته " [2] ، كما شاركوا في موقعة طريف [3] (**Salado**)(**741** هـ / **1340** م) .

وفي أيام السلم كان أمراء الدولتين يتبادلون الرسائل والهدايا فيما بينهم ، و من ذلك مثلا يذكر ابن الخطيب في كتابه كناسة الدكان بعض الرسائل التي تبادلها الأمير يوسف الأول [4](734 ـ 755 هـ / 1333 ـ 1354 م) مع الأمير المريني أبي عنان فارس[5] (749 ـ 759 هـ / 1348 ـ 1358 م) واحدة لتبادل أواصر المودة [6]، وأخرى يشكر فيها يوسف الأول السلطان المريني أبي عنان على هدية كان قد بعثها له [7].

[1] ـ لسان الدين بن الخطيب ، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان** ، تح مُحَمَّد كمال شبانة ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، ب مكا ، ب ت ط ، ص 153 .

[2] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص ص 80 . 81 .

[3] . **نفسه** ، ص 92 .

[4] ـ هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ين يوسف يكنى أبا الحجاج تولى الحكم بعد وفاة أخيه السلطان مُحَمَّد الرابع وعمره خمسة عشر عاما ، عاشت الدولة أثناء حكمه عهدها الذهبي . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، 89 وما بعدها ؛ شكري **المرجع السابق** ، ص 35 .

[5] ـ هو الأمير فارس بن علي ين عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا عنان ويلقب بالمتوكل على الله ، بويع بالحكم في تلمسان ووالده على قيد الحياة سنة 759 هـ/ 1358 م، دام حكمه تسعة سنوات وتسعة أشهر . أنظر ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 27 .

[6]. ابن الخطيب ، **كناسة** ، ص 129 .

[7]. **نفسه** ، ص 126 .

ج . مع دولة بني زيان :

ولم يختلف الأمر مع الزيانيين في المغرب الأوسط فكان أمراء بنو الأحمر يلجؤون إليهم لطلب العون كلما احتاجوا إلى ذلك وهو ما يؤكد الصلة الوثيقة التي جمعتهم ، فعندما عبر يعقوب بن عبد الحق البحر للجهاد في الأندلس وحقق انتصارات في إشبيلية وقرطبة في المرة الأولى عبر مرة أخرى وتمكن في هذه المرة بقوته وحنكته من تملك مالقة وافتكاكها من يد بني أشقيلولة ،

فتوجس منه الأمير محمد الفقيه[1] (672 ـ 701 هـ / 1273 ـ 1302م) وخشي أن يقع معه ما وقع من يوسف بن تاشفين [2] (400 ـ 500 هـ / 1009 ـ 1106م) مع المعتمد بن عباد [3] (ت 488 هـ/ 1095 م) ، فتحايل عليه محمد الفقيه حتى تخلى عن مالقة ثم راسل الأمير يغمراسن بن زيان [4](633 ـ 681 هـ/ 1236 ـ 1283 م) واتفق معه على شن الغارات على ثغوره ليشغله عنهم فأجابهم

[1] ـ ثاني ملوك بنو الأحمر تولى الحكم بعد وفاة أبيه محمد بن الأحمر مؤسس الدولة ، يلقب بمحمد الثاني ، والفقيه بسبب اهتمامه بالعلم والعلماء وقراءة القرآن وقرض الشعر لمزيد من المعلومات أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 37 وما بعدها ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 26 .

[2] ـ هو يوسف ابن تاشفين بن إبراهيم بن نرقوت ابن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري الصنهاجي، ينتمي إلى عبد شمس بن وائل بن حمير ولد سنة 400هـ / 1009 م يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى ، تبنى الجهاد طوال فترة حكمه فتوسع في البلاد إلى أن تمكن من ضم مناطق واسعة في المغرب والأندلس وجزائر بني مزغنة . أنظر ابن أبي زرع ، **المصدر السابق** ، ص 136 . 137 .

[3] ـ اسمه أبو القاسم محمد لقب بالمعتمد على الله أمير إشبيلية تولى الحكم فيها سنة 461 هـ / 1069م خلفا لوالده ، اشتهر المعتمد بن عباد بنظم الشعر مثل والده وجده ، ومن كثرة حبه للشعر كان لا يستوزر كاتبا ولا وزيرا ما لم يكن شاعرا فاجتذب الشعراء إلى بلاطه حتى غدت إشبيلية عاصمة للثقافة في الأندلس ، مكث في حكمه إلى أن بسط المرابطون سيطرتهم على الحكم في الأندلس فسيق إلى المغرب ووضع في سجن أغمات إلى غاية وفاته سنة 488 هـ/ 1095 م. أنظر عبد المجيد حامد ، **المعتمد بن عباد ملك إشبيلية** ، تح عبد المجيد حامد وأخرون ، مطبعة دار الكتب المضرية ، القاهرة ، 2000 ، ص 8 وما بعدها .

[4] ـ تولى الحكم بعد خلع بني عبد المؤمن ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني عبد الواد في تلمسان وبعد حصوله على الملك قام باختيار رجاله من الوزراء والحجاب والكتاب وقادة الجيش فتمكن بعد مدة من فرض سيطرته على الدولة وعلى منافسيه وقضى حوالي ثمانية وأربعون سنة من الحكم أنظر محمد بن عبد الله التنسي ، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان** ، تح محمود بوعياد ، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 113 . 115 ؛ ابن الأحمر ، **تاريخ الدولة الزيانية** ، تح هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، 2001 ، ص 24 .

الأمير يغمراسن إلى ذلك" فشغل يعقوب عن شأن الجهاد حتى لقد سأله المهادنة وأن يفرغ لجهاد العدو فأبى عليه" [1].

وكانت مملكة غرناطة ملجأ الأمراء الزيانيين أيام الفتن والصراعات الدائرة بينهم على كرسي الحكم ففي سنة 694 هـ / 1294م لما خشي الأمير الزياني أبو سعيد ابن يغمراسن [2](681 ـ 703 هـ / 1282 ـ 1303م) على مستقبل أبنائه في ملك بني زيان أجاز ابن أخيه عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن وأولاده إلى الأندلس لإبعاده ، وبقي الأمير عبد الرحمن هناك " مكرما موفى البر معروف القدر " [3] ، ودخل المغرب بعد سنوات طلبا من ملك المغرب[4] ، ثم عاد مرة أخرى إلى الأندلس سنة 713 هـ/ 1313م واستقر في غرناطة إلى غاية استشهاده في معركة فرتونة سنة 716 هـ/ 1316 م" إلى أن استشهد نضر الله وجهه يعد منال عظيم من عدو الله وعناء كبير في ملة رسول الله " [5].

د . مع دولة بني حفص :

وفي المغرب الأدنى كان الحفصيون سندا وملاذا آمنا للأندلسيين الفارين من هجمات النصارى المتكررة [6] ، و عقدوا علاقات وطيدة مع أمراء بنو الأحمر وهذا منذ تأسيس الدولة ، فقد خطب مُحَّد

[1]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 120 .

[2] ـ هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ثاني أمراء بن زيان ، جاء إلى الحكم بعد وفاة والده يغمراسن بن زيان اتصف بالصلابة والحزم شبيه بوالده ، قضى فترة حكمه في الدفاع عن بلاده ومحاولة توسيع رقعته واسترجاع بعض المناطق من بينها محاولته استرجاع بجاية من الحفصيين 1287 م . أنظر ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 25 .

[3] ـ يحي ابن خلدون ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تح بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ج 2 ، ص 42 .

[4] ـ استقبله ملك المغرب لمدة أيام بالمغرب فاطلع على العداوة التي بينه وبين ابن عمه أبي سعيد وحاول استغلاله لتحقيق مآربه ضد ابن عمه في تلمسان ثم انصرف من المغرب إلى تلمسان سنة 713 هـ / 1313م فأوجس السلطان أبي سعيد منه خيفة وصرفه إلى الأندلس مرة أخرى أنظر يحي ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 43 .

[5]. **نفسه** ، ص 44 .

[6] ـ وخير دليل على ذلك السفارة التي أرسلها أمير بلنسية برئاسة الشاعر ابن الآبار القضاعي طالبا المدد و الدعم لإنقاذ بلنسية من السقوط ، وأنشد ابن الأبار أمام الأمير الحفصي يومها أبياتا من الشعر غاية في البلاغة والتأثير ، واستجاب الأمير لطلبه يقول في الأبيات :

بن الأحمر للأمير أبو زكريا يحي بن عبد الواحد بن أبي حفص " وخاطبه السلطان والتمس رفده وحصل علة إعانته " ، واستمرت هذه العلاقة الطيبة مع الحفصيين حتى بعد وفاة الأمير أبي زكريا واعتلاء ابنه العرش من بعده[1] ، ووصلت هذه العلاقات إلى أوجها في عهد ثالث ملوك بنو نصر الأمير مُحَّد بن يوسف بن نصر مع الأمير الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص فقد تبادلا الرسائل والهدايا و في ذلك كتب أحد شعراء البلاط الأحمري قصيدة يتغنى فيها بهذه العلاقات قائلا :

وَلْتَفْتَخِرْ أَنْدَلُسُ أَنَّهَا بِعَدْلِهِ المشْهُورِ دارُ القَرَارِ

بِسَعْدِهِ دَانَتْ لها تُونسُ فاعْتَمَدَتْهَا بالهَدَايا الكِبَارِ [2]

هـ . مع بلاد المشرق :

كانت بلاد المشرق قبلة الأندلسيين بكل أطيافهم لاحتوائها على الأماكن المقدسة ، فقد كانوا يقصدونها للقيام بمراسيم الحج ، وارتياد المراكز العلمية المتوزعة في مكة ، والمدينة ، والقاهرة ، والاسكندرية، وغيرها من المدن ، لأخذ العلم على يد كبار العلماء في الفقه و علم الحديث واللغة العربية وغيرها[3]، و في بداية تأسيس دولة بني الأحمر كان الأمير مُحَّد بن الأحمر قد أعلن ولاءه للخليفة العباسي المستنصر ببغداد تأسيا بغريمه ابن هود [4] .

وعندما داهم الخطر الإسباني المملكة في السنوات الأخيرة التي سبقت سقوطها استنجد الأندلسيون في البداية بالمماليك في مصر و لكن طلبهم لم يلقى القبول [5] ، وبعد سقوط غرناطة في

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا *** إن السبيل إلى منجاتها درسا أنظر أبو العباس الغبريني ، **عنوان الدراية** ، تح عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ب ت ط ، ص ص 311 . 312 .

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 34 .
[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 52 .
[3] . أبي الحسن علي القلصادي ، **رحلة القلصادي** ، تح مُحَّد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978 ، ص 59 .
[4] . **نفسه** ، ص 31 .
[5] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 702 .

يد الإسبان (897 هـ/ 1492م) كتب بعض الأهالي رسالة مؤثرة مرفوقة بقصيدة طويلة للسلطان العثماني طالبين تدخله لإنقاذهم من بطش الإسبان لما كانت تتمتع به الدولة العثمانية من قوة عسكرية في المشرق لذلك نعتوه بسلطان المسلمين " ... السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، قامع أعداء الله الكافرين...ملك العرب والعجم والترك والديلم " ثم أردفوا قائلين أنه الأمل في الخلاص من الكفار واسترجاع وطنهم السليب " حامي الذمار ، وقامع الكفار ، مولانا وعمدتنا ، وكهفنا وغياثنا "[1].

رابعا . الحياة الاقتصادية في دولة بني الأحمر :

كانت الحياة الاقتصادية مزدهرة في مدينة غرناطة قبل عهد بني الأحمر فقد عرفت الصناعة والزراعة والتجارة تطورا كبيرا وامتلأت خزائنها بالمال ، ويعود ذلك إلى عوامل طبيعية خاصة بغرناطة كخصوبة الأراضي ووفرة الأنهار و انتشار الزراعة في القرى والأرياف ، ووفرة المواد الخام للصناعة ، بالإضافة إلى طرق المواصلات البرية والبحرية التي ربطت غرناطة والمدن الأندلسية الأخرى ، وعوامل سياسية نتجت بدخول المرابطين والموحدين إليها والذين أولوا عناية كبيرة للنشاط الاقتصادي بمجالاته الثلاث الصناعة والزراعة والتجارة للنهوض باقتصاد المغرب والأندلس[2]،واستمر هذا الازدهار الاقتصادي في عهد بني الأحمر بفضل الاهتمام بالزراعة و الصناعة الحرفية و التجارة[3].

1 . الزراعة :

برع الاندلسيون في مجال الزراعة وتمكنوا من تحويل مساحات شاسعة إلى جنان وبساتين خضراء ، فقاموا بتهيئة الأراضي البور ، ونقلوا إليها المياه من الوادي الكبير، وجلبوا نباتات غريبة عن

---

[1] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 109 .

[2] . سامية مصطفى محمد مسعد ، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين** ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2003 ، ص 71 . 72 .

[3] .. منتغمري ، **المرجع السابق** ، ص 158 .

الأندلس ، كما قاموا بتجنيس نباتات أخرى " أشجار البرتقال والليمون والتين الشوكي المسماة حتى يومنا في بعض البلدان بتين المسلمين وشجرة الرمان التي يذكرنا إسمها بالبلاط البهي لأبي عبد الله ، وشجرة الزعرور والقطن والسفرجل ، وشجرة العناب والجريد ونباتات أخرى طبية وعطرية" [1] .

وفي عهد بني الأحمر كانت البساتين تنتشر في أرجاء المملكة وتحف بسور المدينة " ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة والأدواح الملتفة فيصير سورها من خلف ذلك كأنه من دون سياج كثيفة " [2] و أشهر هذه البساتين "فدان الميسة "، "فدان عصام " ، "المعروي "، والجنة المنسوبة إلى "قداح بن سحنون "، والجنة المنسوبة "لابن المؤذن "، والجنة المنسوبة "لابن كامل "، و"جنة النخلة العليا "، و"جنة النخلة السفلى "، و"جنة ابن عمران " وغيرها [3]، وساعد على انتشار الزراعة المناخ المعتدل المتوسطي الملائم لممارسة النشاط الزراعي ، وكمية الأمطار المتساقطة ، بالإضافة إلى وجود كميات معتبرة من الثلوج على قمة جبال سييرا نيفادا [4] فبعد ذوبانها تتحول إلى مياه تملأ الأنهار و الوديان ، و أهم الأنهار في المملكة نهر "شنيل "الدائم الجريان ، و قد تغنى الشعراء بوصفه في قصائدهم وكانوا يفاضلون بينه وبين نهر النيل " ... ولعت الشعراء بوصف هذا الوادي ، وتغالت الغالات فيه ، في تفضيله على النيل بزيادة الشين وهو ألف من العدد فكأنه نيل بألف ضعف"[5] .

---

[1] . خوسي مونيوث إي غيفيريا ، **ثورة المورسكيين** ، تر عبد العزيز سعود ، منشورات ليتغراف ، 2010 ، ص 16 .

[2] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 213 .

[3] . **نفسه** ، ج 1 ، ص ص 214 ، 215 . .

[4] .Bènèdicte Vicente Beaufils , **L'expression de la culture de l'eau dans l' Alhambra : poids de la r´ealit´e et pouvoir de l'imaginaire ,** Thèse de Docteur . Universite de Rennes 2 , 2008 , pp15 . 18 .

[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص214 وما بعدها .

أما الانتاج الزراعي فقد تنوع ما بين الخضر كالثمار على اختلاف أنواعها ، و الفواكه ، والمكسرات [1] ، و لم ينعدم بها إلا التمر[2] ، واختصت كل مدينة في المملكة بانتاجها لنوع معين من الخضر والفواكه أو الحبوب ، فمدينة مالقة كانت تنتج النارنج والرمان والعنب [3]واللوز والتين في البساتين المنتشرة في جبالها [4] ، وقمارش (Comares) كـانت تنتج العنب والزيتون واللوز والتين [5] ، و في بليش بغرب مالقة كان ينتج بها اللوز والتين[6]، و اشتهرت المنكب بإنتاجها لقصب السكر والزبيب [7]، و تميزت بسطة عن غيرها من المدن بمعالجة الزعفران [8]، أما الحبوب فتمثلت في القمح والشعير و من المدن التي كانت تنتج القمح بليش ورغم قلة الكمية المنتجة إلا أن نوعيته كانت رفيعة [9] أما الشعير فكان ينتج في كل من البيرة وأورية [10] .

2 . تربية الحيوانات و الصيد :

اهتم الاندلسيون بتربية الحيوانات على اختلافها مثل اهتمامهم بالزراعة يقول ابن الخطيب " من كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ورعيا بعد رعي طول العام "[11]،فانتشرت تربية الحيوانات في الكثير من المناطق كدلاية " أرض ينبت جبن و خروف" [12]،ويبدو أن تربية الحيوانات كانت

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 221 .
[2] . المقري ، **نفح** ، ج 1 ، ص 200 .
[3]. **نفسه** ، ص 214 .
[4] . لسان الدين بن الخطيب ، **خطرة الطيف** ، تح أحمد مختار العبادي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2003 ، ص 60.
[5] ـ لسان الدين ابن الخطيب ، **صفة مملكة غرناطة** ، المطبعة الدولية المسيحية ، مدريد ، 1860 ، ص 8 ؛ ابن الخطيب ، **خطرة** ، ص 76.
[6] . **نفسه** .
[7] . **ابن الخطيب** ، **المصدر السابق** ، ص 8 .
[8] . ابن الخطيب ، **خطرة** ، ص 84 .
[9] . **نفسه** ، ص 76 .
[10] **نفسه** ، ص ص 81 ، 83 .
[11] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 181 .
[12] . ابن الخطيب ، **صفة** ، ص 11 .

منتشرة في مدن أخرى غيرها كقنتورية وأورية و هذا بسبب كميات الجبن الكبيرة التي كانت تنتج بهذه المدن " يجود بها الجبن " [1] ، و اختصت مدن أخرى بتربية أنواع معينة من الحيوانات و أخرى بتربية النحل لإنتاج العسل كأرخونة التي اشتهرت بتربية الماعز وبسبب كثرة قطعان الماعز كان سكان هذه المدينة يعتمدون في تحضير أطباقهم على لحومها بشكل كبير [2]، وفي قنتورية وأورية كانت تنتشر تربية النحل ، و من المدن التي اشتهرت بإنتاج العسل أيضا بليش " و عسله إذا اصطفت العسول إمام"[3].

و كانت المدن الساحلية تزخر بالأسماك و الحيتان الضخمة "و دواب بحرها المحيط في نهاية من الطول و العرض "وحسب الرواية التي نقلها المقري كان المسافرون في البحر يخافون على المراكب من الحيتان الضخمة لئلا تقلب المراكب[4]، أما المدن التي كانت تزود المملكة بما تحتاجه من الأسماك فكانت مدينة مربلة[5](Marbella) [6]و أكبر كمية كانت تأتي من مدينة شلوبانية [7] " وحوت هذه السواحل أغزر من رمله " [8] .

3 . الصناعة :

تمكن الأندلسيون من إنشـاء وتطوير صناعة يدوية غاية في الروعة والإتقان [9] يقول المقري " و إلى مصنوعات الأندلس ينتهي التفضيل " [10] ، و انتشرت الصناعات و الحرف اليدوية في المملكة لسببين ، السبب الأول هو إقبال الشباب على تعلمها ، فكل طالب يفشل في الدراسة يلجأ إلى

---

[1]. ابن الخطيب ، **خطرة** ، ص ص 79 ، 83 .
[2] **نفسه** ، ص 91 .
[3]. **نفسه** ، ص ص 82. 83 .
[4]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 199 .
[5]. هي ناحية من أعمال قبرة Cabra بالقرب من مدينة قرطبة . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 99 .
[6]. ابن الخطيب ، **وصف** ، ص 4 .
[7]. حصن بالأندلس على ساحل البحر من أعمال كورة البيرة . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 360 .
[8]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 9 .
[9]. كولان ، **المرجع السابق** ، ص 177 .
[10]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 201 .

تعلم حرفة أو صنعة [1] ، و السبب الثاني : وفرة المعادن في المملكة كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص [2] والزئبق و النحاس والصفر الشبيه بالذهب و الرخام بألوان مختلفة [3]، فبرع الأندلسيون في عدة صناعات منها صناعة الجلود ، و نجارة الخشب ، وفن النسخ ، والطرز وحياكة القطن ، وغزل الصوف و غيرها من الصناعات [4] .

و قد توزعت هذه الصناعات على عدة مدن ، ففي مالقة انتشرت صناعة الأسلحة و الأواني الفاخرة من الفخار المطلي بالذهب [5]، و الجلود " و معدن صنائع الجلد المنتخب " [6]، وصناعة الورق والجلود ، والرخام في مدينة ألمرية [7] ، و من المصنوعات البديعة التي كانت تصنع بمدينتي مالقة وألمرية الزجاج بكل أنواعه ، والفخار المزجج المذهب ، ونوع آخر من الزجاج يسمى " المفصص "والذي كان يعرف بالمشرق بالفسيفساء ، ونوع آخر يسمى بالزليجي متعدد الألوان يشبه في شكله المفصص كانوا يبسطون به قاعات بيوتهم " و هو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم "[8]، وبها أيضا صناعة الآلات الحديدية والنحاسية أصناف عديدة [9] تمثلت في الأواني الموجهة للاستعمال اليومي، والتحف المعدنية كالثريات ، والتماثيل التي تزين بها المساجد والقصور ، و أدوات أخرى كالمسارج و المباخر و الإسطرلابات و الكرة الأرضية وغيرها [10] .

---

[1] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 220 .
[2] . حمدان الحجاجي ، **حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء** ، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، 2007 ، ص 14 .
[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 200 . 201 .
[4] . بوحسون ، **المرجع السابق** ، ص 279 .
[5] . ليفي بروفنسال ، **الحضارة العربية في اسبانيا** ، تر طاهر أحمد المكي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1994 ، ص 124 .
[6] . ابن الخطيب ، **خطرة** ، ص 59 .
[7] . الحجاجي ، **المرجع السابق** ، ص 14 .
[8] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 201 . 202 .
[9] . **نفسه** ، ص 162 .
[10] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 165 .

و من الصناعات المنتشرة في المملكة أيضا صناعة النسيج و اشتهرت كل مدينة بصناعة نوع معين من الأقمشة أو الديباج ففي غرناطة وبسطة كان يصنع نوع من الألبسة تسمى بالملبد مزينة بالألوان " المختم ذو الألوان العجيبة "[1] ، والديباج المذهب و الأقمشة المطرزة و الحرير في مدن مالقة وبرجة[2] [3] الوادي آش ، وأجود أنواع الحرير ما كانت تجود به أندرش " حريرها ذهب "[4] وما كان يصنع في دلاية " حرير ترفع عن الثمن "[5]، وفي مدينة ألمرية تجاوزت أصناف الحرير المصنع فيها ثمانمائة نوع ، و الحلل النفيسة و الديباج الفاخر الألف صنف[6]، وكان الحرير المصنوع في المملكة يزين برسوم وزخارف تحمل أشرطة متوازية مزينة بأشكال هندسية متأثرا بالنمط السائد منذ القرن 7 هـ / 13 م [7].

و قد وُجدت الكثير من هذه المصنوعات في قصور وكنائس قشتالة و كلها تحمل نقوش وزخارف عربية إسلامية [8]، من المرجح أنهم استولوا عليها بعد سقوط مملكة غرناطة 897 هـ/ 1492 م من قصور بني الأحمر ، وبعد ذلك استغلوا الحرفيين الأندلسيين لنقل هذه الحرف إلى الإسبان قبل طردهم نهائيا ، فقد أشارت الدراسات أن المناطق التي كانت تنتشر فيها هذه الحرف والصناعات حافظت على وجودها واستمر نشاطها حتى بعد نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس [9] .

---

[1]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 201 .
[2]. **نفسه** ، ص 201 .
[3]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 79 .
[4]. **نفسه** ، ص 85 .
[5]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 79 .
[6]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 163 .
[7]. كولان ، **المرجع السابق** ، ص 182 .
[8]. بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 125 .
[9]. بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 124 .

كما انتشرت بين الأندلسيين بعض الصناعات الموجهة للاستهلاك المحلي كعصر زيت الزيتون في مدينتي لوشة (Loja)[1] ، وطربنش[2] ، وطحن الحبوب في الأرجاء الموزعة في المملكة والتي كانت تشتغل بالماء و قد بلغ عددها حوالي مائة وثلاثين رحى توفر لسكان غرناطة ما يحتاجونه من الحبوب تصل كميتها أحيانا إلى ثلاثمائة ألف قدح[3] ، و من الصناعات الغذائية أيضا عصر الفواكه الموسمية الذي لم يكن يخلو منه بيت من البيوت [4] ، كما كانوا يطبخون بعض الثمار ويعصرونها لصنع الرب وهو شبيه بالمربى في وقتنا الحالي[5].

4 . التجارة :

انتعشت التجارة الداخلية و الخارجية في المملكة بفضل وفرة و تنوع المنتجات الزراعية و جودة المصنوعات ، فجذبت التجار من كل مكان لاقتناء ما فيها من متاجر " فهي لمكان جوار الساحل ممارة بالسمك و البواكر ، طية للتاجر " [6].

أ . التجارة الداخلية :

انتشرت الدكاكين و الحوانيت بأرجاء المملكة في المدن والقرى والجبال وغصت بالخبز، والجبن[7]، و أنواع الخضر و الفواكه ، والثمر المدخرة [8] ، و الملابس و الأحذية و المصنوعات على

---

[1] - تقع غرب البيرة على ضفاف نهر شنيل تبعد عن قرطبة بعشرين فرسخا ، وعن غرناطة بعشرة فراسخ . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 26 .

[2] . ابن الخطيب ، **وصف** ، ص 13 . 26 .

[3] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 241 .

[4] . **نفسه** ، ج 1 ، ص 263 .

[5] **نفسه** ، ص 296 .

[6] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 13 .

[7] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 226 .

[8] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 214 .

اختلافها [1] ، كما وجدت بالمملكة القصابات التي تبيع مختلف أنواع اللحوم [2].

و ارتفعت الأرباح من تجارة الخضر والفواكه حتى وصلت إلى ألف عملة ذهبية في السنة [3] والأسعار في الأسواق تختلف من منتج إلى آخر على حسب وفرة المنتوج وجودته أيضا ، فقد وصل سعر ثمانية أرطال من العنب درهما واحدا فقط[4] ، و سعر نصف رطل من الزبدة ثلاثون درهما ، وخمسة أرطال من العسل تساوي عشرون درهما ، أما اللحوم فكان رطل من اللحم سعره درهما واحدا فقط [5]، وتختلف أسعار المنتجات الأخرى كالملابس و المصنوعات فسعر الحذاء بلغ ثلاثة عشر درهما ، و المعطف مئة و ثلاثون دينارا ، و بلغ سعر طاولة أربعة دراهم [6].

ب . التجارة الخارجية :

أما التجارة الخارجية فكانت تتم انطلاقا من موانئ المدن الساحلية مالقة وألمرية و المنكب [7]، فكانت المراكب التجارية تحمل السلع باتجاه المغرب والمشرق "مصر وبلاد الشام "، والإمارات الإيطالية جنوة ، و فرنسا ، وأراغون ، والإمارات الإسبانية ، وإفريقيا وتصل في بعض الأحيان إلى القسطنطينية [8] .

[1] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 126 .
[2] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 15 .
[3] . ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 1 ، ص 214 .
[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 151 . 152 .
[5] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 126 .
[6] . **نفسه** ، ص 126 .
[7] بوحسون ، **المرجع السابق** ، ص 245 .
[8] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 126 .

و تمثلت السلع في الصناعات الفخارية ، و أقمشة الحرير، وبعض المنتجات الزراعية [1] ، والفاكهة المجففة [2] كاللوز والتين والعنب ، بالإضافة إلى السكر المعلب في صناديق ، والمعادن ، والعطور ، والحلي ، والزعفران ، والرخام [3] ، و المصنوعات الزجاجية ، والأقمشة والبسط التي كان يقبل عليها أهل المشرق لجودتها العالية و تباع هناك بأسعار مرتفعة " التي يغالي في ثمنها بالمشرق "[4] ، و تنقل إلى إفريقية الآلات والسكاكين والأمقاص المذهبة المصنوعة من الصفر والحديد [5]، ويستورد تجار غرناطة الأفاوية (المسك والكافور والعود) ، والتوابل من الهند [6] ، والأرز من بلنسية ، والزيت من قشتالة ، والقمح من المغرب ، والرصاص والنحاس والقطن من آراغون وإيطاليا ، ومن إفريقيا كانت تستورد السمن والجلود والأبقار والغنم [7] .

وقد وصلت التجارة الخارجية إلى ذروة انتعاشها في عهد الأمير مُحَّد الخامس ، ففي عهده استقبلت المملكة التجار من كل البلدان من سوريا ، ومصر ، وإفريقيا ، وإيطاليا حاملين معهم البضائع فتحولت مدينة غرناطة إلى سوق عالمية فيها شعوب من كل الجنسيات حتى أطلق عليها " مدينة كل الشعوب " [8].

---

[1]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 151 . 152 ؛ الحجاجي ، **المرجع السابق** ، ص 14.
[2]. شكري ، **المرجع السابق** ، ص 126 .
[3]. **نفسه** ، ص 127 .
[4]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 201 .
[5]. **نفسه** ، ص 201 .
[6]. **نفسه** ، ص 199 .
[7]. شكري ، **المرجع السابق** ، ص 127 .
[8].كندة ، **المرجع السابق** ، ص 304 .

خامسا . الحياة الاجتماعية بدولة بني الأحمر :

1 . المجتمع :

كان المجتمع الأندلسي في عهد بني الأحمر متعدد الأعراق والأجناس ، فقد نتج عن انضمام الأندلس إلى المرابطين ثم الموحدين تأثير كبير على الحياة الاجتماعية وانصهرت القبائل المغربية التي هبت للجهاد في الأندلس مع الشعب الأندلسي [1] وبعد سقوط أغلب المدن الأندلسية أصبحت غرناطة ملاذا لأغلب الأندلسيين الفارين من هجمات الإسبان [2] حتى وصل تعداد سكانها نحو النصف مليون نسمة ، حيث كانت غرناطة لوحدها تستطيع تعبئة خمسين ألف مقاتل زمن الحرب[3] .

وعلى اختلاف أجناسهم شكلوا نسيجا متفردا بأخلاقهم العالية ، واتصفوا بصفات جسمانية متميزة فكانت صورهم حسنة ، أنوفهم معتدلة غير حادة ، شعورهم سود و قدودهم متوسطة معتدلة ، و ألوانهم مشربة بالحمرة مائلة للزهر[4] ، والأندلسيون عامة شعب يحب الاعتناء والاهتمام بنظافته ويولون ذلك أهمية كبيرة وقبل أي شيء آخر حتى الأكل " وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه " [5] .

وما يقال عن النظافة يقال عن المظهر واللباس فقد كان الغرناطيون حريصون على مظهرهم الجميل والأنيق ، يرتدون لباسا منسوجا من أنواع عديدة من القماش كالكتان ، والحرير ، والقطن والمرعزي ، والأردية الإفريقية ، ويظهر ذلك خاصة يوم الجمعة الذي يعتبر عيدا للمسلمين " فتبصرهم في المساجد أيام الجُمَع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة " [6] .

---

[1] . مسعد ، **المرجع السابق** ، ص 199 .

[2] Rachel Arié, **a perçus sur le royoume de grenade**, casa éditrice armena, universita de veniza , Veniza , 1986, p 64 .

[3] . عنان ، **المرجع السابق** ، ج 04 ، ص 441 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 242 ، 243 .

[5] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 223 .

[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ص 243 ، 244 .

و عدلوا عن ارتداء العمائم في هذه الفترة فلم يكن يرتديها إلا القضاة ، و العلماء ، والجند الغربي ، ومن المقتنيات التي كان الرجال يحرصون على حملها " الأمداس " و هي عبارة عن عصي طويلة مثناة بعصي صغيرة ذات عرى في وسطها تدفع بالأنامل عند قذفها ، من المرجح أنهم كانوا يستعملونها لدفع الخطر عنهم فقد ذكر ابن الخطيب أن الأندلسيين كانوا يتسلحون بها " وسلاح جمهورهم العصي الطويلة " [1] .

ولغتهم فصيحة على الرغم من تنوع أجناسهم[2] متدينون حريصون على ممارسة شعائرهم الدينية والمواظبة عليها ، و المذهب السائد بينهم هو المذهب المالكي[3] و كان للفقهاء المالكية مكانة مرموقة و تأثير قوي في المجتمع الغرناطي ، و لدى أمراء ورجال الحكم في المملكة ، وقد خفت حدة التشدد لديهم بسبب التطورات السياسية التي مرت بها البلاد [4] .

و رغم حرص أهل غرناطة على أداء الفرائض الدينية لم يحرموا أنفسهم من اللهو والتسلية التي كانت تستهوي فئة كبيرة من المجتمع الغرناطي ، فقد كانت الأماكن المخصصة لها في المملكة مقصد الشباب للهو والنزهة ، إذ كانت تتواصل جلسات السهر و اللهو إلى ساعات متأخرة من الليل يختلط فيها الرجال والنساء يغنون ويرقصون ويرشون بعضهم البعض بالماء المعطر ويترامون بالبرتقال والليمون و الأزهار [5] .

و أحوالهم المادية ميسورة والغنى منتشر بين أغلب سكان المملكة " و الغنى بمدينتهم فاش " [6] ، و لا يتوانون في إظهار البذخ حتى في الجنازات فمن بين النوازل التي وردت على الشيخ ابن لب (

---

[1] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 28 .
[2] . ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 1 ، ص ص 242. 243 .
[3] . **نفسه** ، ص 242.
[4] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 130 .
[5] . حجاجي ، **المرجع السابق** ، ص 16 .
[6] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 260 .

ت 782 هـ / 1380م) واحدة تسأله عن جواز ستر الميت بثياب الحرير و الذهب [1]، وحظي الفقراء والمعوزون بالمملكة باهتمام ورعاية أمراء بني الأحمر ، فعلى سبيل المثال أقدم الأمير مُحَّد الخامس الغني بالله (755 . 794 هـ / 1354. 1392 م) على بناء مرستان يتكفل بعلاج الفقراء بمدينة غرناطة سنة " أمر ببناء هذا المرستان رحمة واسعة لضعفاء مرضى المسلمين و قربة نافعة إن شاء الله رب العالمين" [2] ، و في عهده أيضا سنة 777 هـ / 1375 م تم بناء دار للزكاة بمدينة الوادي آش تستقبل الفقراء المرضى للعلاج ، وكان البناء في غاية الفخامة يليق بإقامة الأمراء يحتوي على كل سبل الراحة و جُهز بالأثاث الفاخر و النوافير كما زينت جدرانه بالرخام[3] .

2 . الأكل :

يرتكز سكان غرناطة في أكلهم على القمح فقد كان الغذاء الأساسي للغالبية من السكان وفي فصل الشتاء يعوض القمح بالذرة [4] ، بالإضافة إلى الأرز، ومن بين الأطباق المشهورة عندهم طبق الأرز باللبن ، كما كانوا يستهلكون أيضا اللحوم بكل أنواعها [5] يقومون بتحضير القديد من لحم الضأن ، و إذابة شحمها لاستعمالها في أطباقهم [6] .

و يتناول أهل غرناطة الفواكه بشكل كبير كما يقومون أيضا بتجفيف أنواع منها كالعنب ، والتين ، و التفاح ، و الرمان ، و أنواع أخرى من المكسرات كالقسطل ، والبلوط ، والجوز ، واللوز ويحتفظون بها شهورا طويلة دون أن تفسد [7] .

[1] - أبي سعيد ابن لب الغرناطي ، **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد** ، تح حسين مختاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص ص 77 . 78 .

[2] . صبيح صادق ، **مخطوط باللغتين العربية و الإسبانية للموريسكي ألونسو دي الكاستيو حول كتابات قصر الحمراء في غرناطة** ، مجلة الخزانة ، العدد الأول ، 2017 ، ص 87 .

[3] . كندة ، **المرجع السابق** ، ص 304 .

[4] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 29 .

[5] . ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 1 ، ص 389 .

[6] . ابن لب ، **المصدر السابق** ، ص 105 .

[7] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 29 .

3 . المرأة الغرناطية :

تمتعت المرأة الأندلسية بمكانة مرموقة في المجتمع و تمكنت من إثبات نفسها ، و بفضل الحرية الكبيرة التي حصلت عليها تمكنت النساء من ممارسة نشاطهن في الحياة العامة وتلقين التعليم مثل الرجال بدون أي فرق فبرزت الكثيرات في مجالات العلوم المختلفة ، ووصل تأثير بعضهن على الأمراء و الحكام [1].

و حافظت المرأة على هذه المكانة في عهد بني الأحمر ، بل تفوقت بحريتها على نظيراتها المغربية والمشرقية معا ، من ذلك ما ذكره ابن الخطيب في كتابه خطرة الطيف وهو يصف زيارة ركب الأمير أبي الحجاج لمدينة الوادي آشي سنة 748 هـ / 1347 م وأجواء استقبال الأمير تحدث عن اختلاط النساء بالرجال ووجودهن الذي كان طاغيا على المكان فقال : " واختلط النساء بالرجال ، والتف أرباب الحجا بربات الحجال فلم نفرق بين السلاح والعيون الملاح" [2] .

وكانت أغلب النساء تتنقل سافرة الوجه وتتطيب بأحسن أنواع العطور ، و تقبل بعضهن على ارتداء نوعا من أنواع الأحذية يسمى الموق [3] ، وتميزت أغلبهن بالجمال والرقة لفرط اعتنائهن بجمالهن ومظهرهن و حسن الكلام و التصرف" وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة "[4] ، كما

---

1 . زغريد هونكة ، **شمس العرب تسطع على الغرب " أثر الحضارة العربية في أوروبة "** ، تر فاروق بيضون و كمال دسوقي ، دار الجيل ، بيروت ، 1993 ، ص 522 .

2 . ابن الخطيب ، **خطرة** ، ص 53 .

3 . **ابن الخطيب** ، **المصدر السابق** ، ص 92 .

4 . ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 1 ، ص 265 .

كن يحافظن على رشاقتهن " و حريمهن حريم جميل موصوف باعتدال السمن " [1] ، لكن يعاب عليهن المبالغة في الزينة وارتداء الديباج و الحلي بكل أنواعها ما كان يسبب الابتلاء و الفتنة [2] .

كما برعت بعض النساء الغرناطيات وتفوقت في مجالات شتى وتعدت شهرتهن حدود المملكة ، منهن على سبيل المثال لا الحصر مريم أم إسماعيل التي كانت محظية لدي الأمير يوسف الأول وكان لها دور في خلع الأمير مُحَّد الخامس ، وفي مجال العلوم الأدبية أم الحسن [3] ابنة الطبيب الشهير أبي جعفر الطنجالي التي برعت في الطب و الأدب معا ، وغيرهن من النساء اللواتي تفوقن في مجالات العلوم المختلفة [4] .

4 . **اليهود و النصارى :**

حصل اليهود على الرعاية و الاهتمام من أمراء بني الأحمر فعاشوا في ظل حكمهم فترة طويلة من الهدوء و الاستقرار ، على الرغم من القوانين والإجراءات الخاصة بهذه الطائفة والتي كانت تفرض عليهم ارتداء أزياء خاصة [5] ، فكانوا يضعون قلنسوات صفراء على رأسهم تميزهم عن المسلمين الذين كانوا يرتدون قلنسوات بألوان حمراء و خضراء ، كما منع على اليهود وضع العمائم " و لا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة " [6].

و في عهد الأمير أبي الوليد إسماعيل أجبروا على لبس شارات تميزهم عن المسلمين ،كما منعوا من ركوب الجياد ، و أجبرت النساء اليهوديات على ارتداء خلاخل صغيرة ، و رغم هذه

---

[1] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 29 .

[2] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 01 ، ص 265 .

[3] . الأديبة أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي من مدينة لوشة حفظت القرآن الكريم و هي أيضا شاعرة و طبيبة " فاضلة الأدب و المجادة ، تقلدت المحاسن من قبل الولادة " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 856 . 857 .

[4] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 103 . 104 .

[5] . **نفسه** ، ص 97 .

[6] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 223 .

الإجراءات إلا أنهم كانوا أحسن حالا في مملكة غرناطة من الممالك المجاورة ، يمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية ، ففي عهد الأمير مُحَمَّد الخامس لجأ إلى مملكة بني الأحمر ثلاثمائة عائلة يهودية فرارا من بطش القشتاليين ، و في سنة 792هـ / 1391م تعرض اليهود في قشتالة وكتالونيا وجزر البليار للاضطهاد فهرب الكثير منهم إلى مملكة غرناطة طالبين الحماية و الأمان [1].

بينما لم نجد تواجد كبير للنصارى في مملكة بني الأحمر هذا ما دفع البعض للتساؤل هل كان للأمر علاقة بسن بعض القوانين التي منعتهم من التواجد بالمملكة أم بسبب موقف الأندلسيين منهم ؟ [2] ، لا يوجد ما يثبت هذا فمنذ أن وطأت أقدام المسلمين الأندلس و المسيحيون يعيشون مكرمين في كنفهم كما حصل تزاوج بينهم و بين المسلمين ولم يقف الاختلاف الديني حائلا في سبيل ذلك [3]، وقد عرف عن أمراء بنو الأحمر حرصهم الكبير على تكريس حرية العبادة لغير المسلمين في المملكة [4] ،كما أن المملكة لم تخل كليا من النصارى فقد تواجد بها بعض البنادقة والجنويين الذين كانوا يشتغلون في مجال التجارة [5] وأنشأوا مراكزا تجارية في مالقة والمنكب ، و في مالقة كان هناك حي لهم يحمل قصر الجنويين[6] .

ومن النصارى المتواجدين في المملكة أيضا أسرى الحروب والغزوات وهؤلاء كانوا موزعين على بعض المدن كرندة [7]، ومالقة ، وألمرية وكانوا يقومون ببعض الأعمال ، فالنساء كن يخدمن في البيوت أو حظيات عند أسيادهم ، و الرجال كانوا يشتغلون في أعمال مختلفة كطحن الذرة ، وجمع خيوط

---

[1] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 97 ـ 98 .

[2] . منتغمري ، **المرجع السابق** ، ص 158 .

[3] . برو فنسال ، **المرجع السابق** ، ص 101 . 102 .

[4] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 98 .

[5] . عنان ، **الآثار** ، ص 165 .

[6] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 94 .

[7] . حصن من أعمال تاكرنا يقع في جنوب الأندلس بين مدينتي مالقة وإشبيلية . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 73 . 74 .

الكتان ، و صنع الأخفاف ، و قطع الأخشاب ، و الإشراف على الحمامات الخاصة والعامة ، أما في الريف فكانوا يعملون في خدمة الأرض والرعي و تشغيل الطواحين [1] .

سادسا . الحياة العلمية و الفكرية في دولة بني الأحمر :

ظلت العاصمة الثقافية للغرب الإسلامي دائما في الأندلس واحتفظت بزعامتها الفكرية على مدى قرون طويلة [2] ، وقد تخطت شهرة الكثير من علمائها حدود الغرب الإسلامي ، وأقبل الأوربيون على دراسة مؤلفاتهم ، واعتمدوا على أبحاثهم في إقامة صرح حضارتهم فيما بعد و ذلك ما يقوله خوسي مونيوث إي غفيريا " فإن العقل المعترف به للإسبانيين يجب أن يعود للمسلمين ، فنحن مدينون لهم بكل هذه الفوائد لأنهم كانوا المنشئين الأول ولأن الشيء الذي لم يبدعوه وأحدث فيما بعد تم بالاقتداء بهم و بإلهام من الذكريات التي تركوها " [3] .

واستمر الازدهار الثقافي في عهد بني الأحمر وأصبحت مدينة غرناطة مركزا جديدا للحضارة الإسلامية مثلما كانت مدينة قرطبة أثناء عصرها الذهبي [4] و نبغ جمع كبير من العلماء والمفكرين في مجالات العلوم المختلفة ، وغدى مهندسوها و بناؤوها الأشهر في كل أنحاء أوروبا بفضل التصاميم والإبداعات التي جادت بها سواعدهم في بناء قصورها ودورها [5] ، وحتى بعد سقوطها في يد الإسبان حاولوا الإبقاء عليها عاصمة للعلم و المعرفة فأسسوا جامعة بها سنة 1531م في عهد الملك شارلكان ، وحرصوا على توفير كل المتطلبات لتكون مركزا ثقافيا و دينيا في إسبانيا [6] .

---

[1] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 94 .
[2] . بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 12 .
[3] . إي غفيريا ، **المرجع السابق** ، ص 16 .
[4] . بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 12 .
[5] . ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 135 .
[6] . عنان ، **المرجع السابق** ، ص 165 .

ويعود ازدهار العلوم في عهد بني الأحمر لسببين **أولا** : العناية الكبيرة التي أولاها الأمراء للعلوم المختلفة ، وهذا ليس بغريب فقد كان بعضهم علماء وأدباء ، وعلى رأسهم مؤسس الدولة مُحَّد بن الأحمر (629 . 672 هـ / 1232 . 1273 م) الذي كان يخصص يوما يستقبل فيه الشعراء لسماع قصائدهم [1] ، وابنه مُحَّد الفقيه (672 . 701 هـ / 1273 . 1302 م) المعروف بحبه للعلم و العلماء حتى أطلق عليه اسم الفقيه " وأربى علـيه بخلال منها براعة الخط ، و حسن التوقيع وإيثار العلمـاء والأطباء ، و العدلين ، والحكماء ، و الكتاب ، والشعراء وقرض الأبيات الحسنة " [2] ، كذلك ابنه أبو عبد الله مُحَّد الملقب بالمخلوع (701 . 708 هـ / 1302 . 1309 م) كان شاعرا أيضا ، و استمر اهتمام أمراء بنو الأحمر بالعلوم حتى وصلت في عهد السلطان ابي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري (733 . 755 هـ / 1333 . 1354 م) وولده السلطان مُحَّد الغني بالله (755 . 760 هـ / 1354 . 1359 م) إلى قمة ازدهارها بالمملكة ، وآثر أغلب أمراء بني الأحمر تقريب العلماء والمفكرين منهم فتضمن بلاطهم الكثير من أعلام الشعر والأدب كابن الحكيم الرندي (ت 708 هـ / 1308 م) ، وابن جياب (ت 749 هـ / 1348 م)، وابن الخطيب (ت 776 هـ / 1374 م) ، وابن زمرك (ت 797 هـ / 1394 م)وغيرهم [3] .

أما السبب الثاني : فهو اهتمام الأندلسيين بالعلم و تعظيم العلماء " و العالم عندهم معظم من الخاصة والعامة " [4] إذ أقبلوا على تحصيل العلم بكل فروعه والانتساب للمدارس المختلفة الموزعة في أرجاء المملكة .

[1] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 31 ؛ عنان ، **نهاية** ، ج 4 ، ص 460 .
[2] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 199 .
[3] . عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 461 .
[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 220 .

أ . دور العلم :

كانت دور العلم كثيرة ومتنوعة منها الدينية : كالمساجد والزوايا والكتاتيب ، ويعود لها الفضل في تفعيل الحياة الثقافية في المملكة [1] هذا بالإضافة إلى المدارس التي كانت نتشر في المدن الرئيسية كغرناطة ، ومالقة ، وألمرية ، ووادي آشي والتي كان الطلاب يرتادونها من كل مكان لتلقي العلم على يد المؤدب ، و يتلقون فيها العلوم المختلفة كالقراءة والخط والكتابة [2] .

وأشهر المدارس في المملكة المدرسة اليوسفية والتي سميت بهذا الاسم نسبة للسلطان أبو الحجاج يوسف الأول الذي شيدها سنة 750هـ / 1349م ، وتسمى أيضا بالنصرية والعلمية [3] وقد نقل المقري أبياتا شعرية قال بأنها نقشت على باب المدرسة نظمها الشاعر ابن جياب :

يا طَالِبَ العِلْمِ هذا بابُــهُ فُتِـحَا فادْخُلْ تُشَـاهِدْ سَنَاهُ لاحَ شَمْسَ ضُحَى

واشْكُرْ مُجِيرَكَ مِنْ حِـلّ و مُرْتَحَـلِ إذْ قَرَّبَ اللهُ مِنْ مَرْمَـــاكَ مَا نَـــزَحَـا

وشَرَّفَتْ حَضْــرَةَ الإِسْلامِ مَدْرَسَةٌ بِهَا سَبِيلُ الهُـدَى والعِلْمِ قـــدْ وَضَحَـــا [4]

و قد بدأت هذه المدرسة في البداية بتلقين العلوم الدينية واللسانية وشيئا فشيئا تم تدريس العلوم الأخرى فكانت تعرض مجموعة من الكتب مع أسماء الأساتذة الذين يشرفون على تدريسها ، وعلى رأس هذه الكتب القرآن الكريم ، ثم كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ / 795 م)، وكتاب تحفة الحكماء في نقاط العقود والأحكام لمؤلفه القاضي أبي بكر بن عاصم الغرناطي (829 هـ / 1426 م) ، وكتب أخرى ككتاب سيبويه (ت 180 هـ / 796 م) وكتاب الأغاني للأصفهاني (ت 356 هـ / 967 م) ، وآثار الجاحظ (ت 255 هـ / 869 م) وغيرها ، وبعد

[1] . بوحسون ، **المرجع السابق** ، ص 122 .
[2] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 133 . 134 .
[3] . بوحسون ، **المرجع السابق** ، ص 129 .
[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 457 .

سنوات من التكوين يحصل الطلبة عند تخرجهم على إجازة خطية تمكنهم من تدريس مادة معينة أو كتاب من الكتب المعروفة ، وكان الطلاب والمدرسين يقصدونها من كل مناطق المملكة وحتى من بلاد المغرب ، ومن العلماء المغاربة الذين درسوا فيها ابن مرزوق الفقيه ، والكاتب عبد القادر بن سوار المغربي وغيرهما [1] .

وهناك مدرسة أخرى وجدت بمدينة مالقة ، لكنها لم تحظ بنفس الشهرة التي حظيت بها المدرسة النصرية ، وقد اختصت هذه المدرسة في تدريس علوم القرآن الكريم حيث تخرج منها عدد كبير من المقرئين والمفسرين كابن الزيات الكلاعي وغيره [2].

ب . العلوم و الآداب :

يشير بعض المؤرخون أن القرن 8 هـ / 14 م عرفت فيه مملكة غرناطة عصرها الذهبي لكن طغى عليها الجانب الأدبي وازدهر الأدب والشعر ، وتراجعت بعض العلوم الأخرى كالفلسفة والطب والرياضيات[3] ، و لا يعني اهتمام الأندلسيين بالأدب إهمالهم للعلوم العقلية بالكامل و الدليل على هذا رهط العلماء الذين تخصصوا في مجال الهندسة و الرياضيات و الفلك والطب ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد الأوسي (ت 715 هـ / 1315 م) الذي تخصص في مجال الهندسة و الرياضيات و الطب و كانت له تآليف منها كتاب الزيج القويم [4] ، و من علماء

[1] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 134 . 135 .

[2] . بوحسون ، **المرجع السابق** ، ص 131 .

[3] . عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 461 .

[4] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 624 .

الرياضيات أيضا حسن بن محمد بن باصة [1] (716 هـ / 1316 م) و أبو يحي بن رضوان الوادي آشي[2] (ت 757 هـ / 1356م) الذي نبغ في علم الفلك و الجغرافيا .

و نبغ جمع آخر في مجال الطب و ذاع صيتهم في المغرب و المشرق كمحمد الشقوري [3] ، وأحمد بن علي بن خاتمة (ت 770 هـ / 1368 م) [4] ، ومحمد بن أحمد الأنصـــاري القيجاطي المعروف بالسواس (ت بعد 750 هـ / 1349 م) الذي انتقـل إلى بلاد المشرق و نشر طريقته في العلاج بين المشارقة " و عظم صيته ، وشهر فضله " [5] ، وبرع آخرون في صناعة الأدوية منهم الطبيب حسن بن محمد القيسي الذي درس الطب و علم النبات وتمكن من ابتكار مجموعة من الأدوية بالاعتماد على أنواع من الأعشاب[6] .

و ألف العلماء الكثير من الكتب وقاموا باكتشافات تفردوا بها عن غيرهم خاصة في مجال الطب ، منها كتاب تحفة المتوسل وراحة المتأمل لمحمد الشقوري ، و كتاب تحصيل الغرض القاصد في المرض الوافد لابن خاتمة و له أيضا كتاب النصيحة وهو اختصار لكتاب الشقوري ، و كتاب عمل من طب لمن حب ، و رسالة تكوين الجنين و مقنعة السائل للسان الدين بن الخطيب ، كما توصلوا

---

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 10 .

[2]. هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم النميري يكنى أبا يحي ، أصله من مدينة الوادي آش ، ذكر ابن الخطيب سنة ولادته التي كانت سنة (727 هـ/ 1326م) لكنه أغفل ذكر سنة وفاته ، نبغ الشقوري في علوم شتى كالعربية ، و الحساب ، و الهندسة ، تولى القضاء في مدينة الوادي آش ، ثم في برشانة ، و كانت له مجموعة من التآليف منها " الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال " و كتاب "تقاييد منثور ومنظوم في علم النجوم "و "رسالة في الاسطرلاب الخطي و العمل به "و غيرها .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص ص 453 . 454 .

[3]. هو محمد بن علي عبد الله اللخمي يكنى و يعرف بالشقوري ، أصله من مدينة شقورة بضواحي جيان ، بدأ اهتمامه بمجال الطب وهو مراهق فبرع وذاع صيته حتى أصبح طبيب الدار السلطانية ، له مجموعة من الكتب منها كتاب الجهاد الأكبر ، و قمع اليهودي عن تعدي الحدود . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 857 . 858 .

[4]. هو أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ،كنيته ابا جعفر و عرف باسم ابن خاتمة ، من مدينة ألمرية "كثير الاجتهاد ، معين الطبع ، جيد القريحة " برع ابن خاتمة في النظم والنثر ، و اشتغل كاتبا عند ولاة ألمرية ،كما قعد للإقراء بنفس المدينة محمود السيرة ما بين الناس أنظر **ابن الخطيب** ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 475 و ما بعدها .

[5]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 982 .

[6]. **نفسه** ، ج 2 ، ص 9 .

لاكتشاف علاج العديد من الأمراض عن طريق الأعشاب ، واهتموا أيضا بالغذاء الصحي السليم خاصة المرضى لمساعدتهم على الشفاء ، و قاموا بعلاج بعض الأمراض باستعمال المياه المعدنية كآلام الظهر و ذات الجنب [1] .

و في مجال الأدب أنجبت غرناطة عددا كبيرا من الشعراء والأدباء[2] فنظم الشعر كان منتشرا بين أهل الأندلس بكل أطيافهم و طبقاتهم الأمراء ، و الوزراء ، و الأميرات ، و الخادمات ، و العامل البسيط حتى الأطفال ، وصياد السمك وهو يقوم بعمله ، و الفلاح كان يرتجل الأشعار و هو يشتغل في أرضه ، و كانت أشعارهم و قصائدهم في غاية الإجادة دون عناء [3] ، وقد نال الشعراء مكانة رفيعة عند الأمراء " و الشعر عندهم له حظ عظيم " و حصلوا بفضل ما كانوا يكتبونه على وظائف و مناصب و حظوة [4] .

هذا الازدهار الأدبي ربما هو الذي دفع لسان الدين ابن الخطيب لتأليف كتاب "**الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة** " [5] أورد فيه تراجم لمائة وثلاثة من أعلام غرناطة وذكر نبذة من أشعارهم [6] " جملة وافرة وكتيبة ظافرة ، مما لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله ، ما بين من تلقينا إفادته ، أو أكرمنا وفادته ، وبين من علمناه وخرجنا ، ورشحناه ودرجناه ، ومن اصطفيناه ورعيناه " [7].

---

[1] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 137 . 138 .
[2] . عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 461 .
[3] . هونكة ، **المرجع السابق** ، ص ص 506 . 507 .
[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 222 .
[5] . حجاجي ، **المرجع السابق** ، ص 17 .
[6] . **نفسه** ، ص ص 3 . 4 .
[7] . لسان الدين ابن الخطيب ، **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة** ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ص 29 .

ولم يكتف الأندلسيون في غرناطة بنظم الشعر والاقبال عليه بل تحرروا من قيود القصيدة الكلاسيكية ذات القافية الواحدة ، واخترعوا ألوانا جديد من الشعر وهو الموشحات ،وقد احترف الكثير من الشعراء هذا النوع من الشعر وعلى رأسهم الشاعر ابن زمرك ، وهناك نوع أخر من الشعر يسمى الزجل وهو عبارة عن شعر شعبي ينظم بالدارجة وبأسلوب بسيط مع استعمال عبارات رومانية و عربية أصبحت اليوم غير مفهومة وهذا بسبب عدم الاهتمام بشرحها وتدوينها ، من المرجح أن الباحثين أهملوا دراسته لأنه لم يأت باللغة الفصحى [1].

تأسست مملكة بني الأحمر بعد انهيار دولة الموحدين ونهاية حكمهم بالمغرب و الأندلس ، وتمكن أمراءها من الإبقاء على الأندلس بحوزة المسلمين لقرنين آخرين من الزمن ، ورغم حالة الضعف السياسي و العسكري التي شهدتها المملكة ، انتعش اقتصادها بكل قطاعاته ووصلت بضائعها إلى المغرب و المشرق و أوروبا ، وشكل توافد المغاربة و الأندلسيون من المدن التي سقطت في يد الإسبان زخما اجتماعيا و ثقافيا بالمملكة ، و ازدهرت الحياة العلمية ، فانتشرت المدارس و دور العلم و تخرج منها جمع كبير من العلماء في شتى مجالات العلوم .

[1] . حجاجي ، **المرجع السابق** ، ص ص 19 . 20 .

الفصل الثاني :الابتلاء

أولا . المعنى اللغوي و الاصطلاحي للمحنة :

1 . المعنى اللغوي للمحنة :

2 . المعنى الاصطلاحي للمحنة :

3 . أسباب و فوائد المحن :

. ثانيا . محنة الله " الابتلاء " :

1 . فقدان الأهل و المرض :

2 . الأمراض النفسية :

3 . فقدان البصر و السمع :

4. العاهات البدنية :

ثالثا . الحوادث :

رابعا . وباء " الطاعون " :

خامسا . محن العلماء أثناء التصدي للظلم ومواجهة البدع والخرافات:

أولا ـ المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنـــــة :

1. المعنى اللغوي للمحنة :

المحنـــــة : مَحَنْتُهُ وامْتَحَنْتُهُ بمنزلة خَبِرْتُهُ واخْتَبَرْتُهُ وبَلَوْتُهُ وابْتَلَيْتُه، والمحنة واحدة من المحن التي يمتحن بها الانسان من بلية، و يقال امتحنت الذهب والفضة عند إذابتهما لاختبـــار صفاءهما [1]،

و يقال أيضا محنت البئر محناً أي أخرج منها التراب والطين [2] .

وتعني أيضا منعه و ضربه و اختبره [3] ،كأن يأخذ السلطان رجلا ويمتحنه " فعلت كذا وفعلت كذا " ويبقى مصرا على ذلك حتى يضطر الرجل لقول مالم يفعل ، وأصل المحن الضرب بالسوط[4] فيقال محنه عشرين سوطا أي ضربه عشرين سوطا[5] .

وخلاصة القول المحنة : هي الاختبار الذي يصيب الأفراد أو الجماعات من الله أو واحد من ذوي السلطان (ملك ، أمير ، وزير ، والي) فيكون ذلك امتحانا لهم للثبات على الحق والمنهج الصحيح ، فتصفي المحنة جوهرهم كما يصفى الذهب و الفضة من الشوائب ، و لابد للممتحن أن يتحلى بالصبر ليتحمل ما يترتب عن المحنة من نتائج ، و بالشجـــاعة للتصدي للظلم ومواجهته، و بالثبات وعدم التراجع أو الاستسلام حتى الانتصار ليكون مدعاة للاقتداء به و السير على نهجه لإحقاق الحق و نصرته .

---

[1] ـ ابن منظور الافريقي ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، د ت ط ، ج 6 ، ص 4150 .

[2] . أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، **تاج اللغة و صحاح العربية** ، تح مُحَمَّد مُحَمَّد تامر و آخرون ، دار الحديث للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2009 ، ص 1066 .

[3] . مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط** ، تح مُحَمَّد نعيم العرق سوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005 ، ص 1233 .

[4] . ابن منظور ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 4150 .

[5] . الفيروز آبادي ، **المصدر السابق** ، ص 1233 .

2 . المعنى الاصطلاحي :

شاع استعمال مصطلح المحنة لوصف ما كان يتعرض له العلماء على يد حكام الدولة الإسلامية (كالجلد والسجن والنفي والقتل) ، فقد كان العلماء بما يملكونه من علم يشكلون " سلطة المعرفة " فاصطدموا بالسلطة السياسية التي كانت تسعى لامتلاك المعرفة وتوظيفها لخدمة مصالحها [1]، واستمر الصراع بين العلماء والحكام وأخذ صورا وأبعادا خطيرة [2]، مصطبغا بسماته الأساسية " سمة الجدال ، والصراع ، والحذر" [3] .

وتعتبر فئة الفقهاء الأكثر عرضة للامتحان فقد كانوا أكثر العلماء نفورا واصطداما بالسلطة ويتحاشون الاقتراب منها أو الاحتكاك بالأمراء أو أي واحد يمثلهم ، ويرفضون تولي المناصب [4] التي كانت تعرض عليهم خاصة القضاء [5] و هذا منذ عهد الإمام مالك بن أنس [6] (ت

---

[1] . عبد المجيد الصغير ، **الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الاسلام** ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1994 ، ص 15 .

[2] . كانت المحنة نتيجة الاختلاف قبل أي شيء آخر في غياب الاتفاق الذي كان مستبعدا بسبب الصراع المتواصل بين " حدود متناقضة الحالات المماثلة لها عقيديا ، وكلاميا ، وحديثيا وسياسيا " ويمكننا أن نشبه المحنة بالصراع الذي يحدث في عصرنا الحالي ما بين الإسلاميين والعلمانيين والقوميين والليبراليين ، وعلى الرغم من وجود مجال للتقارب إلا أن الصراع استمر بين الفرقاء لأن البعض منهم مصمم على رفض هذا التقارب . أنظر فهمي جدعان ، **المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الاسلام** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2014 ، ص 9 .

[3] . الصغير ، **المرجع السابق** ، ص 12 .

[4] . تجادل الفقيه المغربي عبد الله بن الفروخ الفارسي (ت 175 هـ/ 791م) مع الفقيه عبد الله بن غانم في مسألة القضاء ، فقال له : " لا ينبغي للقاضي أن يتولى القضاء عند أمير غير عادل " وابن غانم يقول له بل يجوز للفقيه يتولى المنصب حتى لو كان الأمير ظالما ، وكتبا إلى الإمام مالك يستفتيانه في الأمر، فقال الإمام مالك للرسول : " ولي ابن غانم ؟ فقال له الرسول : نعم ، فقال الإمام مالك : " إن لله وإن إليه راجعون ، فألا هرب فألا فر حتى تقطع يداه ، أصاب الفارسي وأخطأ الذي يزعم أنه عربي " . أنظر القاضي أبي الفضل عياض بن موسي اليحصبي ، **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك** ، تح محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ج1 ، ص197 .

[5] . عياض ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 197 ؛ أبي بكر عبد الله المالكي ، **رياض النفوس** ، تح بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، ج 1 ، ص 184 .

[6] - هو مالك بن أنس ابن أبي عامر ابن عمرو ابن الحارث بن عثمان ، إمام دار الهجرة ، ولد سنة 95 هـ/ 714 م، حملت به أمه ثلاثة سنوات ، عاش الإمام مالك أربعا وثمانين سنة ، اشتهر بالمذهب الذي حمل اسمه .أنظر أبي العباس بن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ب .ت .ط ، ج 4 ، ص 135 وما بعدها .

179 هـ / 795 م) وسار تلامذته على نهجه أمثال أشهب بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن القاسم والفقيه المغربي عبد السلام بن سعيد سحنون [1] (ت 240 هـ / 854 م) ، هذا الموقف منح للفقهاء المالكية سلطة سياسية في البلاد التي سادوا فيها فأصبحوا بمثابة دولة داخل دولة [2] .

و استمر الصراع بين الفقهاء والحكام وأخذ أشكالا وأبعادا مختلفة ، و قد نقلت المصادر الكثير من الروايات لفقهاء تعرضوا للامتحان على يد حكام الدولة الإسلامية و كان أشهرهم على الاطلاق الإمام أحمد بن حنبل[3] (164. 241 هـ / 781 . 855 م) الذي امتحن أثناء بروز محنة خلق القرآن [4] في الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون " 198 هـ/ 814 م " عندما أخذ بالقول بخلق القرآن وأمر ولاته بامتحان الفقهاء في هذه القضية ، تعرض الإمام أحمد للجلد والسجن لكنه بقي صامدا ثابتا على الحق ، يصف أحد جلاديه صلابته وصبره أيام المحنة فيقول : " ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطا لو ضربته فيلا لهدمته " [5] وبعدها منع من التدريس والفتوى ، وتواصلت محنته لفترة طويلة إلى غاية وصول المتوكل للحكم سنة 232 هـ / 846 م والذي أمر برفع محنة خلق القرآن على الناس وأطلق سراح كل من كان في السجن [6] ، فانتهت بذلك محنة الإمام أحمد رحمه الله .

---

[1] .كان الإمام سحنون يستهجن تقرب الفقيه من الحاكم " ما أقبح العالم يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه ، فيسأل عنه فيقال: هو عند الأمير ، هو عند الوزير، هو عند القاضي ، وشبه أولئك بشر من علماء اسرائيل "، وكان يقول عن نفسه :" فو الله ما أكلت لهم لقمة ولا شربت لهم شربة ، ولا لبست لهم ثوبا ، ولا ركبت لهم دابة ، ولا أخذت لهم صلة ، وإنّي لأدخل عليهم فأكلمهم بالتشديد " . أنظر: أبو زيد الدباغ ، **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان** ، تح إبراهيم شبوح ، مكتبة خانجي ، القاهرة ، 1968 ، ج 2 ، ص 97 ؛ عياض ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 357 .

[2] . حسين مؤنس ، **شيوخ العصر** ، دار الارشاد ، ب مكا ، ب ت ط ، ص 11 .

[3] . إمام المحدثين ولد في بغداد عام 164 هـ/ 781 م صنف كتاب المسند الذي جمع فيه من الحديث ما لم يجمعه غيره من المحدثين ، أخذ عنه العلم جماعة كبيرة من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهم ابن خليكان ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 64 .

[4] . "خلق القرآن "من عقائد فرقة المعتزلة أتباع واصل بن عطاء ، يقولون أن القرآن تكلم على الله بلسان بني آدم فنسب إليه أن الله يتكلم كما يتكلم بنو آدم ، وليس من مشابهة حاصلة بين الله وبين خلقه ، حتى نثبت لله كلاما بحرف وصوت ككلام البشر، أنظر: فخر الدين الرازي ، **خلق القرآن** تحقيق أحمد حجازي ، دار الجيل ، بيروت ، 1992 ، ص 11 ؛ أبي الفتح الشهرستاني ، **الملل والنحل** ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2005 ، ص 31 .

[5] . أبي عبد الله حنبل بن إسحاق بن حنبل ، **ذكر محنة أحمد بن حنبل** ، تح محمد نغش ، ب د ن ، ب مكا ، 1983 ، ص 13.

[6] . ابن حنبل ، **المصدر السابق** ، ص 13 ؛ ابن خليكان ، **المصدر السابق** ، ص 64 .

هذه المحنة ألقت بضلالها أيضا على علماء بلاد المغرب ، وامتحن الإمام سحنون من طرف الأمير الأغلبي زيادة الله بن الأغلب (223 هـ / 838 م) وسبب المحنة أن الإمام سحنون حضر جنازة صلى عليها قاضي الدولة ابن أبي جواد وكان ممن يقول بخلق القرآن ، فرفض الإمام سحنون الصلاة خلفه ، ووصل الخبر إلى الأمير فوجه أمرا لعامله في القيروان لضرب الإمام سحنون خمسمائة جلدة وحلق رأسه ولحيته ، لكن الأمر لم ينفذ لأن وزيره أوقف البريد وأقنعه بالعدول عن قراره ، و تخلص الإمام سحنون من محنة عظيمة [1] .

ولم تكن الأندلس في منأى عما كان يحدث بالمشرق و المغرب ، فقد امتحن عدد كبير من علماء الأندلس على اختلاف تخصصاتهم ولم يقتصر الأمر على الفقهاء فقط ، ففي عهد الدولة الأموية قام الأمير هشام بن عبد الرحمن (172 . 180 هـ/ 788 . 796 م) بقطع لسان الشاعر ابن المخشي [2]بسبب قصيدة نظمها في مدح أخيه سليمان [3]، وابنه الأمير الحكم (180 . 206 هـ/ 796 . 822 م) أعدم حوالي 72 من الفقهاء ونكل بجثثهم بسبب دعمهم و مشاركتهم في محاولة الانقلاب ضده[4] سنة 189 هـ/ 805 م كالفقيه يحي بن مضر ، و تمكن علماء آخرون من الافلات والنجاة من هذه المجزرة مثل يحي بن يحي وطالوت بن عبد الجبار وعيسى بن دينار[5].

---

[1] . عياض ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 353 .

[2] . هو عاصم بن زيد بن محمد التميمي كنيته ابا المخشي من مدينة البيرة من كبار شعراء الأندلس "فغتدى شاعر الأندلس و مادح بني أمية " توفي في حدود 180 هـ/ 796 م . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 172 و ما بعدها .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 173 ؛ مؤنس ، **المرجع السابق** ، ص 13 .

[4] . شارك في ثورة الربض مجموعة كبيرة من الفقهاء في مدينة قرطبة في موقع يدعى الربض على مقربة من دار الإمارة ، حيث قام الفقهاء بتأليب الناس على الأمير الحكم الذي كان مؤثرا لحياة المجون والترف ، وقاموا بالاتصال بأحد أبناء عمومته يدعى محمد ابن القاسم وعرضوا عليه تقديمه للإمارة وخلع الحكم ، لكن هذا الأخير أفشى سرهم فقام الحكم بقمع التمرد بطريقة وحشية أنظر النعنعي ، **المرجع السابق** ، ص 192 .

[5] ـ عياض ، **المصدر السابق** ، ص 204 ؛ المراكشي ، **المصدر السابق** ، ص 44 . 45 ؛ مؤنس ، **المرجع السابق** ، ص 25 .

و امتحن فقهاء آخرون بالسجن كابن حزم الأندلسي[1] (ت 456 هـ/ 1064 م) الذي بدأ حياته مالكيا ثم تحول إلى المذهب الشافعي و ختم حياته مؤسسا للمذهب الظاهري بالأندلس [2]،وكانت أفكاره سببا في سجنه لأكثر من مرة ، كما أحرقت مؤلفاته في مدينة إشبيلية [3](Sevilla) ، وظل مطاردا حتى استقر في بلدة صغيرة من بادية لبلة [4] (Niebla) ، و بقي فيها إلى أن وافته المنية سنة 456 هـ/ 1064 م[5].

و في عهد الأمير الموحّدي المنصور أبي يوسف [6] (591 . 595 هـ/1195 . 1199 م) تعرض الفيلسوف **أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن رشد المعروف بابن رشد الحفيد**[7] (**ت 595 هـ / 1198 م**) للامتحان رغم المكانة التي حظي بها داخل الدولة [1] بسبب

[1] - هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد بقرطبة سنة 384 هـ/ 994 م ، واحد من علماء و فقهاء الأندلس ، ألف مجموعة من الكتب منها الفصل في الملل والأهواء والنحل ، جمهرة أنساب العرب ، طوق الحمامة . أنظر ابن حزم الأندلسي ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تح محمد إبراهيم نصير ، دار الجيل ، بيروت ، ب ت ط ، ص 3 وما بعدها .

[2] . منتغمري ، **المرجع السابق** ، ص 141 .

[3] . تبعد هذه المدينة عن قرطبة بمسافة ثمانين ميلا و بمسيرة ثمانية أيام و اسمها مشتق من كلمة أشبالي اللاتينية التي تعني المدينة المنبسطة سوقها عامرة وفيها أسوار حصينة . أنظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص ص 58 . 59 .

[4] - مدينة بالأندلس تعرف بالحمراء تقع شرق أكشونية ، وغرب قرطبة تبعد عن هذه الأخيرة بمسيرة خمسة أيام ، وعن إشبيلية باثنين وأربعون ميلا . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 10 .

[5] - ياقوت الحموي ، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** ، تح إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 ، ج 4 ،ص 1655.

[6] - هو يعقوب بن عبد المؤمن بن علي ولد بمراكش سنة 555 هـ/ 1160 مبويع ملكا سنة 580 هـ/ 1184 م، اتصفت فترة حكمه بالعدل ورد المظالم واكرام الفقهاء والانفاق على الضعفاء من بيت المال . أنظر ابن أبي زرع ، **المرجع السابق** ، ص 217 .

[7] . هو محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ولد سنة 520 هـ/ 1126 م فقيه وفيلسوف ولد في مدينة قرطبة مع مشارف نهاية حكم المرابطين ، من عائلة مرموقة لها باع في العلم و السلطة فجده كان قاضيا وواحد من أبرز فقهاء المذهب المالكي في العهد الأموي ، نشأ ابن رشد في جو علمي رفيع وبرع في مجالات عديدة كالطب و الفلسفة والقضاء و ألف مجموعة كبيرة من الكتب منها " مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة " ، "**شرح الحمدانية في الأصول و الكليات في الطب** " و " **شرح رجز ابن سينا** "و غيرها من المؤلفات فذاع صيته داخل الأندلس و أوروبا ، و انتشرت مؤلفاته بين الأوربيين و عرف عندهم باسم Averroès ويعود له الفضل في تعريفهم على الفلسفة اليونانية و التعرف على الفكر الأرسطوطاليسي ، وترجمت مجموعة من كتبه إلى عدة لغات وأصبحت شروحه لفلسفة أرسطو أساسا للكثير من البحوث الفلسفية الأوروبية التي ازدهرت أثناء فترة الأحياء الأوروبي.أنظر ابن فرحون المالكي ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان**

سعايات تتهمه بالزندقة و الإلحاد كانت تصل إلى الأمير من خصومه فعزله هذا الأخير عن القضاء سنة 591 هـ/ 1195 م و أمر بإحراق كتبه[2] ، ثم نفاه إلى قرية صغيرة بالقرب من مدينة قرطبة تدعي أليسانة [3] (Lucena) يقطنها اليهود لأن خصومه أشاعوا بأنه يهودي [4] ، و فرضت عليه رقابة مشددة ، ثم عفى عنه بعد مدة و استدعاه إلى مراكش من جديد ، لكنه ما فتأ أن توفي بعد فترة قصيرة سنة 595 هـ/ 1199 م [5].

و من أعظم محن القرن 7 هـ / 13 م ما وقع للشاعر ابن الآبار القضاعي[6] على يد الحفصيين ، فبعد مغادرته لبلاده عند تغلب الإسبان على مدينته بلنسية [7] (Valencia) كانت وجهته تونس

المذهب ، تح مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996 ، ص 378 ، 379 ؛ النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 111 ؛ أبو الوليد بن رشد ، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة** ، تح محمّد عمارة ، دار المعارف ، ص 5 ؛ خوان فرانثيت ، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب** ، تر نها رضا ، إشبيلية للدرسات و النشر و التوزيع ، دمشق ، 1997 ، ص 259 ؛ عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 438 .

[1] - تولى ابن رشد منصب القضاء في مدينة إشبيلية سنة 565 هـ/ 1169 م، ثم منصب قاضي القضاة بقرطبة سنة 567 هـ/ 1171 م ثم الطبيب الخاص بالسلطان أبو يعقوب يوسف في مراكش سنة 578 هـ/ 1182 م ، وبعد وفاة الأمير سنة 580 هـ/1184م استمرت حظوته عند خليفته السلطان المنصور أبي يوسف (591 . 595 هـ / 1195 . 1199 م) لفترة وجيزة فقط ثم انقلب عليه و امتحنه . أنظر ابن رشد ، **المصدر السابق** ، ص 6 .

[2] . أبي الوليد ابن رشد ، **تهافت التهافت** ، تح عادل عبد المنعم أبو العباس ، مكتبة ابن سينا للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2011 ، ص 12 .

[3] . مدينةحصينة يحيط بها سور حصين تبعد عن مدينة قرطبة مسافة أربعون ميلا ، تعرف بمدينة اليهود لأن أغلب من يقيمون فيها يهود ، وفيها ربض يسكنه المسلمون . أنظر الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ص ص 571 . 572 .

[4] . ابن رشد ، **المصدر السابق** ، ص 12 .

[5] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 111 ؛ محمّد عابد الجابري ، **المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1995 ، ص 122 ؛ عنان ، **المرجع السابق** ، ج 04 ، ص 438 .

[6] - عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ولد ببلنسية سنة 595 هـ / 1198 م كان من رواد علم الحديث والتاريخ وواحد من علماء العربية له كتاب تكملة الصلة من ثلاثة أسفار، يقول الكتاني في تعريفه له : " وهو عندي عديل ابن الخطيب وابن خلدون في الإنشاء وملكة الشعر" . أنظر عبد الحي عبد الكبير الكتاني ، **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ، تح إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، 1982 ، ص 142 .

[7] - مدينة ساحلية تقع في شرق الأندلس ، تبعد عن تدمير بمسيرة أربعة أيام وعن طرطوشة بمسيرة أربعة أيام أيضا ، يكثر فيها الأشجار والانهار ، كان يطلق عليها مدينة التراب . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 490 .

و تمكن من الولوج إلى البلاط الحفصي وأصبح كاتبا لدى الأمير أبي زكريا يحي ، لكنه سرعـان ما أبعد عن الخدمة في البــلاط بسعي من خصومه و أجبر على لزوم منزله بمدينة بجــاية ، و سبب هذه الخصومة بعض الصفات التي اتصف بها كسرعة الغضب ، و حدة اللسان ، كما كان شديد الاعتداد بنفسه ، فجلب لنفسه العداء و الامتحان [1].

بقي ابن الآبار مصرا على العودة مجددا إلى البلاط الحفصي و لم يتوان في استخدام أي وسيلة للوصول إلى ذلك من بينها تأليفه لكتاب أطلق عليه اسم " **إعتاب الكتاب** " يطلب من خلاله العفو و الغفران ، يقول في مقدمته : "...و مولانا أيد الله أمره أسجع طباعا و أفسح في الفضائل باعا مازال يشرف احتراما و اصطناعا ، و يعرف إحسانا و إقناعا ، و حق لمن عول على عدله المأمون ، و توسل بفضله المضمون ، ثم بنجله المبارك الميمون أن يجتلي وجه القبول المأمول سافرا ، و يطمئن مقيما بما انزعج مسافرا ، فإنما دعا للتوب قابلا و للذنب غافرا ..."[2].

حصل ابن الآبار على مراده وعاد من بجاية إلى تونس واستعاد مكانته في البلاط الحفصي لكن بعد وفاة الأمير أبي زكريا وولي عهده حلت به محنة جديدة لنفس الأسباب السابقة فقد بقي ابن الآبار على أخلاقه وكثر أعداءه و على رأسهم الوزير إبراهيم الغساني وزير الأمير الحفصي الجديد المستنصر ، كان هذا الأمير كثير التوجس و الخوف من ابن الآبار الذي كان واحدا من أتباع شقيقه الراحل [3]وساءت الأمور بينهما حتى أمر الأمير بقتله ، فقتل ابن الآبار سنة 658 هـ / 1260 م

---

[1] . أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار ، **الحلة السيراء** ، تح حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ص ص 41 . 42 .

[2] . أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار ، **إعتــــاب الكتاب** ، تح صالح الأشتر ، المطبعة الهاشمية ، 1961 ، ص ص 47 . 48.

[3] . ابن الآبار ، **الحلة** ، ص ص 43 . 44 .

بطريقة شنيعة " رميا بالرمح "، و لم يكتف أعداؤه بقتله فقد قاموا بعدها بإحراق جثته و كل مؤلفاته الموجودة بتونس [1] و لم تسلم منها إلا بعض النسخ تركها بمدينة بجاية أثناء إقامته بها [2] .

3. أسباب و فوائد المحن :

أ. أسباب المحن :

أسباب المحن كثيرة تختلف من عالم لعالم ومن فترة لفترة أخرى على حسب الأوضاع السياسية و الدينية و الفكرية ، يمكننا أن نجملها في المنافسة الشديدة التي تنشأ بين الأقران و ما ينتج عنها من غيرة و حسد ، تؤدي في الأخير إلى لجوء البعض إلى السعايات أو الوشايات الكاذبة ، وإحاكة المكائد للانتقام والتخلص من العالم المحسود وما وصل إليه من إرتقاء وعلو درجة[3].

و من أسبابها أيضا الخلافات الفقهية التي تنتهي في كثير من الأحيان بامتحان بعض العلماء و هنا تظهر معادن العلماء فمنهم من يستسلم أمام المحنة و منهم من يتصدى لها متحملا كل تبعاتها ، كالمحنة التي حلت بالإمام أحمد بن حنبل أثناء محنة خلق القرآن بالدولة العباسية ، فتحمل السجن و الجلد و التنكيل في الوقت الذي استسلم أمام نفس المحنة علماء آخرون ، وكان الإمام أحمد كلما ذكرهم اغتم وكان يقول: "...هؤلاء لو كانوا صبروا وقاموا لله لكان الأمر قد انقطع ، وحذرهم الرجل يعني المأمون و لكن لما أجابوا و هم عين البلد اجترأ على غيرهم "[4] .

و من الأسباب أيضا الخصومة التي تحدث أحيانا بين بعض العلماء و السلطة بسبب معارضة العالم أو وقوفه في وجه أمر يريده السلطان [5] ، أو أي واحد يمثله ، فيمتحن العالم لإسكاته خوفا من

[1]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 418. 419 ؛ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ابن القنفذ ، **كتاب الوفيات** ، تح عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 ، ص 324 .

[2]. ابن الأبار ، **المصدر السابق** ، ص 44 .

[3] ـ كامل مُحَمَّد جاهين ، **صور من محن المحدثين** ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية بنات ، العدد 2 ، مج 9 ، 2017 ، ص 523.

[4]. عبد الله بن فوزان بن صالح الفوزان ، **المحنة و أثرها في منهج الإمام أحمد النقدي** ، دار ابن الجوزي ، 2009 ، الدمام ، ص 14 .

[5]. جاهين ، **المرجع السابق** ، ص 523 .

التأثير على الرعية وتأليبهم مثلما حدث مع الفقيه البهلول بن راشد (ت 183هـ / 799 م) عندما عارض والي الدولة العباسية في القيروان مُحَمَّد بن مقاتل العكي في إقامته لعلاقات مع ملك صقلية وموافقته على إرسال ما طلبه هذا الأخير " ...فكتب الطاغية إلى العكي أن ابعث إلي بالنحاس والحديد والسلاح ، فلما عزم العكي على ذلك و أن يبعث إليه بما طلب ، لم يسع البهلول السكوت ، فتكلم و عارض العكي " [1] ،فأمر ابن مقاتل بجلده بالسياط وكان ذلك سبب وفاته [2] .

ومن أسباب المحن أيضا خروج العالم على السلطان أو دعمه لأي تمرد أو انقلاب يقوده أحد خصومه كالمحنة التي وقعت للفقيه أبو العرب بن تميم التميمي (ت 333 هـ/ 944 م) مع العبيديين الشيعة بسبب دعمه لثورة أبي يزيد صاحب الحمار بإفريقية [3] فتعرض أبو العرب للتقييد و السجن بمعية ابنه [4] .

ب . فوائد المحن :

و على الرغم من ثقل تبعات المحن والابتلاءات على الممتحن و فداحة الخسائر الناجمة عنها التي قد تطيش بالعقول من هولها في أحيان كثيرة إلا أنها تحمل الكثير من الفوائد ، و العطايا ، والمنح بين طياتها ، ذكرها عز الدين عبد العزيز عبد السلام السلمي (ت 660 هـ/ 1262م) في كتابه " **الفتن و البلايا و المحن و الرزايا** " و قال أن فوائدها عديدة تختلف باختلاف رتب الناس وأجملها في سبعة عشر فائدة هذه بعضها : "

أولها : معرفة عز الربوبية و قهرها

---

[1] . المالكي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 212 .

[2] - أبو العرب مُحَمَّد بن تميم التميمي ، **المحن** ، تح يحي وهيب الجبوري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2006 ، ص ص 334 . 335.

[3] - عياض ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 41 ؛ المالكي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 309 .

[4] . ابن فرحون ، **المصدر السابق** ، ص 348 .

ثانيا : معرفة ذلة العبودية و كسرها ، و إليه الاشارة بقوله تعالى :" الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون "

ثالثا : الاخلاص لله تعالى اذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه ،ولا معتمد في كشفها إلا عليه .

رابعا :الإنابة إلى الله تعالى و الإقبال عليه

خامسا :التضرع و الدعاء

سادسا :الحلم عمن صدرت عنه المصيبة

سابعا :العفو عن جانيها

ثامنا : الصبر عليها

تاسعا :الفرح بها لأجل فوائدها

عاشرا :الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه المانع له من شهواته لما يتوقع في ذلك من البرء و الشفاء " [1].

[1] . عز الدين عبد العزيز عبد السلام السلمي ، **الفتن و البلايا و المحن و الرزايا أو فوائد البلوى و المحن** ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ص ص 9. 22 .

4. المؤلفات التي تطرقت للمحن :

أول المؤلفات التي تناولت الموضوع تطرقت لمحن بعض الأسر المعروفة والمتميزة مثل كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني الذي خصصه للحديث عن أهم الأعلام من آل أبي طالب امتحنوا بالقتل [1]، و كتب أخرى خصصت لمحن بعض العلماء مثل محنة الإمام أحمد بن حنبل لمؤلفه علي بن حنبل بن إسحاق بن حنبل ابن عم الإمام أحمد بن حنبل (ت 273 هـ / 886 م) ، وكتب تناولت مقتل بعض الصحابة و التابعين كعلي بن أبي طالب ، والحسين بن علي ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وحجر بن عدي وغيرهم [2].

و يعتبر أبو العرب مُحَمَّد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333 هـ/ 944 م) أول من خصص كتابا للمحن ، وجاء كتابه الذي أطلق عليه اسم " **المحن** " متميزا ومتفردا في مضمونه ومختلفا عن الكتب التي سبقته ، فلم يقتصر على محن فئة واحدة ، أو مرحلة زمنية معينة ، بل تناول أغلب المحن التي حلت بالناس منذ صدر الإسلام إلى غاية العصر الذي عاش فيه [3].

و من المؤرخين الأندلسيين الذين عاصروا فترة بني الأحمر و تطرقوا لمحن العلماء لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ/ 1374 م) من خلال كتابه " **الإحاطة في أخبار غرناطة** " ، اشتمل الكتاب على تراجم لعلماء أندلسيين ومغاربة وصلت لخمسمائة ترجمة ، تضمنت أهم أعمالهم ، ومختارات من انتاجهم الأدبي ، وفي خضم هذه التراجم سرد ابن الخطيب تفاصيل محن أصابت عددا كبيرا من العلماء كالسجن ، و الجلد ، و النفي ، و القتل ، و غيرها [4] .

و منهم أيضا الفقيه أبو يحي مُحَمَّد بن عاصم في كتابه " **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى** " سرد ابن عاصم في كتابه أحداثا عكست الوضع الخطير الذي ميز مملكة غرناطة مع نهاية

---

[1]. التميمي ، **المصدر السابق** ، ص 17 .

[2]. **نفسه** ، ص 18 .

[3]. **نفسه** .

[4]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** .

القرن 9 هـ / 15 م أي قبل سنوات فقط من سقوطها . فتضمن كتابه وصفا دقيقا لهذه المرحلة التي عايشها و كان شاهدا على أهم الاحداث فيها ، و يظهر جليا من خلال الكتاب أن هذا الوضع أثر على ابن عاصم فجعاه يعيش حالة من الخوف و التوجس و الاستسلام لقضاء الله ، لم يعتمد ابن عاصم على الطرق السابقة التي كانت تقدم تراجم للأشخاص و سرد للروايات بل قام بتصنيف المحن إلى صور وأنواع مع التحليل لاستخراج العبر و الدروس منها [1]، كما تضمن الكتاب تعريفا للمحنة بكل أوجهها.

و يمكن تصنيف محن العلماء الأندلسيين في القرنين 8 و 9 هـ / 14 . 15 م كالآتي :

أولا . الابتلاء : كفقدان الأهل ، و المرض ، و الحوادث ، و اكتساح وباء الطاعون لمملكة غرناطة .

ثانيا . محنة العلماء على يد الحكام و ذوي السلطان : كالجلد والتنكيل ، والعزل ، والسجن ، والنفي، والقتل .

ثالثا محنة العلماء تحت وطأة العدو : كالأسر ، ومحنة سقوط غرناطة (897 هـ/ 1492 م) " وتعرض جمع كبير من العلماء للتهجير أو الاضطهاد على يد الإسبان .

[1] - ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 81 .

ثانيا ـ محنة الله " الابتلاء " :

تعتبر الحياة الدنيا دار ابتلاء و امتحان من الله عز وجل لعباده فكل المؤمنين عرضة للامتحان و الابتلاء ، و يكون امتحان الله سبحانه و تعالى لعباده في النفس و الأهل و المال ، في السراء أو في الضراء قال الله تعالى " فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ " [1] ، فالانسان في الخير و الشر هو في امتحان فإن أصابه فرح شكر كان خيرا له و إن أصابه قرح صبر كان ذلك خير ، فالله سبحانه يبتلي عباده ليختبر إيمانهم و صبرهم ، ثم يرزقهم الأجر والثواب على ذلك قال الله تعالى "﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [2]

ورد المصطلح في القرآن الكريم بلفظ الامتحان في آيتين فقط مرة في سورة " **الممتحنة** " وقد جاء في هذه الآية بمعنى الاختبار"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ...﴾"[3] والآية الأخرى في سورة الحجرات وجاء هنا بمعني الاختيار أي أن الله اختار و اصطفى بعضا من عباده فشرح ووسع قلوبهم للتقوى" ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾" [4] .

أما بقية الآيات التي ورد فيها المصطلح جاء بلفظ " الابتلاء " و لا يختلف مصطلح الابتلاء عن المحنة ، فالاثنان يلتقيان في نفس المعنى و هو الاختبار و الامتحان ، و بلاه الله بلاء و ابتلاه أي

[1] ـ سورة الفجر ، الآية 15 ـ 16.

[2] ـ سورة السجدة ، الآية 24 .

[3] . سورة الممتحنة ، الآية 10 .

[4] . سورة الحجرات ، الآية 03 .

اختبره [1] ، الفرق بينهما أن الامتحان يكون من الله سبحانه و البشر ولكن الابتلاء لا يكون إلا من الله سبحانه و تعالى .

و يكون ابتلاء الله لعباده إما في الجسد من خلال ما يصاب به الانسان من عاهات بدنية ، أو المرض الذي يلزمه الفراش حتى وفاته ، ومن المحن أيضا ما يصاب به الانسان من حزن و كدر جراء فقدان أحد من الأهل و الأحبة "كفقد حبيب إليه ، أو سكن عزيز عليه ، أو حميم أثير لديه " [2] ، و قد يمتحن الانسان أيضا بالفاقة و العوز ولا يوجد أبلغ من الأبيات التي نظمها الفقيه **المعافى بن زكريا بن يحي النهرواني الجريري** [3] (**ت 390 هـ/ 1000** م) عندما أثقل الفقر كاهله رغم ما كان يتحلى به من علم و شهرة يقول :

يَا مِحْنَـــــةَ اللهِ كُفِّي   إنْ لمْ تَكُفِّي فَخِـــفِّي

فـَــلَا عُلُومِي تُجْــدِي   ولا صِنَـــاعَةُ كَــفِّي [4]

و من المحن أيضا فقدان مال أو بيت أو أرض و غيرها من الماديات، فيجد العبد نفسه يعيش حياة العوز بعد الغنى والترف قال رسول الله ﷺ : " **ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ حتَّى يَلقى اللَّهَ وما عليْهِ خطيئةٌ** " [5] .

و لابد للمبتلى أن يتحلى بالصبر لتحمّل ما ينجم عن المحنة من نتائج ، ولكي ينال الأجر والثواب من الله قال الله تعالى :" ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ**

---

1 . ابن منظور ، **المصدر السابق** ، ص 355 .

2 . ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 105 .

3 . هو نحوي وأديب وشاعر و فقيه على مذهب محمد بن جرير من مواليد (305 هـ/ 917 م) له مجموعة من المؤلفات منها كتاب الجليس و الأنيس ، التفسير الكبير ، نصر مذهب ابن جرير ، اشتغل كقاضي أنظر جلال الدين السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي و شركاه ، 1964 ، ج 2 ، ص 293 . 294 .

4 . **نفسه** ، ص ص 293 . 294 .

5 ـ أخرجه الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى ، **الجامع الكبير** ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1996 ، ج 4 ، ص 204 .

وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1] ففي هذه الآية يذكر لنا الله أنواع الابتلاءات التي قد يصاب بها الانسان في حياته ثم يحثنا على الصبر و يبشر الصابرين على الابتلاء " بصلوات منه ورحمة "، و في آية أخرى رفع الله سبحانه وتعالى درجة الصابرين على الابتلاء ووصفهم بالمجاهدين قال تعالى : "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم**[2] ، وأعد الله لهم أجرا عظيما ووعدهم بذلك في أكثر من آية قال تعالى " **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**"[3] .

و أول من تعرض للمحنة من الأمة الإسلامية الرسول ﷺ أثناء نشره للدعوة ، فقذف بالحجارة في الطائف حتى أدميت قدماه ووضع القذى على رقبته وهو ساجد ، وحوصر هو وأهله ومن آمن برسالته في الشعب ، وتعرض لمحاولات قتل عدة مرات لكنه بقي صامدا صادحا بالحق مدافعا عن الإسلام [4]وسار على خطاه بعضا من أمته ، وعندما سئل أي الناس أشد بلاء في الدنيا قال ﷺ : " **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** " [5]

وفي حديث آخر أخبر الرسول ﷺ أن الله أعد لعباده الصابرين على البلاء أجر عظيم وربط عظم الجزاء بعظم البلاء وذكر أيضا أن الله يبتلي العبد إذا أحبه، قال ﷺ : " **إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**"[6].

---

[1]. **سورة البقرة** ، الآية 155 . 156 .

[2]. **سورة محمد** ، الآية 31 .

[3]. **سورة البقرة** ، الآية 157 .

[4]. رجب نصر موسى الأنس ، **سنة الابتلاء في القرآن الكريم** ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين ، 2007 ، ص 71 .

[5]. الترمذي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 203 .

[6]. الترمذي ، **المصدر السابق** ، ص 202 .

1. فقدان الأهل و المرض :

أ . فقدان الأهل :

من العلماء الذين امتحنوا بفقدان الأهل **أبو الوليد مُحَّد بن أحمد بن عبد الله بن أبي جعفر** [1] (**638 . 718** هـ/ **1240 . 1318** م) من فقهاء وكتاب الأندلس ، عرفه الذهبي " الشيخ الإمام الفقيه القدوة بقية السلف " [2] امتحن مُحَّد بن أحمد في صغره بوفاة والده وجده معا سنة 641 هـ/ 1243 م وعمره ثلاثة سنوات فقط فنشأ يتيما "في حجر أمه "متنقلا بين المدن الأندلسية ، فسكن شريش (Jerez de la Frontera) ثم غرناطة [3].

وما زاد في محنته فقدانه للمال الذي ورثه عن والده ، يقول العسقلاني أن ماله ضاع على يد جماعة من الظلمة "و كان له مال جزيل إلى الغاية فتمزق بأيدي الظلمة " ثم ذكر أن واحد من الذين استولوا على ماله الأمير ابن الأحمر وقال أنه أخذ منه عشرين ألف دينار دفعة واحدة و مجموعة من الكتب [4]، وفي رواية الذهبي صودرت أمواله من طرف الأمير ابن الأحمر" وورث مالا جزيلا فتمحق منه بمصادرة ابن الأحمر السلطان "[5].

و لا ندري إن كان الأمير الذي ذكرته المصادر هو مُحَّد الأول أم ابنه مُحَّد الفقيه ؟ لكننا نرجح الأول خاصة إذا علمنا أن مُحَّد بن أحمد لم يطل بقاؤه في الأندلس بعد وفاة أهله إذ ما لبث أن

---

[1] ـ هو مُحَّد بن أحمد بن قاضي الجماعة أبي الوليد مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن عبد الله بن أبي جعفر بن الحاج التجيبي ولد في الأندلس ثم غادرها إلى دمشق و درس عند جماعة من الشيوخ منهم الفخر بن البخاري ، عرض عليه منصب القضاء لكنه امتنع واشتغل إماما في محراب المالكية وألف العديد من الكتب في الفقه واللغة وعلم الحديث وسار ابنيه من بعده على نفس الخطى وأصبحا إمام المالكية في دمشق .أنظر شمس الدين الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، مُحَّد بن عيادي ين عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، 2003 ، القاهرة ، ج 14 ، ص 376 ؛ شهاب الدين العسقلاني ، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب ت ط ، ج 3 ، ص ص 350 . 351 .

[2] . **نفسه** ،ج 14 ، ص 376 .

[3] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 350 ؛ الذهبي ، المصدر السابق ، ج 14 ، ص 376 .

[4] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 350 .

[5] . الذهبي ، **المصدر السابق** ، ج 14 ، ص 376 .

غادرها وهو يافع إلى تونس ، مكث فيها خمسة سنوات فقط ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق التي استوطنها وعاش فيها إلى غاية وفاته [1] ، كما لم توضح هذه المصادر سبب مصادرة الأمير لأملاك مُحَّد بن أحمد ، قد يكون للأمر علاقة بوالده أبي جعفر بن الحاج التجيبي فقد شغل هذا الأخير منصب قاضي الجماعة في المملكة قبل وفاته [2] ومن المرجح أن يكون قد حدث خطب بينه و بين الأمير مُحَّد بن الأحمر جعله يصادر أملاكه بعد وفاته .

وقد يتسبب الحزن الملازم جراء موت شخص عزيز بأمراض و عاهات خطيرة ، مثلما حدث مع **يحي بن أحمد بن هذيل التجيبي** [3] (**ت 750هـ / 1352 م**) : واحد من كبار علماء القرن 8 هـ / 14م بالأندلس" كان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس"[4] برع ابن هذيل في العلوم العقلية والنقلية خاصة في الطب له مؤلفات في هذا المجال وكتب أخرى في الأدب ، للأسف أغلب هذه الكتب لم تصل إلينا [5] ، كما شغل ابن هذيل عدة مناصب في مملكة غرناطة منها طبيب في بلاط بني الأحمر ، و عمل بالتدريس بمدرسة غرناطة [6].

---

[1] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 350 .

[2] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ص 350 ؛ الذهبي ، **المصدر السابق** ، ج 14 ، ص 376 .

[3] . اسمه الكامل يحي بن أحمد بن هذيل التجيبي ويكنى أبا زكريا ، أصله من (أرجونة) واحد من علماء غرناطة شيخ حكيم و شاعر بليغ و أعجوبة زمانه في الاطلاع على علوم الأوائل ، تتلمذ على يد نخبة من شيوخ الأندلس أخذ العربية والأدب على يد أبي بكر ابن الفخار ، و الطب على يد أبي عبد الله الأركشي وأبي زكريا القصري ، والحساب على يد أبي الحسن بن راشد والجبر والهندسة والأصول وعلم النجوم على يد الاستاذ أبي عبد الله بن الرقام له مجموعة من الكتب منها " **الاختبار والاعتبار** " ، " **والتذكرة في الطب** " و "**شرحه لكراسة الإمام فخر الدين الرازي في الطب** "و مؤلفات في مجال الأدب كالسليمانيات في الشعر و العربيات وتنشيط الكسل . أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 487 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 560 ؛ خير الدين الزركلي ، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين** ، ط 15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002 ، ج 8 ، ص 136.

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 534 .

[5] . مُحَّد عويد الساير ، **ابن هذيل التجيبي الغرناطي (ت 753 / 1352) حياته و ما تبقى من شعره جمع و صنعة ودراسة** ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، العدد 7 ، ج 19 ، 2012 ، ص 269 .

[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص ص 534 . 535 .

تعرض ابن هذيل التجيبي لمحنتين كانت الأولى فقدانه لزوجته والمحنة الثانية إصابته بفالج أفقده الحركة بسبب حزنه الشديد على رحيلها "و صحبه عليها وجد شديد ، وحزن ملازم " [1] والمعلومات عن محنته قليلة لم يأت على ذكرها إلا لسان الدين بن الخطيب وابن هذيل كان أحد شيوخه الذين تتلمذ على يديهم[2] و قد كان ابن الخطيب سندا لمعلمه أثناء محنته وذكر بأنه استقبله في بيته أثناء مرضه للاعتناء به " فالتزم المنزل عندي لمكان فضله "[3] ربما لأن ابن هذيل لا يملك أبناء أو كانوا صغارا لا يتحملون مشقة الاعتناء به و ما يرجح هذه الفرضية أيضا استدعاؤه لابن الخطيب قبل وفاته وخصه بآخر وصية له " فلما ثقل وقربت وفاته استدعاني وقد كان لسانه لا يبين القول " وأوصاه بدفنه بجوار زوجته [4] .

إذا مِتُّ فادْفِنِّي حِذاءَ حَلِيلَتي يُخَالِطُ عَظْمِي في التُّرَابِ عِظَامَها
ولا تدْفِنِّي في البَـقِيعِ فإنَّـنِي أُرِيدُ إلى يوْمِ الحِسَابِ التِزَامَهَـا [5]

وحقق له ابن الخطيب وصيته ودفنه بنفسه بباب البيرة (Elvira)[6] بالقرب من زوجته كما جاء في وصيته [7] .

وشاءت الأقـدار أن يفقد ابن الخطيب هو أيضا زوجته سنة 762هـ / 1364 م وهو بعيد عن وطنه وبالضبط في مدينة سلا[8] (Salé) بالمغرب الأقصى مخلفة وراءها أطفالا صغارا وحزنا كبيرا

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 560 .
[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 487 .
[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 560 .
[4] . **نفسه** .
[5] . **نفسه** ، ص 561 .
[6] . بلدة البيرة تقع بالقرب من ساحل البحر بالأندلس فيها مرسى ترسو فيه السفن ما بين مرسية و ألمرية . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 526 .
[7] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 561 .
[8] . مدينة مغربية تقع في الجهة الغربية الجنوبية من مدينة مراكش وتبعد عنها بعشرة مراحل ولا يوجد بعدها إلا مدينة صغيرة تدعى غرنيطوف. أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 231 .

على فراقها لم يتحمله ابن الخطيب لأنها كانت سندا له في المنفى تمده بالصبر على ما ألم به ، وقد سرد تفاصيل محنته في كتابه " **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** " واصفا حزنه وألمه على فراقها قائلا : " فجعلت عليها حسرتي ، واشتد جزعي ، وأشفيت لعظم حزني " ودفن زوجته بالبستان المتصل ببيته في مدينة سلا و نقش على قبرها قصيدة كتبها تخليدا لذكراها هذه بعض أبياتها:

رَوَّعَ بَـالِي وَ هَـاجَ بَلْبَـالِـي   و سَـامَنِي الثَّكْلُ بعْدَ إقْبَالِ

قدْ كُنْتِ مَا لِي لما اقْتَضَى زَمَنِي   ذَهَابَ مَا لِي وكنْتِ آمَـالِي [1]

ب . المرض :

وهناك علماء امتحنوا بأسقام وعاهات بدنية أثرت على حياتهم و أعمالهم ، و آخرين تسبب المرض في وفاتهم ، وإن كنا لا نعرف أحيانا نوع هذه الأمراض لأن المصادر التي نقلت تفاصيل محنتهم لم تتطرق لذكرها لكنها أجمعت على ملازمة المرض لهم لفترة طويلة حتى وافتهم المنية ، ومن هؤلاء **أبو عبد الله مُحَّد بن قاسم التياني** من مدينة ألمرية قرأ القرآن بالقرآت السبع و العربية على يد أبي الحسن على بن مُحَّد بن ابي العيش ، وكان ابن القاسم التياني يقرض الشعر، أصيب بمرض طالت مدته أودى بحياته في الأخير ، و هو على فراش المرض كان يرى فيما يرى النائم كأنه يقول شطر بيت " إخوتِ يبكون بكل صوت " فتم تعبير الرؤيا بقرب وفاته " سقوط الياء التي لا يستقيم الوزن إلا بجزمها و هي ضميره المضاف إلى إخوته مؤذن بفقده دونهم " و كان الأمر كذلك فقد توفي سنة 707 هـ/1307م أو 708 هـ/ 1308م و كان أول من توفي من إخوته [2].

[1] . لسان الدين بن الخطيب ، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ص 205 .

[2] . أبي العباس ابن القاضي ، **درة الحجال في أسماء الرجال** ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ج 2 ، ص 64 . 65 .

ومنهم أيضا **أحمد بن مُحَّد قعنب**[1] (**670 . 732هـ / 1271 . 1329 م**) اشتغل ابن مُحَّد قاضيا بعدة مدن منها لوشة (Loja)بسطة (Baza) ، المسند ، أرحبة (Orgiva) ، برجة وغيرها من المدن وتميز بحدة الذكاء " باقعة بواقع زمانه" ، ابتلي ابن مُحَّد بمرض تسبب بوفاته و هو لايزال قاضيا في مدينة برجة ، ولا نعلم نوع علته فلم نظفر له إلا على ترجمة واحدة نقلها ابن الخطيب وهذا الأخير استعمل كلمة " سدكت " أي لازمه المرض لفترة طويلة حتى توفي سنة 732 هـ/ 1329م ببرجة ونقل بعد ذلك إلى البيرة في صندوق خشبي ودفن بمقبرتها [2].

و منهم أيضا **مُحَّد بن علي بن أبي بكر الأنصاري** (**ت 744 هـ/ 1343 م**) ويعرف أيضا باسم أبي عبد الله بن الأصفر من فقهاء مدينة غرناطة معروف بالورع والزهد ، امتحن الأنصاري بمرض أنهك جسده وعلى الرغم من الوهن و الضعف اللذان سببهما له المرض ظل يرتاد المسجد حتى وافته المنية وهو عائد من أداء الصلاة "انصرف من بعض الصلوات فسقط و احتمل خطا يسيرة وقضى نحبه" [3].

ومن هؤلاء أيضا الشاعر **مُحَّد بن علي** [4] (**731 . 755هـ / 1330 . 1354م**) الذي خولته براعته في نظم الشعر الدخول إلى بلاط بني الأحمر بتزكية من الوزير لسان الدين بن الخطيب " فجذبته إلى الدار السلطانية واشتدت براعته فكاد يستولي على الأمر"[5] ، لكن المنية عاجلته بسبب مرض ألم به ولم ينفع معه علاج فتوفي مبطونا في ريعان شبابه ولم يتجاوز من العمر إلا أربع وعشرون سنة فقط ، فخسرت المملكة شاعر كان سيكون له شأن عظيم حسب ابن الخطيب الذي تحسر على وفاته

---

[1] ـ أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن قعنب الأزدي يكنى أبا جعفر ويعرف باسم ابن قعنب وهذا اللقب يطلق على قوم سكنوا غرناطة فيما مضى ،كان من شيوخ كتاب الشروط وله معرفة بالمسائل والأحكام . أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 321 .

[2] . **نفسه** ، ج 1 ، ص 324 . 325 .

[3] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 84 .

[4] ـ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 756 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 89 . 90 .

[5] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص756 .

بقوله " فلولا أن المنية اخترمته شابا فثكل منه الشعر قريع إجادة ، وبارع ثنيه شهرة ، لو انفسح له الأمد " [1].

2. الأمراض النفسية :

أ. الأرق :

تتسبب المحن بالحزن والأسف والوجد والتعب والكرب والقلق وغيرها من الضغوطات[2] التي بدورها تؤدي للإصابة ببعض الأمراض النفسية كالأرق ، ومن العلماء الذين أصيبوا بهذا المرض لسان الدين بن الخطيب و قد لازمه طويلا فلم يكن ينام من الليل كله إلا القليل " و كان رحمه الله مبتلى بداء الأرق لا ينام من الليل إلا النزر اليسير جدا " [3] قد يكون سبب مرضه هذا هو ولوجه مبكرا إلى بلاط بني الأحمر و اشتغاله بالسياسة و ما يحمله هذا المجال من قلق وضغوطات نفسية و التي غالبا ما تسبب أمراض نفسية و عضوية خطيرة " و يعمر القلب ، و يتعب النفس ، و يضيق الصدر ، ويذهب النوم و يطرد الأنس " [4]، وعلى الرغم من دراسته للطب على يد شيخه ابن هذيل التجيبي واجتهاده بعد ذلك في البحث عن علاج لكثير من الأمراض وتأليفه لمجموعة من الكتب في مجال الطب منها كتابه الشهير " **الوصول لحفظ الصحة في الفصول** " إلا أنه عجز عن إيجاد دواء لمرضه هذا ، لكنه استغل قلة نومه في الكتابة والتأليف فأغلب كتبه كتبها في الليل لذلك أطلق عليه لقب ذو العمرين فالناس تنام الليل وهو يقضيه ساهرا [5].

---

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج2 ، ص ص757. 776.

[2]. ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 110 .

[3]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 80 .

[4]. ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 110 .

[5]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 80 .

ب . الجنون :

و قد تتسبب الضغوطات النفسية بالجنون ، هذا ما حدث للشاعر **محمد الخير المالقي** أصله من مدينة مالقة ولد بها سنة 831 هـ/ 1427م قرأ القرآن والفقه ، وتخصص في الأدب شعرا ونثرا فبرع فيهما ، وكان خطه حسنا أهله ذلك للكتابة عند بعض الملوك " الكاتب المجيد الباهر والشاعر الفريد الماهر "غادر بلاده سنة 864 هـ/ 1459 م[1] ، و لا ندري بالضبط الأسباب التي دفعته إلى ذلك لكن يبدو أنه اضطر إلى الرحيل عن مدينته فقد كانت مالقة في هذه الفترة تشهد تزايدا كبيرا لهجومات الإسبان حيث تمكنوا من إحكام قبضتهم على أغلب حصونها وبعض المناطق المجاورة لها ،كما كانوا يغيرون على المزارع من حين لآخر يحرقون المحاصيل [2].

فكان محمد الخير المالقي واحدا من الآلاف الذين شدوا الرحال قاصدا مدينة تونس و حاول أن يجد لنفسه مكانا داخل البلاط الحفصي معتمدا على موهبته في نظم الشعر ، وامتدح أميرها المسعود بالله فعينه هذا الأخير في خطة الكتابة و قربه أليه " فقربه إليه وأدناه " ، لكن لسوء حظه لم تدم نعمته طويلا ففي سنة 888 هـ/ 1483م أصيب محمد الخير بخلل في عقله و بدأ يقدم على بعض التصرفات الغريبة ، ففي واحدة منها قام محمد الخير المالقي بالتجرد من ملابسه أمام الملأ [3].

و قد تأسف عبد الباسط في روايته على ما ألم به و حمل مسؤولية ما حدث له لواحد من كتاب القصر يدعى أحمد الخلوف تم تعينه في خطة الكتابة إلى جانب محمد الخير نشأت بينهما منافسة شديدة " وداما على ذلك مدة في تنافس وتعارضات بالنظم وغيره" تخلص منها بضع سنوات عند سفر منافسه إلى القاهرة ، و بعد عودته ساءت الأمور بينهما من جديد و لا ندري ما الذي

[1] - عبد الباسط بن خليل المالطي ، **رحلة عبد الباسط الملطي إلى المغرب و الأندلس من كتاب " الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم "** ، تح روبرت برونشفيك ، لاروس للنشر ، باريس ، 1936 ، ص ص 21 . 22 .

[2] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 46 .

[3] . عبد الباسط ، **المصدر السابق** ، ص22 .

كان يحدث بينهما بالضبط فقد اكتفى عبد الباسط بقول " وعاد ما كان بينهما من التشاجر " حتى أصيب مُحَمَّد الخير المالقي بالجنون [1].

و من العلماء الذين أصيبوا بالجنون أيضا **مُحَمَّد بن عبد الواحد بن مُحَمَّد البلوي** من عائلة مرموقة [2] تنحدر من مدينة ألمرية ، من الأدباء يجيد النظم و النثر حسن خط " خطا رايقا ، ونظما بمثله لايقا " اشتغل في القضاء نائبا عن بعض القضاة [3] .

أصيب البلوي بالجنون وسبب ذلك حسب ابن الخطيب كثرة السكون و الحياء " كثير السكون و الحياء ، آل به ذلك أخيرا للوثة " ، وساءت حالته كثيرا لدرجة كان أهله يتمنون موته[4]، ولا نعلم السنة التي أصيب فيها البلوي بهذا المرض لكن من المرجح أن يكون قد أصيب به بعد سنة 749هـ / 1348م لأن ابن الخطيب نقل أبياتا شعرية له قال أنه نظمها في أواسط شهر شعبان من هذه السنة [5] ، و استمرت محنته إلى غاية تأليف ابن الخطيب لكتابه سنة 760 هـ/ 1359م" و هو الآن رهين ما ذكر "[6] و لا نعلم مصيره بعد هذه السنة .

---

[1]. عبد الباسط ، **المصدر السابق** ، ص 22 .

[2]. ذكر المقري تذييلا أضافه أبي الحسن علي بن لسان الدين بن الخطيب على كتاب والده يمتدح فيه عائلة البلوي فقال أنهم ذو حسب وأهل نعيم و تربية ملوكية . أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 64 .

[3]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 987 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص ص 63. 64 .

[4]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 987 .

[5]. **نفسه** ، ص 988 .

[6]. **نفسه** ، ص 987 .

3. فقدان البصر و السمع :

أ. فقدان البصر :

و من المحن أيضا فقدان حاسة من الحواس كالسمع أو البصر " ...أو فقد سمع أو بصر ، أو نقص قوة من قوى البشر... "[1] وصف الرسول ﷺ العينين بالحبيبتين وقال من ابتلاه الله بذهاب بصره وصبر على هذه المحنة دخل الجنة قال رسول الله ﷺ : "**يقول اللهُ عز وجل : من أذهبتُ حبيبتَيه فصبر واحتسَب، لم أرضَ له ثوابًا دونَ الجنة** "[2] ، من العلماء الذين امتحنوا بفقدان البصر **أبي عبد الله بن جابر الضرير** [3] (**698 . 780** هـ/ **1298 . 1378** م) نحوي وفقيه درس في الأندلس على يد نخبة من علماءها ثم انتقل إلى المشرق في رحلة علمية جال فيها بين المدن المشرقية ، ففي البداية دخل مصر ، ثم انتقل بعدها إلى الشام ، و استقر أخيرا في مدينة حلب [4] .

كان ابن جابر أعمى لكنه تمكن من التغلب على محنته و أصبح واحدا من كبار علماء اللغة العربية "كان كثير النظم عالما بالعربية "[5]، و عند استقراره في حلب أصبح واحد من أبرز الفقهاء و أهل الفتيا فيها [6] و قام بتأليف العديد من الكتب منها " **بديعية العميان** "، و " **شرح ألفية ابن مالك** " ،وديوان شعر و مدائح نبوية كثيرة منها " **الحلة السيراء في مدح خير الورى** " [7].

---

[1] - ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 105 .

[2] . الترمذي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 205 .

[3] . وهو أبو عبد الله ابن جابر محمد بن جابر الضرير عرف باسم بشمس الدين بن جابر الضرير من مدينة ألمرية ، قرأ القرآن والنحو على يد محمد بن يعيش والفقه على يد محمد بن سعيد الرندي ، وعلم الحديث على يد أبي عبد الله الزواوي . أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 664 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 34 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 340 ؛ أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر ، **نثير الجمان في شعر من نظمني و إياه الزمان** ، تح محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1976 ، ص 200 .

[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 664 .

[5] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 340 .

[6] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 200 .

[7] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 664 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 340 .

كيف تغلب ابن جابر على محنته ؟ و من كان يدون له مؤلفاته و ما يتعلمه عن شيوخه ؟ ابن الأحمر والمقري في ترجمتهما لابن جابر لم يتطرقا إلى ذلك[1] واتفق كل من العسقلاني والسيوطي أن أحمد بن يوسف الرعيني [2]هو من كان يقيد ويدون له أثناء رحلته العلمية إلى المشرق ، فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يكتب " ثم رحل إلى الديار المصرية بصحبة الرعيني و ذاع صيتهما هناك وكانوا يطلقون عليهما " الأعمى والبصير " ، و لا نعلم إن كانت علاقتهما قد بدأت قبل الرحلة إلى المشرق ؟ و من كان يقيد له ما يتعلمه على يد شيوخه في الأندلس قبل رحلته العلمية ؟ لكن علاقتهما استمرت بعد العودة إلى الأندلس حيث أقاما في مدينة البيرة وبقي الرعيني يدون له كتبه قرابة الخمسين سنة إلى أن تزوج ابن جابر فافترقا [3] ، وتوفي الرعيني سنة 779هـ / 1377 م وبعد سنة رحل رفيقه ابن جابر [4].

و علماء آخرون فقدوا بصرهم في أرذل العمر من هؤلاء **مُحَّد بن إبراهيم الأنصاري** [5](**648 . 735 هـ/ 1250 . 1334م**) من شيوخ الصوفية بمدينة مالقة بدأ حياته خياطا ثم انتقل إلى النسخ والتعليم فتخرج على يديه الكثير من العلماء أشهرهم أبو الحسن بن الجياب [6] ،كما تولى الخطابة بالمسجد الجامع بمدينتي مالقة وغرناطة ، ذاع صيته بين الناس بحبه لعمل الخير فاقتدى به الكثير من الناس وأصبح عنده أتباع ومريدين في كل مكان [7].

---

[1]. ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 200 و ما بعدها ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 664 .

[2]. هو أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني أبو جعفر من غرناطة أديب ولد سنة 700 هـ 1300م ، كانت له موهبة في النظم والنثر " عارفا بالبديع " . أنظر ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 62 .

[3]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 340 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 34 .

[4]. السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 35 .

[5] - هو مُحَّد ين أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري يكنى أبا عبد الله ويعرف باسم الساحلي ، رفع راية الأدب في الأندلس لا يجاريه أحد ، وكان أحد أكبر الشيوخ الصالحين المحققين المجتهدين ذا قدر كبير من الدين والعبادة محافظا على السنن والأذكار ، ألف كتاب أسماه " **إعلان الحجة في بيان رسوم الحجة** " كانت له رحلة علمية إلى بلاد السودان .أنظر ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 235 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 391 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 322 .

[6]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 998 .

[7]. **نفسه** ، ص 996 .

فقد ابن إبراهيم الأنصاري بصره بعد بلوغه السبعين من عمره ورغم المحنة التي ألمت به بقي صابرا محتسبا وكان يقول لأصحابه:" سألت الله أن يكف بصري خوفا من الفتنة " [1] ، توفي ابن إبراهيم الأنصاري سنة 735هـ / 1334م [2] أي بعد أكثر من خمسة عشر سنة من إصابته بالعمى ولسنا ندري هل تمكن من استعادة بصره أم أنه بقي على حاله إلى غاية وفاته فالمصادر التي نقلت تفاصيل محنته لم تذكر شيئا عن ذلك [3].

و منهم أيضا **أحمد بن عمر المالقي (ت 732هـ / 1332 م)** اشتهر باسم الجوال ، أديب وشاعر ولد ونشأ في مدينة مالقة ثم انتقل إلى غرناطة ، أهلته موهبته في الأدب والكتابة للحصول على مكان له بين كتاب الإنشاء في بلاط بني الأحمر "كان أديبا بارع الخط "، أصيب أحمد بن عمر بالعمى في أخر عمره "قد تغلب عليه زمانة عينيه وسقط في يديه " فغادرغرناطة عائدا إلى مالقة بسبب عجزه عن أداء وظيفته بعد فقدانه لبصره [4] .

و منهم أيضا **أحمد بن هارون الغساني (ت 726 هـ/ 1326م)** معروف باسم المشامري من فقهاء مدينة ألمرية أخذ العلم على يد نخبة من علماء مرسية ثم غادر الأندلس و استوطن مدينة بجاية بالمغرب الأوسط و تقدم للخطابة والإمامة فيها ، ابتلي الغساني بفقدان البصر في سنواته الأخيرة " كف في آخر عمره بصره " [5].

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 997 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 322 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 999 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 391 .

[3] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 322 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 996 . 997 .

[4] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 232 . 233 .

[5] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 129 .

ب . فقدان السمع :

و علماء فقدوا حاسة السمع و أصيبوا بالطرش من هؤلاء **أبو عبد الله مُحَّد بن إبراهيم الأنصاري** [1] يعرف باسم الشديد ، أصله من جيان و نشأ في مالقة حسن الخط ، يقرأ كتاب الله بنغمة طيبة " بلبل دوح السبع المثانى " مكنه ذلك من دخول قصور الملوك و الأمراء فعرض عليه أحد أمراء بني مرين الاقامة في المغرب لكنه اختار العودة إلى الأندلس و تقرب من أمراء بني الأحمر فصلى التراويح بمسجد قصر الحمراء [2] و تقلد مناصب أخرى منها شهادة الديوان بمالقة ، و عين أيضا في خطة الحسبة بنفس المدينة [3]، زاول عمله إلى أن أصيب بالطرش[4] لا ندري إن توقف عن عمله بالحسبة أم لا ، لكنه واصل تلاوة القرآن في القصر رغم محنته ويبدو أن العاهة التي أصابته حدت من قدراته " لولا طرش نقص الأنس به " [5].

4 . العاهات البدنية :

ومن المحن أيضا العاهات البدنية "الزمنى " التي تصيب الأطراف و تسبب العجز لصاحبها مثلما حدث مع **مُحَّد بن علي البلنسي** [6] من علماء العربية والبيان في مدينة غرناطة ، أصيب بعاهة

1 . ولد سنة 710 هـ/ 1310م بمدينة مالقة و فيها درس على يد أبيه ثم انتقل إلى غرناطة ، تتلمذ فيها على يد نخبة من شيوخها ، كما كانت له رحلة علمية قادته إلى تونس . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 894 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 141 .

2 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 894 .

3 . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 141 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 895 .

4 . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 141 .

5 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 900 .

6 - اسمه الكامل مُحَّد بن علي بن مُحَّد البلنسي ويكنى أبا عبد الله ، أصله من مدينة بلنسية وهاجر مع عائلته إلى غرناطة ، و فيها درس على يد جماعة من شيوخها وعلمائها ، أستاذه الأول الشيخ أبي عبد الله بن الفخار ، له بعض التآليف من بينها كتاب في تفسير القرآن الكريم من عدة أسفار و كتاب آخر استدرك فيه علي السهيلي في أعلام القرآن . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 551 . 552 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 191 .

في يده اليمنى " مع زمانة أصابت يمنى يديه "[1] أعاقته عن أداء عمله ، و يمكننا أن نتصور حجم عنائه وهو طالب علم يحتاج لتقييد ما يتعلمه على شيوخه ، تغلب البلنسي على محنته باستعمال يده اليسرى " قيد بأختها و انتسخ " و تمكن من تأليف مجموعة من الكتب أهدى واحدا منها للأمير الأحمري **محمد الرابع** [2] (**725 . 733 هـ/ 1325 . 1333م**) ، وصفه ابن الخطيب " بالكتـاب النبيـل"[3].

ثالثا . الحوادث :

و من المحن أيضا الحوادث الطارئة التي تتسبب لأصحابها بأضرار كبيرة و عاهات خطيرة وقد تصل أحيانا إلى حد الموت ، من العلماء الذين تعرضوا لحادث مميت **محمد بن صفوان القيسي**[4] (**ت 749 هـ/ 1348 م**) واحد من كبار الفقهاء في مدينة مالقه " كانت له منزلة عظيمة في الفقه " [5] ، تولى الخطابة بالمسجد الجامع في الربض الشرقي فاكتسب احترام وتقدير الناس الذين كانوا يقصدونه للتبرك به ، كما حظي بعناية الأمير أبو الحجاج يوسف (733 . 755 هـ / 1333 . 1354م) الذي أشار عليه بتأليف كتاب في التصوف [6] .

ألمت بابن صفوان حادثة كانت سبب وفاته وقعت له أثناء رحلته من مدينة مالقه إلى غرناطة وبالضبط في بلش في وقت الأسحار خرج يبحث عن الماء ليتوضأ فسقط في حفرة تعرض فيها

---

[1] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 191 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 551 .

[2] - هو محمد بن إسماعيل بن فرج النصري يكنى أبا عبد الله سادس أمراء بنو نصر ، تولى الحكم بعد وفاة والده الأمير إسماعيل الأول واستمر في الحكم ثمانية سنوات . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 77 وما بعدها ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 34 .

[3] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 551 .

[4] - هو محمد بن أحمد بن حسين بن يحي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي من بيت شهير في مدينة مالقة يكنى أبا الطاهر ويعرف بابن صفوان ، واحد من علماء الصوفية ، و الفقه حافظا لكتاب الله كما كان له اعتناء بكتاب "**منازل الساري إلى الله** "لمؤلفه أبي إسماعيل الروبي و قام بتدريس ما جاء في الكتاب لجملة من أهل الفضل والصلاح بالمملكة . أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 989 . 990 ؛ **الكتيبة** ، ص 54 .

[5] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 314 .

[6] . وقع علي ظهر الكتاب الشيخ أبو الحسن بن الجياب بأبيات يقول فيها : أيام مولاي الخليفة يوسف جاءت بهذا العالم المتصوف . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 990 .

لإصابات بالغة " فتردى في حفرة ترديا أوهن قواه " ، أعيد بعد ذلك إلى مدينته مالقة و بقي طريح الفراش مدة إلى غاية وفاته [1].

و من الحوادث أيضا الاضطرابات و الفتن التي تتسبب في الهلع والخوف وقد تؤدي الصدمات النفسية الناجمة عن ذلك للإصابة بالمرض هذا ما حدث مع **أحمد بن عبد الله اللخمي** [2] **(ت 708ھ / 1308 م)** فقد عايش أحداث الانقلاب الذي وقع في عيد الفطر سنة 708ھ / 1308 م وأدى إلى خلع الأمير محمد الثالث [3](701 . 708ھ / 1301 . 1308م) .

قتل في الانقلاب الوزير ابن الحكيم وآخرون وتعرضت بيوت أصحاب الخطط والرتب والأعيان المحاذية لبيت الوزير ابن الحكيم للنهب والسلب و منهم أحمد بن عبد الله الذي كان متواجدا في المكان ، ورغم تمكنه من الهرب و النجاة أصيب بعد مدة بمرض ألزمه الفراش بسبب حالة الهلع والخوف من هول ما شاهده يوم الحادث " فأفلت تحت سلاح مشهور وحيز مرقوف وثوب مسلوف "، يقول ابن الخطيب أن علته دامت أياما : " فأصابته بسبب ذلك علة أياما" لكنها في الحقيقة دامت أكثر من ذلك فوفاته كانت يوم الثامن والعشرون من شهر ذي الحجة ، وحادثة الانقلاب وقعت يوم عيد الفطر فمرضه إذن تجاوز الشهرين [4].

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 994 .

[2] هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي يكنى أبا العباس فقيه وأديب وشاعر (الشعر في وقته المشار إليه بالبنان) ، أصله من مدينة سبتة ثم انتقل برفقة قومه إلى غرناطة بعد ضم مدينتهم من طرف الدولة النصرية وما ترتب عن ذلك من غلاء الأسعار و انتشار الفاقة بين السواد الأعظم من سكانها ، عند وصوله لغرناطة حظي بمكانة مرموقة لدى الأمير محمد الثالث المخلوع بفضل مكانته العلمية فأصبح ملازما لمدبر الدولة (ذو الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم) الذي كانت تربطه به علاقة صداقة .أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص ص 561 . 562 ؛ المقري ، **أزهار** ، ج 2 ، ص 375 .

[3] . هو ثالث أمراء بنو الأحمر يلقب بالمخلوع ، أمضى فترة حكمه في صراع مع القشتاليين و المرينيين ، أصيب في نهاية حياته بمرض في عينيه نتيجة الافراط في السهر على ضوء الشموع ، فقام كبار الدولة بخلعه ثم نقل إلى مدينة المنكب إلى غاية وفاته سنة 708ھ / 1309م. أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 47 ؛ شكري ، **المرجع السابق،** ص ص 30 . 31 .

[4] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 574 .

ـ الغرق :

شكلت حادثة غرق سفينة [1]كانت تقل جمعا كبيرا من الأدباء وطلبة العلم صدمة كبيرة في مملكة غرناطة خاصة في وسط العلماء ، أقلعت السفينة من أحواز الغبطة بساحل مالقة متجهة إلى بلاد المشرق في أواخر سنة 739 هـ/ 1338 مـحسب ابن الخطيب[2] والمقري الذي نقل الحادثة عنه [3] أما العسقلاني فقال أنها كانت سنة 758 هـ/ 1357 ملكننا نرجح رواية ابن الخطيب فمن الواضح أن العسقلاني أخطأ في ذكر السنة[4] غرقت السفينة بعد اقلاعها بقليل بسبب هيجان أمواج البحر التي اجتاحت السفينة و أغرقتها " مال عليها البحر فسقاها كأس الحمام " [5].

و قد هلك كل الركاب و لم ينج منهم أحد ، ومن بين الضحايا **مُحَمَّد بن مقاتل** [6] **(ت 739 هـ/ 1338م)** فقيه ، أديب وشاعر وعلى الرغم من كثرة تقييده "كثير النظم واسع الأدب "[7] إلا أن مؤلفاته فقدت حسب ابن الخطيب و لم يتبق منها إلا القليل [8] و هلك مع ابن مقاتل ضحايا آخرون من العلماء وطلبة العلم لكننا لم نتمكن من الحصول على أسماء بقية الضحايا فلم تذكر المصادر

---

[1] . هذه الحادثة تشبه إلى حد بعيد حادثة غرق سفينة الأمير المريني أبي حسن التي وقعت سنة 750 هـ/ 1349 م بسواحل مدينة بجاية في رحلة عودتها من تونس و كانت تحمل على متنها نخبة كبيرة من العلماء فقهاء و كتاب و جمع من الأشراف بلغ عددهم حوالي أربعمائة ، مات معظمهم . أنظر مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن** ، تح ماريا خسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 261 وما بعدها ؛ أحمد بن خالد السلاوي ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تح جعفر الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج 1 ، ص ص 170 . 171 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 984 .

[3] . المقري ، **نفح** ، ج 6 ، ص 236 .

[4] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 193 .

[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 981 .

[6] . اسمه الكامل مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالله بن مقاتل يكنى أبا بكر من مدينة مالقة وصفه ابن الخطيب بالنابغة المالقية لا نعلم سنة ولادته فلم يفردها لا ابن الخطيب ولا المقري لكن يبدو أنه توفي في سن صغيرة فقد استعمل ابن الخطيب العبارة التالية " مع اخضرار العود ، وسواد المفرق " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 981 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 236

[7] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 193 .

[8] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 981 ، المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، 237 .

أسماءهم رغم الحزن و الصدمة الكبيرة التي أحدثتها هذه الحادثة في مملكة غرناطة " فأجروا الدموع حزنا ، وأرسلوا العبرات عليهم مزنا " [1] .

و من الشعراء الذين ماتـوا غرقا أيضا في حادثـة أخرى **علي بن مُحَّد بن عبد الله نور الدين** و هو واحد من أبناء لسان الدين بن الخطيب[2] ، و كان هذا الأخير قد خلف بعد وفاته ثلاثة أبناء هم عبد الله ومُحَّد وعلي استقروا بالمغرب الأقصى ، فبينما اشتغل عبد الله كاتبا مال مُحَّد إلى التصوف ، أما علي يبدو أنه كان مولعا بالأدب والشعر، وصف المقري شعره "بالعذب المصيب″ ونقل أبياتا له يمتدح فيها الأمير المريني أحمد الملقب بالمستنصر الذي كان مقربا منه "وعلي منهم هو صاحب السلطان أحمد " :

لا أَوْحَشَ اللهُ رَبْعاً أَنْتَ زائِـرُهُ   يا بَهْجَةَ المُلْكِ والدُّنْيا معَ الدِّينِ
يا أَحْمَدَ الحَمْدِ أَبْقَاكَ الإِلَهُ لَنا   فَخْــرُ المُلُوكِ وسُلْطَانُ السَّلاطِينِ [3]

كانت لعلي رحلة علمية قادته إلى القاهرة درس فيها عند بعض الشيوخ [4] ، كما قام بتذييل كتابات مفيدة على نسخة من كتاب أبيه " **الإحاطة في أخبار غرناطة** " كانت موجودة في مصر مضيفا عليها بعض الأخبار التي أغفلها والده أو شاهدها هو أو ردا له على من انتقد والده [5] ، وبعد نهاية رحلته هم بالعودة إلى وطنه لكنه توفي غرقا أثناء رحلته قبل سنة 800 هـ/ 1397 م" فمات غريقا فيما بلغني قبيل الثمانى مائة "كما يذكره العسقلاني [6].

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 981 .
[2]. **نفسه** ، ج 3 ، ص 111 .
[3]. المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص ص 319 . 320 .
[4]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 111.
[5]. المقري ، **نفح** ، ج 7 ، ص ص 301 . 302 .
[6]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 111.

رابعا . وباء " الطاعون " :

يعتبر وباء الطاعون من أخطر الأوبئة و أكثرها فتكا للبشرية على مر الزمن ، و ينقسم هذا الوباء إلى عدة أنواع منها : الطاعون العقدي ، الطاعون الرئوي ، الطاعون الإنتانمي أو القروح السود [1] ، وقد اجتهد العلماء لإيجاد علاج نافع له من هؤلاء لسان الدين بن الخطيب في كتابه " **مقنعة السائل** " حيث توصل لمجموعة من الحقائق العلمية التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت منها أن الطاعون ينتقل بالعدوى ، و أشار أيضا إلى وجود جراثيم ناقلة للمرض ، كما اقترح بعض الحلول لتجنبه أو التقليل من انتشاره مثل تناول بعض المأكولات ، وعزل الشخص المصاب عن الناس وإحراق ملابسه وتطهير المكان بالبخور والكحول .[2]

تشير الدراسات أن أول طاعون ضرب العالم كان في القرن السادس الميلادي في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط أطلق عليه اسم " طاعون جوستنيان " ،وظل يظهر دوريا لمدة قرنين من الزمن كل عشرة سنوات أو خمسة عشرة سنة ، ثم اختفى في القرن الثامن الميلادي ليظهر من جديد في القرن الرابع عشر الميلادي وبالضبط في الصين سنة 746 هـ/ 1346م وبدأ في الانتشار حتى وصل إلى قارة أوروبا وشمال افريقيا في 749هـ / 1349م [3]، أتى هذا الوباء على الأخضر واليابس وحصد من الضحايا ما لا يحصى ، يقول ابن عماد واصفا الخسائر التي خلفها " فيها كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله عم سائر الدنيا حتى قيل إنه مات نصف الناس حتى الطيور والوحوش والكلاب " [4].

---

[1]. مزدور سمية ، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط** ، مذكرة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، 2009 ، ص 252 .

[2]. نهاد عباس زينل ، **الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب ت ط ، ص 246 .

[3]. خالد بلعربي ، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني** ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2009 ، ص 04 .

[4]. شهاب الدين أبي الفلاح ابن عماد ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تح محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1996 ، ج 8 ، ص 271 .

تأثرت الحياة العلمية بالمغرب والأندلس أثناء الوباء فتوقفت الدراسة و هجرت دور العلم المختلفة بسبب فقدان عدد كبير من العلماء ، ولا يوجد صورة أبلغ مما قاله عبد الرحمن بن خلدون [1] الذي عايش جائحة (749هـ / 1348م) في تونس وفقد والديه وجملة من شيوخه فيها يقول: " لم أزل منذ نشأت ، وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل ، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته ، إلى أن كان الطاعون الجارف ، وذهب بالأعيان ، والصدور ، وجميع المشيخة وهلك أبواي " [2] ، ودخل ابن خلدون في نوبة من الحزن والوحشة بسبب فقدانه لأغلب أشياخه وتوقف الدروس وحلقات العلم " وقد كنت منطويا على مفارقتهم لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي وعطلتي عن طلب العلم " ،وكانت هذه المحنة سببا في مغادرة ابن خلدون لتونس ولحاقه بالخدمة في البلاط المريني بالمغرب الأقصى [3] .

و كان من بين الضحايا بالمغرب بعض العلماء الأندلسيين من هؤلاء **أبو عبد الله الرندي** [4] **(ت 740 هـ/ 1339م**) أصله من الأندلس واستقر في مدينة فاس[5] ، ثم رافق الأمير أبي الحسن المريني إلى مدينة تلمسان فأصيب بالوباء هناك هو وجمع كبير من العلماء [6]،وكان الأمير أبي حسن المريني قد

1 . هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي أصله من مدينة إشبيلية بالأندلس ولد بتونس سنة 732 هـ/ 1331 م ، كان ابن خلدون واحدا من العلماء الأفذاذ ملما بعلوم شتى كالفقه و الأدب والشعر والفلسفة والتاريخ وله العديد من التآليف أشهرها كتابه " **العبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر** " من سبعة أجزاء . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 251 .

2 . عبد الرحمن بن خلدون ، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1979 ، ص57 .

3 . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ص 58 .

4 . فقيه مالكي وواحد من علماء اللغة العربية أندلسي الأصل أقام في فاس ، ألف العديد من الكتب من بينها واحد شرح فيه تفريع ابن جلاب وصفه ابن مرزوق بالفقيه الحافظ النحوي المفتي . أنظر ابن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق** ، ص 261 ؛ أحمد بن القاضي المكناسي ، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1973 ، ج 1 ، ص 228 .

5 . ذكر ابن القاضي أثناء تعريفه له أنه رافق الأمير أبي الحسن المريني إلى مدينة تلمسان لكنه لم يذكر أنه توفي بالوباء و قال أن وفاته كانت سنة 746 هـ/ 1345 م . أنظر ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 228 .

6 . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ص 45 .

صحب معه عددا كبيرا من العلماء والأعيان المغاربة والأندلسيين جماعة منهم هلكوا في الطاعون الذي ضرب المنطقة ، وجماعة أخرى غرقوا اثناء غرق أسطوله [1].

ومن ضحايا الوباء في تونس **أبو مُحَّد عبد المهيمن الحضرمي**[2] (**ت 749هـ / 1348م**) ابن القاضي ابي عبد الله الحضرمي قاضي سبتة [3] (683 . 703 هـ/ 1284 . 1303م) من كتاب الأندلس " الكاتب البارع " [4]، دخل المغرب الأقصى و أصبح كاتبا لدى الدولة المرينية في عهد الأمير عثمان بن يعقوب عبد الحق المريني [5] (710 . 731هـ / 1310 . 1330 م) ، و استمر في الخطة في عهد الأمير أبي الحسن ، أصيب الحضرمي بالطاعون في تونس فألزمه المرض الفراش ومنعه من الالتحاق بعمله فقدم الفقيه أبو الفضل ابن أبو الفضل للقيام بمهام الكتابة مكانه وبقي هو بتونس إلى غاية وفاته سنة 749 هـ/ 1348م [6] .

و من العلماء الضحايا بتونس أيضا **مُحَّد بن جـــابر الواد آشي**[7] (**673 . 749 هـ/ 1274 . 1348 م)** :

---

[1] . ابن مرزوق ، **المصدر السابق** ، ص 271 .

[2] . هو أبو مُحَّد عبد المهيمن من علماء الأدب وعلم اللسان و له إلمام بعلم الحديث أنظر لسان الدين بن الخطيب ، **أوصاف الناس في التواريخ و الصلات** ، تح مُحَّد كمال شبانة ، صندوق إحياء التراث الاسلامي ، ب مكا ، ب. ت .ط ، ص 99 .

[3] . هو أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي يكنى أبا عبد الله تولى القضاء في مدينة سبتة سنة 683 هـ/ 1284 م، قام بالأحكام على أحسن وجه و تميز مجلسه بحضور العلماء ، و بقي قاضيا إلى غاية ضم المدينة من طرف أمراء بنو نصر سنة 705 هـ/ 1305م فدخل إلى غرناطة ، توفي سنة 712 هـ/ 1312 م . أنظر النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 132 . 133 .

[4] . **نفسه** ، ص 133 .

[5] . هو الأمير عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا سعيد دام حكمه واحد وعشرون سنة وأربعة أشهر، توفي بداء النقرس ثم تولى الحكم بعده ابنه أبي الحسن .أنظر ابن الأحمر ، **روضة** ، ص ص 23 . 24 .

[6] . ابن مرزوق ، **المصدر السابق** ، ص ص 264 . 265 .

[7] . هو مُحَّد بن جابر بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي يكنى ابا عبد الله ويعرف بابن جابر ، أصله من مدينة الواد آشي ، ولد ونشأ بتونس ،كانت له رحلات علمية صال و جال فيها بين المدن المغربية والمشرقية و الأندلسية ، حمل العلم عن أغلب الشيوخ و العلماء حتى أصبح من أكبر العلماء " حتى اصبح جماعة المغرب ، ورواية الوقت " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 823 ؛ ابن فرحون ، **المصدر السابق** ، ص 401 .

يلقب بشمس الدين ، من علماء اللغة والحديث أصيب بالوباء سنة 749هـ / 1348م وتوفي في شهر ربيع الأول من نفس السنة الموافق لشهر جوان و دفن بمقبرة الزلاج بتونس[1].

ومن العلماء الضحايا في تونس أيضا **أحمد بن عبد البر الخولاني** من مدينة غرناطة بدأ حياته تاجر واستغل عمله في هذا المجال ورحيله من مدينة لأخرى في طلب العلم فالتقى بجماعة من العلماء في المغرب وتونس ، ثم قرر الاستقرار نهائيا في تونس وعمل فيها كطبيب إلى غاية وفاته بالطاعون سنة 750هـ / 1349م [2].

وصل الوباء إلى الأندلس سنة 749 هـ/ 1348م و استمر في الانتشار للسنة الموالية [3] ،كان ذلك في عهد الأمير يوسف الأول (733 . 755هـ / 1333 . 1354م) [4]ذكره لسان الدين بن الخطيب في الكثير من المواقع في كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة " وأطلق على الوباء تسميات مختلفة فمرة وقيعة الطاعون [5]، ومرة أخرى الطاعون الغريب [6] ، كائنة الطاعون الأعظم [7]، كما ضمن الكتاب لائحة طويلة لعلماء أندلسيين ماتوا في هذه المحنة.

من العلماء الضحايا سنة 749 هـ/ 1348م **أبو الحسن بن الجياب** [8] (**673 . 749 هـ/ 1274 . 1348م**): أحد شيوخ المملكة البارزين في الحياة العلمية والسياسية " اعتمدته الرئاسة فناء

[1] . شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي ، **برنامج ابن جابر الوادي آشي** ، تح محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، 1981 ، ص 25 .

[2] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 219 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 336 .

[4] . الأمير أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سابع أمراء بنو الأحمر ، عرفت مملكة غرناطة أثناء حكمه عهدها الذهبي ، خاصة السنوات الأخيرة من حكمه ، وعلى الرغم من هذا تعرض الأمير للاغتيال يوم عيد الفطر سنة 755 هـ/ 1354م وهو يؤدي صلاة العيد بالمسجد الجامع في غرناطة . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 89 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 36 .

[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 716 .

[6] . **نفسه** ، ج 1 ، ص 336 .

[7] . **نفسه** ، ج 3 ، ص 643 .

[8] . علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري يكنى أبا الحسن وهو معروف باسم ابن جياب من مدينة غرناطة ، ولد سنة 673 هـ/ 1274 م ، كان ابن جياب من كبار علماء الأندلس في عصرها الأخير ملما بجميع العلوم الموجودة آنذاك كاللغة العربية

بها على حبل ذراعه واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على شبه يراعه " ، مكنته موهبته من التربع على عرش الكتابة في البلاط الأحمري لأكثر من خمسين سنة[1] فقد تولى الخطة في عهد الأمير إسماعيل الأول [2] (713 . 725 هـ/ 1314 . 1325م) خلفا لأبو جعفر بن صفوان المالقي وبقي في الوزارة عند ستة من الأمراء [3]، وفي عهد الأمير أبي الحجاج يوسف الأول (733 . 755هـ / 1333 . 1354م) تقلد منصب الوزارة إلى جانب الكتابة فحمل لقب ذو الوزارتين أي الوزارة والكتابة[4] .

جلب ابن الجياب تلميذه لسان الدين بن الخطيب إلى القصر وقلده خطة الكتابة و في هذا يقول : " وورثت خطته عن رضى منه "[5] و قد اجتمع في بلاط بني الأحمر اثنين من كبار العلماء في هذه الفترة ، ارتبط الاثنان بعلاقة متميزة بعيدا عن المنافسة التي غالبا ما تكون في مثل هذه الحالات فكان ابن الجياب فخورا بتلميذه يرشده أثناء عمله وبدوره كان ابن الخطيب يوقره ، و يذكر المقري في أزهار الرياض رواية نستشف منها عمق العلاقة التي ربطت بينهما قال أن ابن الخطيب كان مرة في حضرة رئيسه ابن جياب والكتاب فارتجل ابن الجياب بيتا من الشعر ردا على أخبار وصلته عن تحرشات العدو بالبلد وواصل بعده ابن الخطيب بعدة أبيات قال ابن جياب :

هذا العَدُوُّ قدْ طَغَى   و قَدْ تَعَدَّى و بَغَى

ثم قال لابن الخطيب : " أجز أبا عبد الله "، فقال ابن الخطيب:

وأظْهَرَ السِّلْمَ و قَدْ   أَسَرَ حسوا في أرْتغا

والفرائض والحساب وعلم القراءات والحديث والتاريخ وعلم التصوف " شيخ طلبة الاندلس رواية وتحقيقا و مشاركة في كثير من العلوم ". أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 964 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 328 .

[1] . ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 183 .

[2] . هو أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري خامس ملوك بني الأحمر كان عادلا مع الرعية ، مبتعدا عن معاقرة الخمر ، محبا للصيد ، خاض حروبا كثيرة دفاعا عن المملكة .أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 65 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 33 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 66 .

[4] . ابن الأحمر ، **نثير** ، ص 126 .

[5] ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 4 ، ص 965 .

فبَلّغَ الرَّحْمنُ سيْفَ النَّصْرِ فِيهِ مَا ابْتَغَى

و رَدَّهُ رَدَّ ثَمُودَ والفَصِيلُ قدْ رَغَـــا

فقال ابن جياب : " هكذا وإلاّ فلا " في وسط تعجب الحضور [1] .

أصيب ابن الجياب بالطاعون وطالت معاناته مع المرض حتى أخفى المرض معالم بدنه لكنه لم يفقد وعيه وإدراكه ، ويسرد لنا ابن الخطيب حادثة تؤكد ذلك يقول " بعثت إليه باكور رمان فقال لي من الغد : نعم بالهدنة زمانك ، يعني نعمت الهدية رمانك " [2] و بقي يصارع المرض حتى وافته المنية مخلفا وراءه حزنا كبيرا في مملكة غرناطة خاصة بين العلماء الذين رثوه بقصائد طويلة [3].

و من العلماء الضحايا في نفس السنة **أحمد بن قاسم الجذامي (ت 749 هـ/ 1348 م)**أديب وشاعر أصله من مرسية ونشأ في مدينة ألمرية اشتغل في الأعمال الإستقبالية بدار الأشراف في مدينته وهذا هو العمل الوحيد الذي احترفه إلى غاية وفاته متأثرا بالوباء [4].

و في نفس السنة توفي أيضا **سعد بن يوسف بن علي الرعيني (ت 749هـ / 1348 م)** أصله من شرق الأندلس واستوطن مدينة ألمرية ، حفظ القرآن ودرس العربية على يد مجموعة من العلماء كابن مشون أبي جعفر بن عبد النور وغيرهم وكان يحفظ ويروي الكثير من " الأشعار الحكمية والحكايات الوعظية " [5].

---

[1] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 192 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 965 .

[3] . نعاه جمع كبير من العلماء في سابقة لم تحدث بغرناطة من قبل " فكان هذا التأبين غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة " منهم لسان الدين ابن الخطيب ، وأبو بكر القرشي ، وأبو بكر القاسم بن الحكيم ، و أبو بكر بن جزي . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 1024 و ما بعدها .

[4] . ابن القاضي ، **درة** ، ج 1 ، ص 134 .

[5] . **نفسه** ، ج 3 ، ص ص 291. 292 .

و يبدو أن الوباء انتشر بشكل سريع في المملكة سنة 750هـ / 1349 م مخلفا عددا أكبر من الضحايا و كانت مدينة مالقة أكثر المدن تضررا ، إذ تشير المصادر أن عدد الضحايا بها تجاوز الألف يوميا ، يقول النباهي أن ضحايا الوباء في يوم الخامس من شهر صفر الموافق للرابع والعشرون أفريل تجاوز الألف في مدينة مالقة لوحدها [1]، و ذكر ذلك ابن الخطيب أيضا وقال بأن العدد فاق الألف ومئتين ميت ، و استمر سقوط الضحايا بهذا الشكل مدة طويلة [2] وصلت إلى عدة أشهر حصد الوباء خلالها عشرات الآلاف من القتلى ، على الرغم من عدم امتلاكنا لحصيلة دقيقة لضحايا الوباء ولكن تصورنا جاء بناء على الروايات التي وردت في بعض المصادر " خلت الدور وعمرت القبور " و غادرها أغلب الفقهاء والفضلاء [3].

ومن العلماء الذين كان لهم دور كبير في التصدي لتبعات الوباء في مدينة مالقة الطبيب **أحمد بن عبد الله الطنجالي** (**753 هـ/ 1352م**) أصله من لوشة (Loja) ،درس الطب وله ابنة طبيبة أيضا [4] شغل الطنجالي منصب قاض في مدينة مالقة ولم يعمل في مجال الطب[5] فما الذي دفعه إلى ذلك ؟ وهل كان اختياره أم أنه أجبر على تقلد هذا المنصب ؟

يقول النباهي أنه تولى منصب القضاء سنة 750 هـ/ 1349 معلى مضض " بعد تمنع منه وإباية "، ثم قبل المنصب بعد إقناعه من طرف بعض الأصحاب و وعدهم له بتقديم العون كلما احتاج إلى ذلك و صادف ذلك تفشي الوباء في مالقة[6]. يقول العسقلاني في ترجمته المقتضبة

[1]. النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 148 .

[2]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 336 .

[3]. النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 156 .

[4]. لم نجد ترجمة لأبي جعفر الطنجالي في كتاب ابن الخطيب يبدو أنها سقطت من كتابه ولم تصل إلينا ، بينما أفرد ترجمة لابنته الأديبة أم الحسن فقال أنها طبيبة و أديبة درست الطب على يد أبيها ، و كانت تقرض الشعر أيضا في أغراض عديدة و شبهها باثنتين من النساء اللواتي أنجبتهم الأندلس الشاعرة حمدونة ابنة زياد تقي العوفي (ت 1204/600) ، وولادة بنت الأمير الأموي المستكفي بالله (1091/484) " ثالثة حمدة وولادة ، وفاضلة الأدب و المجادة تقلدت المحاسن من قبل الولادة " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 856 .

[5]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 184 .

[6]. النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 155 .

للطنجالي أنه كان حسن السيرة مع الرعية [1] و أشاد النباهي بالدور الكبير الذي لعبه أثناء مرحلة الوباء بتقديم يد العون للمتضررين من التبرعات والهبات من الذهب والفضة و الأموال التي قدمها له أهالي مالقة على اختلاف طبقاتهم " و كان من لطف الله تعالى بمن بقي حيا من الضعفاء بمالقة كون القاضي لهم بقيد الحياة " ، فقد قام بتوزيع المساعدات على المنكوبين وطلاب العلم و الغرباء ، و كان يهيئ مئة قبر يوميا للضحايا ويوفر الأكفان لمن يحتاجها من الفقراء [2].

وحسب الرواية التي جاء بها العسقلاني توفي الطنجالي متأثرا بالوباء[3] ، قد يكون الطنجالي أصيب بالوباء فعلا فقد بقي في مالقة في ذروة انتشار الطاعون يتنقل بين الناس المتضررين لمساعدتهم في الوقت الذي هجرها أغلب سكانها ولم يبق فيها إلا الضعفاء المغلوب على أمرهم و الطاعون من الأوبئة التي تنتقل بالعدوى ، لكن القاضي النباهي وهو أحد المقربين من الطنجالي كان له رأي آخر فقال بأنه قدم إلى مدينة غرناطة بعد انحصار الوباء "واستروح من بقى بها من الخلائق روح الحياة " لمقابلة الأمير أبي الحجاج طالبا الإعفاء من القضاء [4]فقبل الأمير طلبه بعد تمسكه و إصراره على قراره " فوصله الجواب بإسعاف قراره " ولم يذكر النباهي إصابة الطنجالي بالطاعون [5] و قال أن وفاته كانت سنة 753 هـ/ 1352م [6] .

---

[1]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 184 .

[2]. النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 156 .

[3]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 184 .

[4] - أورد النباهي روايتين حول سبب طلب الطنجالي الاعفاء من القضاء الرواية الأولى حسبه هي " ترادف النوازل المشتبهات عليه " بعد زوال الوباء من مالقة و كان يختلف مع الفقهاء الذين نجوا من الوباء في المسائل فكان يكره المخالفة ويخاف من الموافقة ، و قصد الفقيه أبي عبد الله بن عياش بقية يطلب مساعدته فرفض " فنفر عن ذلك كل النفور " من المرجح أن يكون أبي عبد الله بن عياش من الفقهاء الذين عرض عليهم المنصب قبل الطنجالي ورفضوا تقلده مشبها النباهي الواقعة بما حدث مع الفقيهين المغربيين عبد الله بن الفروخ (ت 176 هـ/ 792م) و الفقيه عبد الله ابن غانم (ت 190 هـ/ 806 م) ، والرواية الثانية التي جاء بها النباهي هو رؤية الطنجالي في المنام ما يقتضي قرب وفاته فطلب الاعفاء من القضاء بسبب ذلك . أنظر النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 159 .

[5]. **نفسه** ، ص 157 .

[6]. **نفسه** ، ص 159 .

فقدت مدينة مالقة العشرات من العلماء أثناء الجائحة ففي يوم الخامس من شهر صفر الموافق للرابع والعشرون أفريل اليوم المذكور سابقا توفي ثلاثة من الفقهاء متأثرين بالوباء منهم **أحمد بن برطال**[1] (**689 . 750 هـ/ 1290 . 1349 م**) تولى الإمامة في المسجد الأعظم بغرناطة والخطابة بجامع القلعة الحمراء وهذا إلى غاية عام 741هـ / 1340م[2] ، و قد عمل قاضيا في عهد الأمير يوسف بن إسماعيل ابا الحجاج خلفا للقاضي ابا عبد الله مُحَمَّد بن عياش ، واستمر في عمله إلى غاية 743 / 1342 فسدد الخطة وأجرى الأحكام[3] ، وأفاده تردده على القاضي أبي عبد الله بن بكر لما كان بمالقة في تأدية مهامه كقاض " فلم يؤثر عنه فيها أحدوثة ... فرضيت سيرته واستقامت طريقته "[4] .

و في نفس اليوم توفي **أبو القاسم بن مُحَمَّد الزروالي المعروف بابن درهم** (**ت 750 هـ/ 1349 م**) وكنيته أبو القاسم ، أصله من مالقة ورحل إلى غرناطة لطلب العلم ،كما كانت له رحلة إلى المغرب والمشرق درس خلالها عند جملة من العلماء لكن اعتماده كان على أبي إسحاق الغافقي بسبته ، وأبي جعفر بن الزيات ببلش[5] ، كان ابن أبي درهم قائما على تعليم القرآن وتجويده " منقطع القرين فيه ، كثير المناقشة والتحقيق " و آخر كلماته قبل وفاته متأثرا بالوباء " رزقنا الله عملا صالحا يقربنا إليه زلفى ، وجعلنا ممن يمر عقبتي الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى "[6] .

و في نفس اليوم توفي أيضا **مُحَمَّد بن أحمد بن القاسم الأمي(ت 750هـ / 1349م)** : المعروف باسم القطان وكنيته أبو عبد الله ، كان ممن التزم العبادة وعرف بالزهد والورع ، ثم جلس في أحد مجالس مالقة، يعلم الناس فنونا من العلم والموعظة ويقوم بإرشادهم و دعوتهم إلى الزهد في الدنيا وحملهم على الإيثار وكان يتصف بقوة التأثير في القلوب فأعلن الكثير توبتهم وأقلعوا عن الشهوات ،

---

[1] ـ اسمه الكامل أحمد بن مُحَمَّد ابن علي بن أحمد بن علي الأموي ، كنيته أبا جعفر و يعرف بابن برطال واحد من علماء مدينة مالقة انتقل بعدها إلى غرناطة ، اشتغل فيها بالتوثيق ثم بالقضاء . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 333 .

[2] . **نفسه** ، ج 1 ، ص 334 .

[3] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 129 .

[4] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 185.

[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 5 ، ص 243 .

[6] . **نفسه** ، ص 245 .

وعند انتشار الوباء في مالقة صرفوا الكثير من الأموال في التصدق على الفقراء والمساكين[1]، توفي القطان متأثرا بالوباء [2] ،و كانت جنازته مع ابن برطال و ابن درهم وركب كبير من الضحايا في جنازة مهيبة [3].

و في أواخر شهر صفر / أفريل توفي **محمد العبدري** (**ت 750هـ / 1349م**) ويعرف باسم اليتيم،كان من كبار علماء مالقة ملما بالكثير من العلوم كالفقه و الشعر و الطب[4] ، اشتغل العبدري في تدريس الأطفال و قراءة كتب الحديث والتفسير والرقائق للعامة في المسجد الأعظم " بأعذب نغمة وأمثل طريقة " لمدة تفوق الثلاثين سنة ،كما اشتغل خطيبا بقصبة مالقة ، و في نهاية حياته مال للدراسة و الاشتغال في الطب فجذب الناس إليه وانتفعوا منه [5] .

و في شهر ربيع الثاني الموافق لشهر جوان توفي **ابن محارب الصريحي**[6] (**ت 750هـ / 1349م**) :إمام فقيه تولى الاقراء بمدينة مالقة والخطابة بجامع الربض ، ثم تفرغ للتدريس مؤثرا عطوفا على طلبته يتصدق عليهم بماله كما حبس كتبه عليهم ، زار مدينة غرناطة سنة 749 هـ/ 1348 م فعرض عليه التدريس بالمدرسة النصرية ولانشغاله في تأليف تقييد على كتاب "التسهيل لابن مالك " رفض العرض لكن الوباء فتك به قبل إتمام العمل [7] .

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 1000 . 1001.

[2] . **نفسه** ، ص 1001 .

[3] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 148 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 349 .

[4] - ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 681 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 95 .

[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، 681 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 96 .

[6] - واسمه الكامل محمد بن محمد بن محارب الصريحي كنيته أبا عبد الله ويعرف باسم أبي الجيوش، أصله من مدينة مرسية من بيت عريق ، برع ابن محارب الصريحي في الكثير من العلوم العقلية والنقلية كاللغة العربية ، والفقه ، والأصول ، درس في مالقة على يد الأستاذ أبي عبد الله بن بكر وكانت له رحلة علمية لمدينة سبتة تتلمذ هناك على يد أبي اسحاق الغافقي وجملة من معاصريه . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 641 ، 642 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 418 ، 419.

[7] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 641 ، 643 .

ومن الضحايا في نفس الشهر بمدينة مالقة أيضا **أحمد بن مُحَّد بن صاحب الصلاة (ت 750 هـ/ 1349 م)** من بيت طهارة ونباهة ، عرف بن مُحَّد بين الناس بالورع ، مداوما على الصوم والصلاة ، و في المجال العلمي برع في نظم الشعر كما كان له إلمام و نظر في كتب التصوف [1].

وفي شهر شوال الموافق لشهر ديسمبر توفي **مُحَّد بن عبد الله بن فرتون الانصاري** [2](**ت673 . 750 هـ/ 1274 . 1349 م)** من فقهاء مدينة مالقة شغل منصب قاضي القضاة ، أصيب ابن فرتون بالوباء و يبدو أنه توفي بعد وقت قصير من إصابته فحسب رواية ابن الخطيب قام ابن فرتون بأداء صلاة الجمعة ثم عاد إلى بيته ولزم فراشه حتى " نفث دم الطاعون " فتأهب استعدادا للموت مستقبلا القبلة وتوفي على هذه الحالة هذا ما دفع ابن الخطيب لوصف وفاته "بالميتة حسنة " [3].

و من الشعراء الضحايا بمدينة مالقة أيضا **علي بن يحي الفزاري (ت 750هـ / 1349م)** : يعرف بابن البربري لأن أصوله بربرية ، مدح الفزاري الملوك وكبار المسؤولين بشعره و يبدو أنه السبب في توليته منصب الإشراف على مدينة مالقة و ماجاورها كان حسن الطريقة والسيرة مع الرعية وبقي في هذا المنصب إلى غاية وفاته متأثرا بالوباء [4].

و من العلماء الذين راحوا ضحية الوباء في البلدات المحاذية لمالقة **أبو القاسم بن مُحَّد الحرالي (ت 750 هـ/ 1349م)** قاضي أنتقيرة (Antequera) التي تقع شمال مالقة وتبعد عنها بستون كلم[5] .

---

[1] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 268 .

[2] - يكنى أبا القاسم يعرف باسم الهنا ، يعتبر من كبار علماء الأندلس " معدودا من صدور الوقت وأعلام القطر ورجال الكمال " نشأ في مدينة مالقة ، وكانت له رحلة علمية في بداية حياته قادته إلى الحجاز فأخذ العلم عن مجموعة من علماء المشرق والمغرب منهم مُحَّد بن أبي السداد الباهلي ، وأبي عثمان بن عيسى وأبي عبد الله الطنجالي وغيرهم . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 968 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 967.

[4] . **نفسه** ، ج 5 ، ص 81 . 86.

[5] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 135 .

و من الضحايا في بلدة قمارش (Comares) في الشمال الشرقي لمالقة **مُحَّد بن علي السكوني** [1] (**ت 750 هـ/ 1349 م**) أورد العسقلاني ترجمته باسم السكري [2]ويعرف أيضا باسم ابن لؤلؤة من الفقهاء كانت له رحلة علمية للمشرق درس خلالها عند نخبة من الشيوخ و العلماء [3] ، وعاد إلى الأندلس يحمل معه الكثير من الروايات التي دونها وقيدها عن شيوخه هناك [4] عين خطيبا بحصن قمارش واستفاد الناس منه لكن الوباء خطفه وهو في ريعان الشباب " وكان ممن ينتفع به لو أمهلته المنية " [5].

وكانت مدينة ألمرية في جنوب المملكة ثاني المدن الأندلسية تضررا من الوباء بعد مالقة ، من المرجح أن يكون السبب وقوع المدينتين على ساحل البحر الأبيض المتوسط[6]، فحسب بعض الدراسات كانت الأوبئة والأمراض المختلفة تنتشر بكثرة في منطقة المتوسط ، و أثناء اجتياح وباء الطاعون لمنطقة المغرب والأندلس كانت المدن الساحلية أكثر عرضة لانتشارا الوباء من المدن الداخلية[7].

و من العلماء الضحايا في مدينة ألمرية **مُحَّد بن أحمد بن عبد الله العطار** (**ت 750هـ / 1349م**) واحد من أدبائها كتب للشيخ أبي البركات بن الحاج كما ناب عنه في القضاء وعند انتقال الشيخ أبي البركات إلى غرناطة انتقل معه فعمل كاتبا بها ، وكانت وفاته بالوباء في سن صغيرة و إن

---

[1] . ابن الخطب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 862 .

[2] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 99 .

[3] . ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 61 ؛ ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 862 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 99.

[4] . ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 61 .

[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 862 . 864 .

[6] . **أنظر الملحق رقم** : 01

[7] . فرنان بروديل ، **المتوسط و العالم المتوسطي** ، تر مروان أبي سمرا ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1993 ، ص 77 .

كنا لا نعلم عمره بالضبط فلم يذكر ابن الخطيب سنة ولادته ولكن أثناء تعريفه استعمل عبارة "كان فتى وسيما " و عند ذكر وفاته أيضا استعمل عبارة " اخترم في اقتبال "[1] .

و منهم أيضا **أبو زكرياء يحي بن علي بن القيسي (686 . 750هـ / 1287 . 1349م)** ويعرف بابن زرقالة أديب وشاعر من مدينة ألمرية ،كما كان له إلمام بعلوم أخرى ، فقد ألف كتابا في الطب وكتابا آخر في علم النجوم ، اشتغل كاتبا " كاتبا مطبوعا ماهرا " ،كما عمل في القضاء حيث ناب عن القاضي أبي جعفر بن جبل ، توفي ابن زرقالة بالطاعون يوم الثلاثاء الثالث من محرم الموافق لشهر مارس من نفس السنة [2].

ومنهم أيضا **مُحَّد بن علي بن خاتمة**[3] **(750هـ / 1349م)** تلقى تعليمه على يد أخيه أبا جعفر أحمد (700 . 770هـ / 1300 . 1349م) و تمكن بعد ذلك من إظهار موهبته الأدبية ولو أن القدر أمهله " لبلغ المدى " توفي ابن خاتمة متأثرا بالوباء في شهر ربيع الأول الموافق لشهر ماي و لم يتجاوز من العمر إلا تسعة وأربعون سنة فقط "واعتبط يانع الشبيبة ، مخضر الكتيبة "[4].

ومنهم **أبو جعفر أحمد بن ليون التجيبي**[5] **(681 . 750هـ / 1282 . 1349 م)** : من كبار علماء ألمرية وأكثرهم تأليفا واختصارا للكتب يقول ابن الخطيب " مولع بالتأليف والتدوين متميز في بلده تمييز أواخر الأسماء "[6] اختلفت المصادر في عدد مؤلفاته فبينما قال التنبكتي أنها بلغت

---

[1] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 873 .

[2] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 330 و ما بعدها .

[3] ـ هو مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن علي بن مُحَّد الأنصاري كنيته أبا عبد الله من مدينة ألمرية شاعر وأديب جميل الخط " خطه فقيد الأبصار" . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 256 .

[4] . **نفسه** .

[5] ـ أبو عثمان سعد أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي من علماء ألمرية ولد ونشأ بها ، إمام ومؤلف قضى حياته في العلم والزهد والنصح فتخرج على يديه جمع كبير من الطلبة من بينهم لسان الدين بن الخطيب ، استنابه قضاة ألمرية في الأحكام الشرعية والنوازل فأظهر العدل وحسنت سيرته . أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 543 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 187 .

[6] . ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 86 .

نحو الثلاثين كتابا [1] قال المقري بأنها تجاوزت المائة وبأنه وقف على أكثر من عشرون كتابا ببلاد المغرب فقط [2] توفي ابن ليون التجيبي في الوباء عن عمر ناهز السبعون سنة [3].

ومن ألمرية أيضا **قاسم بن مُحَمَّد ابن الجد العمري (ت 750هـ / 1349م)** معروف باسم الورسيدي وكنيته أبو القاسم له معرفة بالحساب والشعر له قصائد في أغراض شتى ، أشهرها واحدة يمتدح فيها الأمير يوسف الأول (733. 755 هـ/ 1333. 1354م) [4] .

و منهم أيضا **أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن يحي الأنصاري (ت 750 هـ/ 1349 م)** يعرف باسم الشداد اشتغل موثقا بمدينة ألمرية كان " مأمونا على الأسرار " توفي متأثرا بالوباء في أوائل شهر رجب الموافق لشهر سبتمبر من نفس السنة [5] .

و من العلماء الضحايا بالمدن الأندلسية الأخرى **مُحَمَّد بن الحكيم اللخمي** [6]**(ت 750هـ / 1349 م)**: أديب وشاعر من مدينة غرناطة " وله أدب حسن الشارة ، ومعان لطيفة الإشارة "، أهلته موهبته لتقلد خطة الكتابة في الدار السلطانية بالإضافة إلى عمله كقاض ببعض الجهات[7] ،

---

[1] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 187 .

[2] . منها اختصار " **بهجة المجالس** " لابن عبد البر ، " واختصار **المرتبة العليا** لابن راشد القفصي " ، وكتاب في الهندسة ، وآخر في الفلاحة وكتاب " **كمال الحافظ وجمال اللافظ في الحكم والوصايا** والمواعظ " ،وكتاب " **نفح السحر في اختصار روح الشحر** و **روح الشعر** " لابن جلاب الفهري **وكتاب " الأبيات المهذبة في المعاني المقربة"** وكتاب " **نصائح الاحباب وصحائح الآداب** " وغيرها . أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 543 . 544.

[3] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 188 .

[4] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 5 ، ص 252 .

[5] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 88 .

[6] ـ هومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي يكنى أبا القاسم كان ملما بالكثير من العلوم والفنون كالأدب، والشعر ، والحساب ، والفرائض ، والخط الحسن " فرع دوحة الأصالة و الخصوصية ، والعلم والدين " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 716 ؛ ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 196 .

[7] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 716 .

توفي اللخمي يوم السابع عشر ربيع الآخر الموافق للرابع جوان من نفس السنة ، وشكلت وفاته حزنا كبيرا في المملكة " فكانت فيه الفجيعة العظيمة "[1] .

ومن مدينة غرناطة أيضا **أبو جعفر أحمد بن أحمد بن هشام السلمي (720 . 750ه / 1320 . 1349م)** من علماء اللغة العربية [2]،كان يلقي الدروس على الطلبة بالجامع الأعظم " ما بين معيد ومفيد "، توفي في الحادي عشر من شهر جمادى الأولى الموافق لشهر أوت و عمره ثلاثون سنة فقط [3].

ومن البلدات المحاذية لمدينة غرناطة **عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي (ت 750 ه/ 1349 م)** من بلدة باغة (Priego) ، أديب وشاعر تخصص في نظم الأراجيز منها مختصر السيرة في الألفاظ اليسيرة و له رجز آخر في الزجر والفأل [4].

ومن بلدة قونجة **مُحَمَّد بن أحمد [5] (668 . 750 ه/ 1269 . 1349 م)** من شيوخ الصوفية متبعا لطريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي قام برحلة للمشرق التقى خلالها بجملة من شيوخ الصوفية، وبعد عودته للأندلس عمل خطيبا في قرية قونجة [6] ، توفي في العشرين من شهر رمضان الموافق للفاتح من نوفمبر وهو لايزال خطيبا بقرية قونجة [7].

ومن مدينة بلش **عبد الله بن إبراهيم ابن عبد الله الأزدي (ت 750ه / 1349م)** كنيته أبومُحَمَّد ويعرف بابن المرابع من الأدباء المشهورين " مسترفد بالشعر ، سيال القريحة ، مرهوب الهجاء ،

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 716. 723 .

[2] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 74 .

[3] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 295 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، 74 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 588 . 592 .

[5] ـ وهو مُحَمَّد بن أحمد بن جعفر بن نصر بن حقاف السلمي يكنى أبا عبد الله ، وهو معروف باسم ابن جعفر ، والقونجي من مدينة غرناطة ، ولد سنة 668 ه/ 1269م .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 984 و ما بعدها .

[6] . **نفسه** ، ص ص 984. 988 .

[7] . **نفسه** ، ص 988.

مشهور المكان ببلده "[1] عينه الأمير محمّد الرابع (725 . 733 هـ/ 1325 . 1333 م) سفيرا لبعض المناطق[2] لكنه توفي متأثرا بالطاعون في بلش أواخر السنة المذكورة [3].

ومن مدينة وادي آش **علي بن محمّد ابن علي بن البنا (ت 750 هـ/ 1349م)** يكنى أبو الحسن ، أديب و شاعر دخل غرناطة سعيا للحاق بكتاب الإنشاء ، استغل موهبته في نظم الشعر للوصول إلى غايته" وتوسل بنظم أنيق ، وأدب "[4] ويبدو أن القصائد التي كان يرسلها للوزير لسان الدين بن الخطيب تدخل في هذا الإطار ، من بينها قصيدة يهنئه فيها على تقلده الكتابة العليا بالقصر الأحمري يقول في بعض أبياتها :

لله أوْصَافُكَ الحُسْنى لقَـــدْ عَجَـزَتْ مِنْ كُلِّ ذِي لُسْنٍ عَنْهَا خَواطِرُه

هلْ أنْتَ إلّا الخَطِيبُ ابْنُ الخَطِيبِ و مَنْ زانَتْ حُلَى الدِّينِ والدُّنْيا مَفَاخِرُه[5]

توفي أبو الحسن متأثرا بالوباء يوم الرابع من شهر شعبان ولم يتجاوز من العمر الثلاثين عاما[6] و هذا قبل أن يحقق ما كان يطمح إليه " وقد كادت وسايله أن تنجح وليلة رجايه أن تصبح " [7].

[1] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 359 .
[2]. **نفسه** ، ص 368 .
[3]. **نفسه** ، ص 380 .
[4]. **نفسه** ، ج 5 ، ص 13 .
[5]. **نفسه** ، ص 13 . 14 .
[6]. **نفسه** ، ص 21.
[7]. **نفسه** ، ص 13 .

ومن الجزيرة الخضراء [1] (Algeciras) **مُحَمَّد بن أحمد بن خميس الأنصاري** [2](**ت 750 هـ/ 1349 م**) : فقيه اشتغل خطيبا بمسجد الجزيرة الخضراء إلى أن سقطت المدينة في يد النصارى ، بعدها غادرها واستقر بمدينة سبتة و عين إماما خطيبا بها إلى غاية وفاته في الطاعون في شهر جمادي الآخرة الموافق لشهر أوت من نفس السنة [3].

و من فقهاء مدينة سبتة **قاسم بن أحمد بن عمرن الحضرمي** (**ت 750 هـ/ 1349 م**) درس على يد نخبة من الشيوخ في غرناطة ثم سافر إلى المشرق ، قضى هناك أربعة عشر سنة ينهل من منابع العلم ثم عاد إلى سبتة و تولى الإشراف على خزانة الكتب فيها ، فأصابه الوباء في سبتة و توفي بها [4].

و ضرب الوباء الأندلس مرة أخرى في القرن 9 هـ / 15 م أكثر من مرة ، ويبدو أنه كان بنفس الشراسة والخطورة التي عرفها القرن 8 هـ/ 14 م و نستشف ذلك من خلال بعض المراسلات التي جرت بين واحد من فقهاء الأندلس الشيخ **مُحَمَّد المواق** [5] (**ت897 هـ / 1492م**) والفقيه التلمساني الشيخ **مُحَمَّد بن القاسم الرصاع** [6] (**ت 894 هـ/ 1489م**) سنة 886هـ / 1481م يستفتيه

---

[1] ـ تسمى أيضا جزيرة أم حكيم وهي جارية طارق بن زياد ، حملها معه أثناء الفتوحات وتركها في الجزيرة ، بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلا ، تقع الجزيرة على ربوة مشرفة على البحر وبها سور متصل ، وفي شرقها يوجد خندق وهي أقرب مدن الأندلس إلى المغرب الأقصى. أنظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 224 .

[2] ـ هو مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري فقيه درس على يد نخبة من العلماء وأجاز له كل من أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ، أبو عبد الله الطنجالي ، وأبو مُحَمَّد الباهلي وغيرهم وله تآليف منها " النفحة الأرجية في الغزوة المرجية .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ص ص 870 . 871 .

[3]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 870 وما بعدها .

[4] . **نفسه** ، ج 5 ، ص ص 253 ، 255 .

[5] . هو مُحَمَّد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير باسم المواق ، من أهل غرناطة درس على يد نخبة من علماءها كأبي القاسم بن السراج والأستاذ المنتوري ويوسف الصناع وغيرهم ، وكان أستاذا لجماعة أخرى من العلماء كأحمد الدقون وأبي الحسن الزقاق وأحمد بن داود ،كان المواق مفتي غرناطة وخطيبها وآخر الأئمة بها قبل سقوطها في يد الإسبان سنة 897 هـ/ 1492م . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 561 . 562 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 378 .

[6] ـ هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن القاسم بن أبي يحي بن أبي الفضل بن مُحَمَّد الأنصاري الرصاع فقيه مالكي أصله من مدينة تلمسان ، ثم انتقل إلى تونس سنة 831 هـ/ 1429 م ، تولى خطة القضاء فيها ،كان له إلمام بعلوم أخرى غير الفقه كالعربية والطب ، وله تأليف كثيرة أهمها " **تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين** "، " **الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية** " ، " **الأجوبة التونسية و الاسئلة الغرناطية** " أنظر مُحَمَّد المواق ومُحَمَّد الرصاع ، **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية** ، تح مُحَمَّد حسن ، المدار الاسلامي ، تونس ،2007 ،

في مجموعة من المسائل تصدرتها أسئلة حول وباء الطاعون قدرت بسبعة مسائل ، تنوعت مضامينها بين السؤال عن سبب وقوع الوباء ، وكيفية الاحتراز منه ، وهل يجوز الفرار من أرض وقع فيها الوباء أو القدوم إليها ، وعن شرعية الدعاء لرفع الوباء [1].

والمعلومات عن وباء القرن 9 هـ / 15 م تاريخ اجتياحه للمملكة ، أماكن انتشاره ، الخسائر التي خلفها جد شحيحة ولم نظفر إلا على القليل في كتاب "رحلة القلصادي " **لأبي الحسن القلصادي** [2] (**ت 891 هـ/ 1486م**) فأثناء تعريفه للشيوخ الذين درسوه أثناء رحلته العلمية التي قادته إلى مدينة بسطة (Baza) ذكر جملة منهم راحوا ضحية الوباء سنة 844 هـ/ 1440 م، من هؤلاء : **علي بن عزيز** من المقرئين كان له اعتناء بقراءة القرآن وهو أيضا واحد من الرجال الصالحين في مدينة بسطة ،كان يحظى بالاحترام بين الناس وطلبة العلم خاصة[3]،ومن الضحايا أيضا **مُحَّد القسطرلي** من علماء بسطة أيضا برع في علوم شتى كقراءة القرآن وعلم الحديث والفقه واللغة العربية وغيرها [4].

ومنهم أيضا **علي بن موسى اللخمي** معروف باسم القرباقي من علماء التفسير والحديث والأصول والعربية والطب [5] عاش مبتعدا عن مخالطة الناس تميز بفصاحة اللسان وقدرة كبيرة على

ص 32 وما بعدها ؛ أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني المالكي ، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام** ، تح محند أو إيدير مشنان ، دار ابن حزم ، الجزائر ، 2005 ، ص 143.

[1]. المواق ، **المصدر السابق** ، ص ص 89 . 92 .

[2] - وهو أبو الحسن علي بن مُحَّد بن مُحَّد بن علي القرشي البسطي، لم نجد تاريخ ميلاده لكن السخاوي يقول أنه ولد قبل 815 هـ/ 1412م ، أصله من مدينة بسطة ثم انتقل إلى مدينة غرناطة ،كانت له رحلات علمية إلى الحواضر المغاربية والمشرقية تتلمذ فيها على يد نخبة من العلماء ، وله تآليف عديدة منها " **أشرف المسالك إلى مذهب مالك** " ، و " **شرح مختصر خليل** "، و "**شرح الرسالة** "، و " **شرح التلقين** "، و "**هداية الأنام في شرح مختصر قواعد الاسلام** " ،و"**شرح رجز القرطبي** "وغيرها . أنظر شمس الدين السخاوي ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، دار الجيل ، بيروت ، ب ت ط ، ج 6 ، ص 14 ؛ القلصادي ، **المصدر السابق** ، ص 82 ؛ المقري ، نفح ، ج 2 ، ص 692 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 377 .

[3]. القلصادي ، **المصدر السابق** ، ص ص 83 . 84.

[4]. **نفسه** ، ص 84 .

[5] التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 334 .

الاقناع قال القلصادي : " لم أسمع خطبه ووعظه فيما رأيت من البلدان "[1] ،توفي اللخمي [2]بوباء الطاعون يوم العاشر من صفر الموافق للفاتح من جويلية من نفس السنة [3].

خامسا . محن العلماء أثناء التصدي للظلم ومواجهة البدع والخرافات:

حذر ابن الخطيب[4] من السعي لنيل المناصب مهما كانت المنفعة من ورائها " و إياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا و استظهارا على الحظوظ " لما تحمله من ثقل و ماينجم عنها من مشقة ووصفها بالفتنة والمحنة "فالولايات فتنة ومحنة وأسر وإحنة " [5] ، وقد عانى العديد من العلماء الأندلسيين خاصة المزاولين لخطط الإمامة والقضاء من التضييق والضغوط جراء تصديهم للبدع ومحاولاتهم لإحقاق الحق ومحاربة الجهل والضلال وإصلاح المجتمع من الشوائب ، وتعرض الكثير منهم لمحن عظيمة قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [6].

ومن القضاة الذين امتحنوا أثناء أداء مهامهم **محمد بن بكر بن سعيد الأشعري المالقي**[7] (**674 . 741**هـ/ **1275 . 1340** م) : كانت له رحلة علمية قادته إلى المشرق ، وبعد عودته تصدر

---

[1] . القلصادي ، **المصدر السابق** ، ص 88 . 89

[2] . عندما قرر الرحيل لتلمسان توجه لوداع معلمه وكان الوداع استثنائيا وكأن القلصادي كان يشعر برحيل معلمه عن قريب ووصف ذلك قائلا: " جئت الشيخ للتوديع ولهيب الفراق على القلب يذيع فأذنت النفس للدموع بالإنسكاب ". أنظر القلصادي ، **المصدر السابق** ، ص 89 .

[3] . **نفسه** ، ص 89 . 90 .

[4] . ترك ابن الخطيب وصية لأولاده ضمنها الكثير من الوصايا و الإرشادات " هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها ، و تجارتي التي لربحكم أدرتها فتلقوها بالقبول لنصحها " ، يقول المقري من بلاغتها كان عبد الواحد الونشريسي يقتبس منها في خطبه . أنظر المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 335 ؛ أنظر الملحق رقم : 12 .

[5] المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 335 .

[6] - سورة الأنعام ، الآية : 165.

[7] - هو محمد بن يحي بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن بكر ، يعد ابن بكر من ذرية أبي موسى الأشعري ﷺ ، من مدينة مالقة أخذ العلم على يد جماعة من أهل العلم في الأندلس منهم أبي محمد بن أبي السداد الباهلي فقرأ عنده القرآن جمعا وإفرادا ،و درس أيضا العربية والفقه ، والحديث ،كما درس عند شيوخ آخرين كأبي عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي والقاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن السكوت والفقيه أبو عبد الله بن ربيع والخطيب أبو عبد الله بن أحمد الطنجالي وغيرهم

مجلس الشورى بمالقة ناظرا في أمور الحل والعقد ومصالح الكافة ، ثم تولى خطة القضاء بنفس المدينة فأعز الخطة و ترك الهوادة " نافذ الحكم ، صوالة معروف بنصرة من آزر إليه "[1]، وفي هذا الصدد نقل الونشريسي حادثة جرت له مع امرأة رفعت إليه رقعة تريد من خلالها العودة إلى طليقها وهي تسعى لمن يشفع لها في ردها فتناول رقعة ووقع عليها [2] " للحين من غير مهلة "[3] ، لكنه ما لبث أن غادر مدينته مالقة إلى غرناطة واستقر فيها نهائيا فما لذي دفعه إلى ذلك ؟.

ابن الخطيب في روايته نقل سنة وصوله إلى الحضرة فقط 737هـ / 1336م ولم يذكر شيئا عن سبب رحيله[4]، أما النباهي فأرجعها إلى صرامته في تنفيذ الأحكام مما خلق له أعداء أحاكوا له مكيدة كانت سببا في إخراجه من مالقة لكنه لم يذكر التهم المنسوبة إليه ولا الأشخاص المتسببون في محنته "ما ملأ به وجدا صدور الحسدة ، ونسبوا إليه أمورا حملت على إخراجه من مالقة " [5] .

و بمجرد وصول ابن سعيد الأشعري إلى غرناطة تم تعيينه في منصبي الخطابة والقضاء فسار على نفس النهج الذي عرف به في مالقة صدع بالحق ، وجرح الشهود فزيف منهم أكثر من سبعين شاهدا [6] ، شبه النباهي شدته في إصدار الأحكام و إصراره على تطبيقها بالإمام سعيد بن سحنون التنوخي، فكان يقضي بما يراه صائبا ولا يقلد مذهبا من المذاهب ، وحرص على تعليم الناس الحلف بالأيمان اللازمة ، كما منع ارتداء اللباس غير اللائق ، وسجن وأدب أهل البدع والأهواء ، ولم يكن

،وكانت له رحلة علمية إلى المغرب ، و تونس ، ومصر ، والحجاز ، وبلاد الشام .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 522 . 530 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ص 306 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 398 ؛ النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 141 .

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 523 .

[2] . وهذا بعض ما جاء فيها : الحمد لله من وقف على ما في المقلوب فليصنع لسماعه إصاخة مغيث ، وليشفع لتلك المرأة عند زوجها تأسيا بشفاعة رسول الله لبريرة في مغيث والله يسلم لنا العقل والدين ويسلك بنا مسالك المهتدين والسلام يعم من يقف على هذه الأحرف من كاتبها ورحمة الله " . أنظر أحمد بن يحي الونشريسي ، **وفيات الونشريسي** ، تح مُحَمَّد بن يوسف القاضي ، شركة نوابغ الفكر ، ب مكا ، ب ت ط ، ص 34 .

[3] . **نفسه** ، ص ص 34 . 35 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 523 .

[5] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 142 .

[6] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، 523 .

يقبل تدخل أحد في عمله حتى الأمير[1] ، و بقي مواصلا لعمله غير مبال بتبعات ذلك أو ما يترتب عنه فأصابته جراء ذلك مشقة عظيمة لم تحصل لأحد غيره حتى كان يذهب للصلاة ليلا متخفيا خوفا على حياته " كان يمشي إلى الصلاة ليلا في مسِلَة " [2] .

بقي أعداءه يتربصون به ويتحينون الفرصة للإنتقام منه إلى أن وصلوا إلى غايتهم حين قاموا بتأليب الأمير يوسف الأول (733 . 755 هـ/ 1333 . 1354م) عليه ، هذا الأخير أصدر أمرا بسجنه بدار الإشراف ووجه له تهمة إضاعة مال الجباية ، يقول النباهي أنه صرف تلك الأموال على المحتاجين والمساكين وفي عيادة المرضى و الجنازات[3]،ولحسن حظه لم تطل محنته و تمكن من التخلص منها بعد إرساله رسالة [4] للأمير يستعطفه و يتوسله للإفراج عنه "حنانيك أعد النظر فما هي إلا القيت يقرقر بها قرقرة زجاجة ...و حاشاك أن يخفض للجوار بحضرة عهدك الكريم كبير اناس " [5] ، ولم يتوان ابن سعيد الأشعري في توجيه الاتهام لخصومه في تدبير هذه المكيدة واصفا إياهم بشياطين الإنس يقول : " فاعرض عما تسوله شياطين الأنس و تحليه ، وتعده من الأباطيل وتمنيه وعد عما يزخرفه كل خف مزق القول منها فيستند كل نقل روايته إلى أصل غير ثابت " فاستجاب الأمير لطلبه وأطلق سراحه في نفس اليوم الذي أرسل فيه الرسالة وعاد إلى سابق عهده [6] .

و من القضاة أيضا **أبو بكر يحي بن مسعود المحاربي (653 . 727 هـ/ 1255 . 1326 م)** أصله من مدينة غرناطة ، تولى القضاء بعدة مدن منها ألمرية ثم عاد إلى غرناطة وتولى قضاء الجماعة [7] " رجل الجزالة و فيصل الحكم " [8] .

---

[1] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص ص 142 . 143 .
[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 524 .
[3] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 143 .
[4] **- أنظر الملحق رقم** : 04 .
[5] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 144 .
[6] . **نفسه** ، ص ص 144 . 145 .
[7] . **نفسه** ، ص 139 .
[8] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 66 . 67 .

اشتهر ابن مسعود بالحزم وبالشدة في التعامل مع أهل الجاه " فاشتهر بالمضا والاشتداد على أهل الجاه "وإقامة الحدود وكان يشترط أربعة شهود لإثبات البينة ، وحصل جدل كبير بينه وبين الفقهاء في الحضرة بسبب ذلك ، ونفر الناس من التخاصم عنده تقية من تعاظم شدته ، ووقع جدل آخر بينه وبين قاضي بربض البيازين يدعوه للنظر في القضايا التي تختص بناحيته فقط رفعا للتشويش على الخصوم ، و بقي ابن مسعود ممارسا لمهامه ولم تثنه تلك الضغوطات لتغيير مواقفه إلى أن أرسل في سفارة إلى المغرب سنة 727 هـ/ 1326 م، مكث أثناء مهمته في مدينة سلا وفيها أصابته علة كانت سبب وفاته في نفس السنة [1] .

هل أرسل ابن مسعود في مهمة أم أنه أبعد ؟ يقول ابن الخطيب بأن ابن مسعود اشتد في إقامة الحق واستغلظ بالشرع واستعان بالجاه " خيفت سطوته "[2] ، الجاه الذي ذكره ابن الخطيب هو شقيقه الوزير أبو الحسن الذي حاول مرارا أن يرده عن تنفيذ الأحكام خاصة مع أصحاب النفوذ ما يرجح وصول سعايات في حقه إلى البلاط فتدخل شقيقه خوفا عليه من الانتقام [3] ، وبعد اغتيال شقيقه سنة 725 هـ / 1325 م[4]تم التخلص منه بإرساله في السفارة إلى الأمير المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710 . 731 هـ/ 1310 . 1331م) لم يعد منها [5].

و من القضاة أيضا **علي بن مُحَّد العقيلي** [6] (**706 . 758هـ / 1306 . 1356م**) أديب وشاعر من مدينة غرناطة [7] من بيت معروف بالخدمة في بلاط بني الأحمر فوالده كان قائد المناهل

---

[1] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص ص 139 . 140 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص ص 66 . 67 .

[3] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 140 .

[4] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 4 ، ص 837 .

[5] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 140 .

[6] . علي بن مُحَّد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي يكنى أبا الحسن ، من مدينة غرناطة له إلمام بكثير من العلوم والفنون كالفقه ، والأدب ، والشعر ، و الخط الجميل ، و الكتابة الحسنة ، اشتغل في الكتابة و القضاء . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 956 وما بعدها.

[7] . **نفسه** ، ص 955 .

بمرج غرناطة في عهد الأمير إسماعيل الأول (713 . 725هـ / 1314 . 1325 م) [1]، اشتغل العقيلي كاتبا للشروط في ديوان الجند وكتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا بن عمر ، ثم عين قاضيا في مدينة غرناطة نيابة عن بعض القضاة فكرس العدل ونصر الحق وأصبح من أبرز القضاة في عهده " أبرز عدلا في سماط الشهود من غرناطة"[2].

تعامل العقيلي بصلابة وحزم خاصة مع الشهود فأسقط شهادة الكثير منهم ، لكن صرامته لم يتقبلها الناس وألبتهم عليه " فعظم ذلك عند الناس ، وأكبروا هذا الموقع " لكن ذلك لم يثنه أو يضعفه و كان يرد على منتقديه قائلا "كل يعمل على ما يتقرر عنده " [3] .

غادر العقيلي الأندلس فجأة واستقر في المغرب الأقصى سنة 753 هـ/ 1352م وهو لا يزال قاضيا وكاتبا في البلاط فهل كان رحيله بإرادته أم أجبر على ذلك ؟ قد يكون بعض خصومه وراء إجلائه ، ابن الأحمر في روايته لم يصرح بذلك و تحاشى ذكر الأسباب " ثم انتقل إلى العدوة لأشياء حذفناها لطولها "[4] و اكتفى ابن الخطيب بالتنويه بالمنصب الذي حصل عليه في بلاط الأمير المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني " مستعملا في خدم مجدية ، بان عناؤه فيها وظهرت كفايته " [5] لكنه نقل واحدة من قصائد العقيلي كتبها بعد مغادرته لبلاده ترجح فرضية إبعاده ، يشكو العقيلي في بعض أبياتها بعده عن وطنه :

وحَيّا دِيارًا في رُبَى غَرْنَاطَه   وإنِّي بِذَاكَ القُرْبِ فِيه ضَنِينُ

وفي أبيات أخرى يتحسر على سنوات خدمته في البلاط يقول :

---

[1] . هو الأمير أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري خامس أمراء بنو نصر ، اتصف بالعدل بين الرعية والدفاع عن مملكة غرناطة مشارك في بعض الحروب مع الإسبان منها الحرب سنة 716هـ / 1316م مع الدون بدرو ابن بطرة الوصي على عرش قشتالة عندما كان ألفونسو الحادي عشر لايزال قاصرا . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 65 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 33 .

[2] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 269 ؛ ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 4 ، ص 955 .

[3] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 269 .

[4] . **نفسه** .

[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 956 ؛ المقري ، **نفح** ، ج 6 ، ص 258 .

ليالي أَنْفَقْتُ الشَّبَابَ مُطَاوِعًا وعُمْرِي لَدَى البِيضِ الحِسَانِ ثَمِينُ

فأرْخَصْتُ فِيها شَبَابِي مَا غَلا وغُرْمِي عَلى مَالِ العَفَــافِ أَمِينُ

و يُعرِب عن امتنانه للأمير المريني[1] الذي استقبله في بلاطه وأكرمه و أعانه على التغلب على محنته يقول :

و لَوْلا أبُو عَمْرو وَ جُودُ يَمِينِهِ لِما كانَ في عَهْدِ الزَّمَانِ مُعِينُ [2]

و كان الأمير المريني قد أكرم وفادته وقربه إليه وحين قرر السفر إلى إفريقية سنة 758هـ / 1357م أوكل إليه مهمة القيام بشؤون البلد رفقة ابنه أبي زيد عبد الرحمن ريثما يعود [3] لكن العقيلي توفي في نفس السنة [4].

و منهم أيضا **مُحَمَّد بن أحمد بن المتأهل العذري (ت 743 هـ/ 1342 م)** كنيته أبو عبد الله من شعراء مدينة الوادي أش له خط حسن مجيدا للحصر و التقييد [5] فتمكن من الظفر بمنصب في البلاط متوليا الأشغال السلطانية [6] .

تميز بصلابته و صرامته مبتعدا عن المصانعة والرشوة متجنبا لمخالطة الناس لا يقبل الهوادة محبا لإتمام عمله ، وعند توليه لهذا المنصب أصيب الجباة بالذعر " أيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط "[7] بسبب قيامه بالتدقيق و المراقبة والتمحيص لأعمالهم يحسن ويقبح وهو يهلل و

---

[1]. عند وصوله إلى المغرب استعمله الأمير المريني المتوكل على الله أبي عنان في أعمال أظهر فيها كفاءته فعينه كاتبا في البلاط ، وعند انتقاله إلى إفريقية سنة 758 هـ/ 1357م تركه مع ابنه في المدينة البيضاء للقيام بأعمال الإمارة . أنظر ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 269 .

[2]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 962 .

[3]. ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 270 .

[4]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 963 .

[5]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 943 و ما بعدها ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 262 .

[6]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 944 .

[7]. **نفسه** .

يكبر [1]، يبدو أنهم كانوا يقومون بالاختلاس أو ما شابه ذلك فأثقل عليهم بمراقبته لهم ومحاسبتهم على كل كبيرة وصغيرة ، فترصدوه ليلا وأصابوه بجراح لم تكن خطيرة لكنه نجا منها " و ترصد ليلا وأصيب بجراحة أخطأته "، و لا ندري إن كانت الجراح التي أصيب بها هي التي سببت وفاته فقد توفي بعد مدة قصيرة من هذه الحادثة ، والرواية التي نقلها ابن الخطيب يكتنفها الغموض فهو لم يتطرق لأسباب الوفاة و اكتفى بنقل ردود الفعل التي خلفتها وفاته خاصة عند أعدائه " ثم عاجلته الوفاة ، فنفس عن أقتاله المخنق " [2] .

و من الفقهاء **أحمد بن إبراهيم** [3] (**627 . 708 هـ/ 1229 . 1308م**) أصله من مدينة جيان غادر والده المدينة سنة 643 هـ/ 1245 معند وقوعها في يد العدو ، وكانت وجهة العائلة بعد مغادرة جيان مدينة غرناطة " الجياني المولد ، الغرناطي المنشأ "[4]، نبغ في الكثير من العلوم كالفقه ، والتفسير ورواية الحديث ، و تجويد القرآن [5].

جلس أحمد بن إبراهيم للتدريس في مالقة وغرناطة وتميز بملازمة عمله وبصبره على التسميع حتى بعد تخطيه الثمانين سنة من العمر، و اتصف بالشدة والحزم في التعامل مع أهل البدع ملازما

---

[1] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 263 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 944 .

[3] - وهو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي ، يكنى أبا جعفر ، أصله من مدينة جيان ، أبوه واحد من كبار العلماء في الأندلس له عدة تآليف من بينها " **البرهان في ترتيب سور القرآن** "، وكتاب في الأصول اسمه " **شرح الإشارة للباجي**" ، و "**سبيل الرشاد في فضل الجهاد** "، وكتاب اسمه "**ردع الجاهل عن اغتياب المجاهل** "ألفه للرد على احدى الفرق الصوفيه تدعى الشودية ، وكتاب " **الزمان و المكان** ". أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 368 . 369 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 292 .

[4] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 291 .

[5] - وهو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي أبو إسحاق ، اشتهر باسم الشاطبي ، واحدا من علماء غرناطة في الفقه والأصول والتفسير والحديث والعربية وغيرها ، أخذ العلم على يد جملة من علماء الأندلس منهم ابن الفخار وأبو عبد الله البلنسي ، وأبو القاسم الشريف السبتي ، وأبو عبد الله الشريف التلمساني والإمام المقري وغيرهم ، وله تآليف منها " **الانفاق في علم الاشتقاق** " ، و " **احراز المزية في مولد النبي خير البرية** "، وكتاب " **الموافقات** "، و "**الاعتصام والافادات والانشاءات** " . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 48 ؛ ابن مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 332 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 182 .

لأهل السنة " أمارا بالمعروف ، نهاءً عن المنكر "[1] أثناء إقامته في مالقة انتشرت بين الناس أخبار رجل مشعوذ معروف باسم الفزاري يدعي النبوة والكرامات و معرفة المستقبل تمكن من جمع الأتباع " تبعه ثاغية وراغية من العوام الصم البكم "، ويبدو أن أحمد بن إبراهيم تصدى لدحض أفكاره و ما يدعيه فنالته بسبب ذلك محنة كبيرة من بعض أتباعه الذين قاموا بإيداع شكوى ضده لدى المتغلب على الحكم من الرؤساء التجيبيين من بني أشقيلولة في مالقة [2] ، وعندما وصله الخبر هرب إلى غرناطة طالبا للأمان من الأمير أبي عبد الله مُحَمَّد المخلوع (701 . 708هـ / 1302 . 1309م) ، فهجموا على منزله وسرقوا كتبه وما قيده عن شيوخه "على ما طالت له الحسرة وجلت فيه الرزية " [3].

ومن الفقهاء الذين حاربوا البدع وتصدوا لها أيضا **الإمام الشاطبي** [4] **(ت 790 هـ/ 1389م)** من كبار الفقهاء في الأندلس " أحد العلماء الأثبات وأكابر الأئمة الثقات"[5]،كان حريصا على اتباع السنة مجتنبا للبدع والشبهة ومجابها لها في المجتمع و في هذا الصدد قام بتأليف كتاب أطلق عليه اسم " **الاعتصام** "يشتمل هذا الكتاب على تعريف للبدع وأحكامها وما يتعلق بها من المسائل أصولا وفروعا [6] يقول الشاطبي: " لما وقع علي من الإنكار ما وقع مع ما هدى الله إليه وله الحمد لم أزل أتتبع البدع التي نبه عليها رسول الله ﷺ وأحذر منها وأبين أنها ضلالة وخروج عن الجادة وأشار العلماء إلى

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 369 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ،ج 1 ، ص 292 .

[2] ـ المتغلب على الحكم في مالقة هو أبو سعيد فرج النصري ابن عم وصهر الأمير مُحَمَّد المخلوع حل محله ابنه بعد وفاته ، وصف ابن الخطيب هذه الفترة قائلا " تفاقم على عهده الشر وأعيا داء الفتنة ولقحت حرب الرؤساء الأصهار من بني أشقيلولة " . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 44 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 32 .

[3] ـ ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 373 .

[4] ـ وهو إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي أبو إسحاق ، اشتهر باسم الشاطبي ، واحدا من علماء غرناطة في الفقه والأصول والتفسير والحديث والعربية وغيرها ، أخذ العلم على يد جملة من علماء الأندلس منهم ابن الفخار وأبو عبد الله البلنسي ، وأبو القاسم الشريف السبتي ، والإمام المقري وغيرهم ، وله تآليف منها " **الانفاق في علم الاشتقاق** " و كتاب " **الموافقات** ". أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 48 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 332 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 182 .

[5] . مخلوف ، **المصدر السابق** ، ص 332 .

[6] ـ أبي اسحاق الشاطبي ، **الاعتصام** ، تح محمود بن جميل ، دار الامام مالك ، الجزائر ، 2010 ، ص7 وما بعدها .

تميزها والتعريف بجملة منها لعلي أجتنبها فيما استطعت " [1]، هل اقتصر عمل الشاطبي في محاربة البدع على التأليف فقط أم كانت له وسائل أخرى؟ وهل كانت مهمته هينة ؟ .

المصادر التي ترجمت له لم تتفصل في ذكر جهوده للقضاء على البدع أو المحنة التي ألمت به فبينما ركز مخلوف على محطاته العلمية [2] اكتفى التنبكتي بالتلميح فقط يقول :" مجانبا للبدع والشبهة ساعيا في ذلك مع تثبيت تام "[3] ،و جاء ذكر محنته على لسانه في مقدمة كتابه الاعتصام وقال بأن محنته بدأت عند توليه لخطتي الخطابة والإمامة ، هذه الخطط حسبه كانت تغلب عليها العوائد ومحاولته الإستقامة على الطريق ومحاربة الشوائب التي اعترتها من المحدثات الزوائد أوقعه هذا في محنة كبيرة مع معارضيه و فتح عليه أبواب المجابهة والانتقام [4] ، و اختار الشاطبي طريق أهل السنة لأنه هو النجاة حتى لو كان فيه هلاكه يقول واصفا ما حل به على يد أعدائه " فقامت علي القيامة ، وتواترت علي الملامة " [5] ، و يقول أيضا :

بُلِيتُ يا قَوْمُ و البَلْوى مُنَوَّعَةٌ   بِمَنْ أُدَارِيهِ حَتَّى كادَ يُرْدِينِي

دَفْعُ المضَرَّةِ لا جَلْبٌ لِمَصْلَحَةٍ   فحَسْبي اللهُ في عَقْلِي وفي دِينِي [6]

واتهمه خصومه بالبدعة والضلالة و الغباء والجهل[7] ، و نُسبت إليه بعض الأفعال والأقوال من بينها القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة منه بسبب عدم التزامه الدعاء في أدبار الصلاة ، واتهم أيضا برفض وبغض الصحابة لأنه لم يكن يذكر الخلفاء الراشدين في الخطبة ، والقيام عن الأئمة لعدم

1. الشاطبي ، **المصادر السابق** ، ص 17 .
2. مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 332.
3. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 48 .
4. الشاطبي ، **المصدر السابق** ، ص 13 .
5. **نفسه** ، ص 14 .
6. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 49 .
7. الشاطبي ، **المصدر السابق** ، ص 14 .

ذكرهم في الخطبة ، و معاداة أولياء الله ، واتهم أيضا بمخالفته السنة والجماعة [1] ، وبقي الإمام الشاطبي صامدا ثابتا على الحق مجابها للباطل إلى غاية وفاته سنة 790هـ / 1389م [2].

تنوعت الابتلاءات ومحن الله للعلماء ما بين فقدان الأهل و الخلان و المرض و الزمنى والحوادث المختلفة ، فرحل البعض متأثرا بمرضه ، و حاول آخرون التعايش مع المحنة فتمكن الكثير منهم من التغلب عليها فابن جابر الضرير رغم فقدانه لنعمة البصر أصبح من أكبر علماء اللغة العربية ، و مُحَمَّد بن علي البلنسي الذي فقد يده اليمنى تعلم الكتابة بيده اليسرى ، و ابن الخطيب الذي حرم من النوم و عانى من الأرق استغل ذلك في التأليف فكتب و ألف العشرات من الكتب .

ورغم سقوط العشرات من الضحايا جراء وباء الطاعون المكتسح للأندلس إلا أنه فتح المجال للعلماء للاجتهاد بحثا عن علاج أو عن طرق تحد من انتشاره فكانوا السباقين لاكتشاف الكثير من الحقائق العلمية قبل غيرهم ، و العلماء الذين جابهوا الباطل لنصرة الحق لم يستسلموا و لم يحيدوا عن الطريق رغم كل العراقيل و المصاعب التي تعثروا بها و أصبح ما قاموا به منهاجا يقتدي به و سبيلا يسلكه من جاء بعدهم من العلماء .

---

[1]. الشاطبي ، **المصدر السابق** ، ص 15 .

[2]. ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 182 .

الفصل الثالث :" محن العلماء على يد الحكام و ذوي السلطان "

أولا . الجلد و التنكيل :

ثانيا . العزل :

ثالثا . السجن :

رابعا . النفي :

خامسا . القتل :

1 . القتل أثناء الاضطرابات والفتن :

2 . القتل بسبب المكائد و الدسائس :

3 . القتل بأمر من السلطان :

أقبل الملوك والأمراء في الأندلس على تقريب العلماء وجلبهم للبلاط على اختلاف تخصصاتهم ، فأدنوا منهم الفقهاء وعينوهم في خطط الحسبة و القضاء وغيرها ، واستخدموا بعضهم ممن تخلوا عن ذممهم وعدلوا عن الحق لإمدادهم بالفتاوي المناسبة كلما احتاجوا إلى ذلك[1]، و أمراء آخرون كانوا يشترطون توفر الموهبة الشعرية لتعيين الكتاب والوزراء [2]، واستمر الأمر في دولة بني الأحمر التي خصص مؤسسها مُحَمَّد بن الأحمر مجلسا للأدباء والشعراء لإلقاء قصائدهم ونوادرهم كل أسبوع [3]، وسار أغلب الأمراء على خطاه حتى امتلأ بلاطهم بالفقهاء والأدباء والأطباء والفلاسفة .

و انقسم العلماء ، قسم كان يرى في ولوجه إلى مجال السياسية مبررا للدفاع عن الحق والعدل بتفويض من الشعب الذي بدوره كان يرى فيهم حماة للدين والحريصيين على وحدته و مصالحه ، وقسم آخر منهم اختاروا هذا المجال خدمة وتحقيقا لطموحاتهم و مصالحهم الشخصية [4] ، وآخرون كانوا يمقتون السياسة و التعامل مع السلطة وكل من يمثلها ويدعون لترك هذا المجال لأهله نظرا للخطورة التي كان يشكلها [5]، ويبدو أن الخطورة التي حذر منها هؤلاء هي المحن التي وقع فيها العلماء الذين جذبهم بريق المناصب إلى بلاط بني الأحمر وعملوا كتابا ووزراء وقضاة وكانت نهاية أغلبهم إما السجن أو النفي أو القتل .

[1] . عمر راجح شلبي ، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري** ، مجلة الجامعة الاسلامية ، العدد الثاني ، مج 16 ، 2008 ، ص 265 ؛ مُحَمَّد بركات البيلي ، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1993 ، ص 130 .

[2] . ابن عباد ، **المصدر السابق** ، ص 8 .

[3] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 31 .

[4] . شلبي ، **المرجع السابق** ، 263 .

[5] . الصغير ، **المرجع السابق** ، ص 12

أولا . الجلد و التنكيل :

من العلماء الذين امتحنوا من طرف أمراء بني الأحمر بالجلد والتنكيل **أبو عبد الله بن جزي**[1] (**721 . 758** هـ/ **1321 . 1357** م) يعتبر واحدا من أهم علماء غرناطة في القرن 8 هـ / 14 م فعلى الرغم من صغر سنه ، برع ابن جزي في النظم والنثر وحسن الخط شبيها بوالده الفقيه أبي القاسم مُحَمَّد بن جزي (ت 741 هـ/ 1340 م) الذي تتلمذ على يديه ولم يدرس عند غيره [2] ، عين ابن جزي كاتبا في البلاط الأحمري في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف (733 . 755 هـ/ 1333 . 1354 م) بعد وفاة والده أبي القاسم سنة 741 هـ/ 1340م [3] ، وقد يكون تعيينه في هذا المنصب جاء تكريما لوالده الذي شغل عدة مناصب في الدولة واستشهد وهو يحارب في جيش السلطان أبي الحجاج في معركة طريف [4] .

تعرض أبو عبد الله بن جزي للجلد بالسياط بأمر من الأمير أبو الحجاج وهو لا يزال كاتبا عنده [5] ولا نعلم السبب الذي دفع الأمير لفعل ذلك خاصة وأن العلاقة بينهما كانت وطيدة و لم يحدث بينهما ما يدفع الأمير للإقدام على اتخاذ هذا القرار ،ونستشف ذلك من خلال القصيدة التي كتبها ابن جزي يمتدحه فيها :

إنَّ المتَعَالي والعَوَالِي والنَّدَى والبَأْسَ طَوْعُ يَدَيْ أبي الحَجَّاجِ

---

[1] . وهو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي ، يكنى ابا عبد الله ، ولد في شهر شوال عام 721 هـ/1321 م ، من مدينة غرناطة نشأ بها في رعاية والده الفقيه أبو القاسم مُحَمَّد بن جزي أحد علماء الأندلس ، وأكبر فقهائها وواحد من شهداء معركة طريف 741 هـ/1340م . أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 692 ؛ المقري ، **أزهار** ، ج 3 ، ص 189 ؛ ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 223 ؛ ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 284 .

[2] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 692 .

[3] . **نفسه** ، ص 516 .

[4] . **نفسه** ، ص 692 . 693 .

[5] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 284 .

مَلِكٌ تَتَوَّجَ بالمَهَابَةِ عِنْدَما لا يَسْتَجِزُّ في الدِّينِ لَبْسَ التَّاجِ [1] .

ومحنة ابن جزي هذه ذكرتها أغلب المصادر ولكنها لم تتطرق إلى الأسباب فقد اكتفى ابن الأحمر بذكر امتحان السلطان أبي الحجاج له فقط وبرحيل ابن جزي من الأندلس بعد ذلك واستقراره في المغرب [2]، و تطرق المقري لمحنة ابن جزي لكنه أغفل أيضا ذكر الأسباب واكتفى بالقول أنه ظلم ظلما بينا وضرب بدون أن يقترف أي ذنب [3] ، قد يكون ابن جزي راح ضحية مكيدة حاكها ضده أحد المنافسين داخل القصر فقد ذكر ابن الخطيب بأنه تعرض للغدر رغم ما كان يتحلى به من براعة وقدر [4] .

و كانت هذه الحادثة سببا في رحيل ابن جزي عن الأندلس نهائيا والاستقرار في المغرب وهناك اشتغل كاتبا في البلاط المريني ونال حظوة عند سلطان المغرب[5] المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني [6] (749 . 759 هـ/ 1348 . 1358م) " مرعي الجناح ، أثير الرتبة ، مطلق الجراية ، مقرر السهام " [7] و من المهام التي أوكلها إليه الأمير المريني تنقيح و صياغة كتاب رحلة ابن بطوطة ، ذكر ذلك ابن جزي في مقدمة الكتاب " و صدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم ، المنقطع إلى بابهم المتشرف

---

[1] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 285.

[2] . **نفسه** ، ص 284 .

[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 190 .

[4] . ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 224 .

[5] . **نفسه** ، ص 224 .

[6] . هو الأمير المريني فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ، كنيته أبا عنان و يلقب بالمتوكل على الله ابن الأمير أبي حسن المريني بويع أميرا في مدينة تلمسان ووالده لايزال على قيد الحياة بعدما بلغه خبر غرق أسطوله بالقرب من بجاية سنة 749 هـ/ 1348م ، كان حافظا لكتاب الله كثير الاهتمام بالعلوم كالفقه ، المنطق ، أصول الدين ، العربية والحساب ، توفي مقتولا من طرف وزيره الحسن بن عمر الفودودي سنة 759 هـ / 1358 م وله من العمر ثلاثون سنة فقط . أنظر ابن الأحمر ، **روضة** ، ص ص 27 . 28 .

[7] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 693 .

بخدمة جنابهم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن جزي الكلبي أعانه الله على خدمتهم و أوزعه شكر نعمتهم أن يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله " ، انتهى من تأليفه في بداية سنة 757 هـ/ 1356 م[1].

وبقي ابن جزي كاتبا في بلاط بني مرين إلى غاية وفاته [2] مبطونا بمدينة فاس ، نقل المقري أبياتا له قال أنه أنشدها حين ألم به المرض يشكو فيها ألمه وحالة القلق السائدة بين أهله بسبب خطورة حالته :

إنْ يأخُذ السُّقْمُ من جِسْمِي مآخِذَهُ ... و أصْبَحَ القَوْمُ مِن أمْرِي على خَطَرِ

فإنّ قلْبِي بحَمْدِ اللهِ مُرْتَبِطُ ... بالصَّبْرِ والشُّكْرِ والتَّسْلِيمِ لِلْقَدَرِ

فالمرْءُ في قبْضَةِ الأقْدَارِ مَصْرِفُهُ ... لِلْبُرْءِ والسُّقْمِ أوْ للنَّفْعِ و الضَّرَرِ [3]

و كانت وفاته سنة 758 هـ/ 1356 م وربما في السنة التي قبلها أي سنة 757 هـ/ 1355 م[4].

ومن الشعراء الذين امتحنوا بالجلد والتنكيل أيضا **عبد الله بن فارس** أصله من تلمسان وقدم مع والده إلى الأندلس وهو طفل صغير و أقاموا في ديوان الغزاة بمدينة قتورية ، و بعد وفاة والده سلك مسلكه لوقت قصير ثم عدل عن ذلك وقرر الابتعاد والعزلة عن الناس واتخذ من كهوف جبال بني مشرف مسكنا له يقوم فيها بنظم الشعر و بقي على هذا الحال لمدة تجاوزت الأربعين سنة [5]، وهذا ليس بغريب عن أهل الأندلس فنظم الشعر كان منتشرا بينهم وبرعوا فيه بكل أطيافهم ، فحتى

[1] . مُحَمَّد بن عبد الله بن يوسف اللواتي ابن بطوطة ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** ، تح مُحَمَّد عبد المنعم العريان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1987 ، ج 1 ، 32 .

[2] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 284 .

[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 195 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 715 .

[5] . **نفسه** ، ج 4 ، ص 444 .

البدوي البسيط كان يقرض الشعر ويضمنه أرقى المشاعر الانسانية بشكل جذاب وبدون صعوبة تذكر[1] .

اختيار ابن فارس الابتعاد عن الناس والعزلة عنهم و الطريقة التي كان يعيش بها جعلت الناس يعتقدون أنه مصاب بتلبيس ، و انتشرت الأخبار وساد الاعتقاد بينهم بقدرته على شفاء المرضى وتفريج الكربات فكان الناس يقصدونه من كل مكان يتبركون به [2]، ولم يقتصر ذلك على العامة فقد كان قاضي الجماعة ابن فركون [3] (649 . 729هـ / 1251 . 1328م) من أكثر المترددين عليه أيضا [4].

امتحن ابن فارس بالجلد و تعرض للضرب المبرح بسبب اتهامه بالسرقة في مدينة مالقة ، وكان قد ورث مالا عن أخيه وعند دخوله المدينة حصلت سرقة أحد تجار الذهب في المدينة فوقع عليه الاتهام ، وبعد مدة ظهرت براءته وطلب حاكم مالقة العفو منه ، قبل ابن فارس طلبه وعفى عنه وقال : " لله عندي حقوق وذنوب ، لعل بهذا أكفرها "، وحاول حاكم مالقة تعويضه فقدم له مالا لكنه رفضه وقال له : " لا حاجة لي به مال سوء " [5].

و منهم أيضا **محمد بن علي بن المؤذن ويعرف بابن خرشة** المعلومات عنه وعن محنته شحيحة أوردها العسقلاني ،من المرجح أن يكون من مدينة غرناطة فقد درس على يد أبي عبد الله بن الرقام[6]

---

[1] . هونكة ، **المرجع السابق** ، ص 510 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص ص 444 . 445 .

[3] . هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد القرشي المعروف بابن فركون واحد من فقهاء غرناطة ، بارع في النظم و النثر ، تولى القضاء في مدن عدة منها رندة ومالقة و ألمرية ، ثم غرناطة فأصبح واحدا من صدور القضاة بغرناطة . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 294 ؛ النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 175 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 444 .

[5] . **نفسه** ، ص 445 .

[6] . هو محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي يعرف بابن الرقام (ت 715 هـ/ 1315 م) من مدينة مرسية وسكن غرناطة كان ملم بالعلوم العقلية كالحساب و الهندسة و الطب ، له تآليف منها الشفا و الحيوان والخواص و غيرها . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 623 . 624 .

الذي استقدمه الأمير محمد الفقيه من بجاية إلى غرناطة وقام بتدريس الطب والأصول وتخرج على يديه الكثير من الطلبة [1] من بينهم ابن خرشة ،كماكانت لهذا الأخير براعة في تعبير الرؤيا أشتهر بها و ذاع صيته بين الناس "كان آية في عبارة الرؤيا " [2].

امتحن ابن خرشة بالجلد بالسياط بأمر من أحد أمراء بني الأحمر و لا نعلم إن كان الأمير المقصود هو محمد الفقيه أم خليفته محمد الثالث الملقب بالمخلوع فالعسقلاني لم يذكر ذلك واكتفى بسرد وقائع محنة ابن خرشة التي تسببت فيها رؤيا للأمير وعندما سأل عن من يعبرها له دلوه عليه فقص عليه الرؤيا و لم يخبره أنه هو الرائي ، عبرها له ابن خرشة بوقوع مكروه للرائي فأمر بجلده بالسياط ثم نفاه إلى مدينة مراكش ، و بعد مدة قصيرة تحقق ما عبره ابن خرشة للأمير [3] .

و منهم أيضا أحمد بن يوسف الأنصاري [4] (**ت بعد 763 هـ/ 1361 م**) من علماء غرناطة ورغم دراسته لبعض العلوم العقلية كالحساب والطب ، إلا أنه اشتغل في مجال آخر وهو القضاء كواحد من العدول لمدة ، و كان منتظما في عمله ، حسن المعاملة مع الناس [5] .

ثم درس علم التنجيم على يد واحد من أكبر المتخصصين في هذا العلم و هو أبي عبد الله الفخار " أحد البواقع الموسمين بصحة الحكم فيها " فحمل عنه هذا العلم وبرع فيه فكان يعالج الناس بالرقى و العزائم من المس والخبل مستعملا ما تعلمه ومهارته الكبيرة في ذلك " بما شهد بمهارته في الصنعة"[6].

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 623 .
[2] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 101 .
[3] . **نفسه** ، ص 101 .
[4] . هو أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري كنيته أبا جعفر و معروف باسم الحبالي ، درس على يد نخبة من شيوخ غرناطة منهم على أبي زيد بن مثنى و الطب على يد أبي زكريا هذيل و غيرهم . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 400 . 401 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 306 .
[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 399 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 306 .
[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 399 .

تعرض ابن يوسف الأنصاري للجلد بالسياط بأمر من الأمير مُحَمَّد الخامس و كاد أن يفقد حياته في هذه الحادثة " و ضربه بالسياط التي لم يخلصه منها إلا أجله " ، ثم أجلاه إلى تونس ، وسبب محنته وصول أخبار إلى الأمير مُحَمَّد الخامس تؤكد بأن ابن يوسف الأنصاري قدم دعما للمتغلب على الدولة الأمير إسماعيل الثاني (760 هـ/ 1359 م) أثناء انقلابه عليه وقد استشاره هذا الأخير بخصوص اختيار توقيت الثورة وضمان تمام الأمر مستغلا براعته في التنجيم [1] ،و عندما استعاد الأمير مُحَمَّد الخامس عرشه وعاد من منفاه بفاس امتحنه عقابا له على فعلته سنة 763 هـ/ 1361م [2].

وكان ابن يوسف الأنصاري قد راسل الأمير مُحَمَّد الخامس و هو بمنفاه في فاس يخبره بأنه سيستعيد ملكه مرة أخرى و سيمتحنه "كتب إليه بمدينة فاس ، قبل شروعه في الوجهة ، يخبره بعودة الملك إليه و بإيقاعه المكروه الكبير به " [3].

ثانيا . العزل :

و من المحن أيضا فقدان الجاه أو العزل من الولاية و ما يترتب عن ذلك من تغير حال الممتحن " أو جاها ظن زواله ، أو ولاية استشعرت عزلتها " [4] ، من العلماء الذين امتحنوا بهذه المحنة **أبو جعفر بن فركون** (**649 . 729هـ / 1251 . 1328م**) له اضطلاع واسع بالمسائل ودراية بالأحكام [5]، حافظا للنوازل ،كاتب بارع نظما ونثرا [6] ، تولى منصب القضاء بعدة مدن بمملكة غرناطة كرندة، ومالقة [7]، و بمدينة ألمرية أيضا [8] ، ثم تولى قضاء الجماعة سنة 704 هـ/ 1304م ،

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 399. 400 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 306 .
[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 399. 400 .
[3] . **نفسه** ، ص ص 400. 401 .
[4] . ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ص 157 .
[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 294 .
[6] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 138 .
[7] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 225 .
[8] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 139 .

وبقي في منصبه إلى غاية سنة 713 هـ/ 1313م ثم تعرض للعزل [1]، قال عنه ابن الخطيب "كان من صدور القضاة بهذا الصقع الأندلسي " [2]وراح النباهي يعدد مزاياه أثناء مزاولته لعمله في القضاء فقال أنه تحلى بالعدل والنزاهة والرفق بالضعفاء محتاطا في القضايا التي يشتبه فيها ، دقيق النظر [3] ، فلماذا تم عزله ؟ ومن أصدر قرار العزل ؟ .

عزل ابن فركون بعد استحواذ الأمير أبي الوليد إسماعيل (713 . 725هـ / 1314 . 1325م) على السلطة ، واتفقت المصادر على أن سبب عزل ابن فركون هو مشايعته للأمير المخلوع الأمير نصر أبي الجيوش [4] (708 . 713 هـ/ 1309 . 1314م) ، ولما استقر الأمر للأمير الجديد امتحنه " أصابته أيام الهيج محن " ثم صرفه عن القضاء ببعض النقائص التي نسبت إليه[5] يقول ابن الخطيب أن الأمور التي نسبت إليه لا تليق به لكنه لم يتطرق إليها [6] وفي موقع آخر ذكر بعضها فقال أن ابن فركون كـان يسترسل في سرد "النادرة الحارة " و غيرها في مجالس حكمـه استغلت ضده أثنـاء محنته [7]، و أفرد أيضا بعض الأبيات التي نظمها ابن فركون بعد عزله يعبر فيها عن حزنه للتهم المنسوبة إليه و التي ألحقت به " العار " :

أنـــا مِنَ الحُكْـــمِ تائبْ   و عنْ دَعَـــاوِيهِ هـــارِبْ

بعْــدَ التَّفَقُّـــهِ عُمْـــرِي   ونيْـــلِ أسْـنى المراتِـــبْ

---

[1]. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 83 .

[2]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 294 .

[3]. النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 138 .

[4]. هو الأمير نصر بن محمد رابع أمراء بنو الأحمر يكنى أبا الجيوش ، تولى الحكم وعمره ثلاث وعشرون سنة فقط ،كانت فترة حكمه تعج بالأحداث ، فمن جهة هجومات الإسبان المطردة على الجزيرة الخضراء و غيرها من المدن ، ومن جهة أخرى الفتنة التي نشبت في المملكة بينه وبين الأمير أبو الوليد اسماعيل بن فرج و التي انتهت باستيلاء هذا الأخير على الحكم سنة 713 هـ/ 1314م .أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 57 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 32 . 33 .

[5]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 298 ؛ النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 83 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 83 .

[6]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 298 .

[7]. **نفسه** ، ص 295 .

أصبَـحْتُ أُرْمَـــى بِعَــارٍ   لحـــالٍ غيـرِ مُنَـــاسِـبْ [1]

بعد عزل ابن فركون التزم بيته متفرغا للعلم لفترة طويلة تجاوزت العشر سنوات [2] في ظروف صعبة حيث انتبذ في بيت يملكه خارج مدينة غرناطة يعاني الفاقة والعوز " ينحني على خرثي ، ساقط القيمة ، ودفاتر ساقطة الثمن يتعلل بعلالتها "[3] وبقي على هذه الحالة إلى أن عفا عنه الأمير أبو الوليد وعينه قاضيا مرة أخرى بمدينة ألمرية [4] .

ومن القضاة الذين امتحنوا بالعزل أيضا في ظروف شبيهة بما حدث مع ابن فركون **أبي القاسم بن سراج [5] (ت 848 هـ/ 1444 م)** شيخ فقيه مفسر[6] له الكثير من الفتاوي أورد جملة منها الونشريسي في كتابه " المعيار المعرب "[7]، تقلد ابن سراج منصبي قاضي الجماعة والإفتاء بغرناطة [8] تزامن ذلك مع فترة حكم الأمير مُحَمَّد السابع " الأيسر " [9] (820 . 858 هـ/ 1417 . 1454م) الذي تعرض لثورة أطاحت بحكمه من طرف يوسف بن المول [10]، ولما استقر الأمر لهذا الأخير أصدر قرار

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 299 .

[2] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 83 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 298 .

[4] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 83 .

[5] . هو أبو القاسم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سراج ، تتلمذ على يد جماعة من علماء الأندلس منهم ابن لب ، والأستاذ الحفار ، والقاضي ابن العلاق وغيرهم ، ثم سافر إلى تلمسان و تونس لمناظرة العلماء والشيوخ منهم الإمام ابن مرزوق ثم عاد إلى بلاده ، لابن سراج مجموعة من التآليف منها " **شرحه الكبير على مختصر الخليل** "، وله الكثير من الفتاوي ورد بعضها في كتاب المعيار للونشريسي . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 526 ؛ الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 93 .

[6] . الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 93 .

[7] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 526 .

[8] . **نفسه** .

[9] . هو الأمير أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف الثالث لقب بالأيسر وصل إلى الحكم بعد موت والده ، اتصف بالصرامة والقسوة و عدم الاهتمام بشؤون الرعية ، فكثرت الفتن في عهده وتعرض للثورات وخلع من منصبه أكثر من مرة ، كما استغل الإسبان هذه الأحداث وقاموا بغزوا مدينة الوادي آش سنة (831 هـ / 1428م) . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 44.

[10] . هو مُحَمَّد بن يوسف بن يوسف بن مُحَمَّد بن السلطان أبي الحجاج ثار على الأمير مُحَمَّد الأيسر و تمكن من التربع على عرش غرناطة ، لكن الأمير مُحَمَّد الأيسر تمكن من إخماد الثورة و استرداد ملكه سنة 838 هـ/ 1434م . أنظر السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 10 ، ص100.

عزل ابن سراج وتعويضه بالفقيه أبي جعفر العربي ، وجهزوا له قصر ابن سراج للإقامة فيه خوفا عليه من انتقام رجال الأمير المخلوع المستقر بمدينة مالقة [1] .

ولا نعلم أسباب عزل ابن سراج ، هل عزل لأنه كان من رجال الأمير مُحَّد الأيسر ؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا أُبقي على ابن عاصم فهو أيضا واحد من رجاله وقد شغل منصب كاتب سر الأمير ؟ حادثة العزل أوردها ابن عاصم تلميذه وزميله في بلاط بني الأحمر وقد غلب على روايته الغموض وكأنه كان يخشى خطبا ما ، قال بأن بعض رجال ابن المول كانوا حانقين على القاضي ابن سراج ولما استقر لهم الأمر داخل البلاط قاموا بعزله لأسباب يعرفها الأمير المخلوع ولم يتطرق إليها [2] ، من المحتمل أن يكون ابن سراج قد تصرف تصرفا ما أو تلفظ بكلام يظهر وقوفه إلى جانب الأمير المخلوع مما جعل رجال ابن المول ينتقمون منه بعد استيلائهم على السلطة ، و ما يرجح هذه الفرضية الإبقاء على ابن عاصم في خطة الكتابة رغم أنه أيضا من رجال مُحَّد الأيسر لكنه كان يمارس التقية في التعامل معهم فعندما أوكلت له مهمة كتابة ظهير التولية للقاضي الجديد كتبه على الرغم من كراهته لذلك " فاستثقلته و كتبته على غضاضة و أخذ بالتقية " [3] .

في اليوم الموالي لكتابة الظهير أرسل ابن سراج في طلب ابن عاصم وعند اجتماعهما طلب منه التوسط له لرده إلى منصبه لمعرفته بالعلاقة التي كانت تربطه ببعض رجال ابن المول ، و يعود ابن عاصم إلى الغموض مرة أخرى في روايته فلم يذكر أسماء أو رتب الأشخاص الذين طلب منه ابن السراج التوسط له عندهم مكتفيا بالقول " فتجردت لذلك مع من طلب الحديث معهم " كما لم يذكر نوع العلاقة التي كانت تربطه بهم ، لكن يبدو أنها كانت وثيقة لأنه تمكن من إقناعهم بإيقاف "التقديم المستعجل " إلى أن تمكن الأمير مُحَّد الأيسر من استرداد ملكه فعاد ابن سراج إلى سابق

---

[1] . ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 171 .
[2] . **نفسه** .
[3] . **نفسه** .

عهده [1] متخلصا من محنة عظيمة حسب ما جاء في روايته : " من أعظم فتن الله فيما صرف من متوقع العزل ماكفى معرته شيخنا قاضي الجماعة ابو القاسم بن سراج " [2].

و منهم أيضا **مُحَّد بن أحمد بن علي الغساني (673 . 749 هـ/ 1274 . 1348 م)** يعرف بابن حفيد الأمين من فقهاء مدينة مالقة " كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين " عقد الشروط في العدول المبرزين ، وعمل أيضا إماما خطيبا بالمسجد الأعظم بمالقة ، كما قام بالتحليق بنفس المسجد[3] بعد استشهاد شقيقه أبي القاسم في معركة طريف (741هـ / 1340م) الذي شغل نفس المنصب[4] .

وقعت مشاحنة بين الغساني و أحد الولاة بمالقة فاستعمل هذا الأخير نفوذه وقام بإبعاده عن الخطبة بالمسجد واستمرت محنته لفترة طويلة " أثمرت في إحنته " و لم يعد للخطبة مرة أخرى ، وقضى ما تبقى من حياته بين التأليف والتقييد والاهتمام والعناية بطلاب العلم و الاجتهاد في العبادة إلى غاية وفاته [5] .

و قد يأتي قرار العزل و إبعاد العالم عن منصبه بسبب المنافسة و السعايات مثلما وقع للفقيه **مُحَّد بن عبد الرحمن بن الفخار الجذامي (ت 723 هـ/ 1323م)** أصله من مدينة أركش (Arcos de la frontera)غادرها بعد استيلاء العدو على قصبتها وكانت هذه محنته الأولى كتب أبياتا من فرط اشتياقه لمدينته تقول :

أَكْـــرِمْ بـــأَرْكَشَ دارًا   تاهَتْ على البَـــدْرِ قدْرَا

[1] . ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 172 .
[2] . **نفسه** ، ص 171 .
[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 617 .
[4] . **نفسه** ، ص 614 .
[5] . **نفسه** ، ص 617 .

يخـــاطِبُ المجـدُ عنْها لقَلْبٍ تَــــــدَنَّ شُكْرَا [1]

و بقي مدة يتنقل بين المدن الأندلسية يتلقى العلم على يد العلماء والشيوخ إلى أن استقر في الأخير بمدينة مالقة [2].

عند إقامته بمالقة تصدر للإقراء وتدريس الفقه والعربية والقراءات والأدب والحديث ، متحليا بخلال كالصبر ، مستغرقا وقتا طويلا يقضى معظمه في التعليم من صلاة الصبح إلى الزوال و بعدها يسند ظهره إلى نافذة المسجد يقرأ القرآن و تأتيه النسوة يستفتونه في أمور دينهم ، وبعد الغروب ينتقل إلى المسجد الأعظم ويقعد للفتوى إلى غاية العشاء [3].

فوقعت خصومة بينه وبين بعض فقهاء مالقة بسبب بعض الفتاوي التي صدرت منه " نشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة في أمور عدوها عليه مما ارتكبها لاجتهاده في مناط الفتوى " [4]، ولا ندري هل كان هذا هو السبب الحقيقي أم بسبب الغيرة من المكانة التي نالها عند الناس والتي لم يسبقه إليها أحد " و بلغ من تعظيم الناس إياه ، وانحياشهم إليه مبلغا لم ينله مثله " [5] وفي خضم المحنة عقد الأمير اجتماعا للفقهاء بغرناطة منع عنه الفقيه ابن الفخار، من المرجح أن يكون قرار إبعاده عن الاجتماع صدر من طرف الأمير بتحريض من أحد خصومه ، و لكن محنته لم تدم طويلا إذ تمكن من التخلص من تبعاتها بعد مدة قصيرة [6].

---

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ج3، ص 669 .

[2]. **نفسه** .

[3]. **نفسه** ، ص ص 670 . 671 .

[4]- **نفسه** ، ص 671 .

[5]. **نفسه** ، ص ص 670 . 671 .

[6]. **نفسه** ، ص 671 .

ثالثا . السجن :

و من العلماء من زج بهم في السجون لأسباب مختلفة فمنهم من وجهت إليه تهمة الخيانة والتآمر ، من هؤلاء **مُحَمَّد بن علي البلنسي** ، و هو واحد من أساطين علوم اللغة العربية و البيان في مدينة رندة ، ذاكر الكثير من المسائل رغم إعاقته [1] .

سجن مُحَمَّد بن علي من طرف الأمير **مُحَمَّد الرابع** (**725 . 733** هـ/ **1325 . 1333** م) وذلك بسبب العلاقة التي ربطته بالمتغلب على الدولة الوزير مُحَمَّد بن أحمد بن المحروق[2] هذا الأخير عينه في خطة السوق كما استعمله في كتابة رسالة لسلطان المغرب فأرسل السلطان أبو عبد الله رجالا ترصدوه في مدينة رندة وألقوا عليه القبض " وقدموا به سليبا ، قدوم الشهرة والمثلة ، موقنا بالقتل " وأودع السجن بأمر من الأمير ، مكث فيه مدة لا نعلم كم بلغت لكن يبدو أن المدة لم تكن طويلة فقد حصل على عفو من الأمير بسبب حسن تلاوته للقرآن ، و كان ابن علي البلنسي يداوم على ترتيل القرآن في سجنه ليلا فعطف عليه الأمير وأمر بإطلاق سراحه ، وبعد استرجاعه لملكه أعاده للإقراء مرة أخرى [3].

ومنهم أيضا **مُحَمَّد بن يحي** [4](**733 . 792** هـ/ **1332 . 1389**م) واحد من علماء الصوفية ، كان يعرف أيضا باسم " **ابن عباد الحاج الصوفي** " ، كانت له رحلة علمية إلى المشرق التقى خلالها

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 552.

[2]. في سنة 727 هـ/ 1326 م حدث صراع بين الوزير أحمد بن محروق وشيخ الغزاة عثمان بن أبي العلي ، تسبب هذا الصراع في فتنة كبيرة في المملكة ، ثم تمكن ابن محروق من التغلب على الحكم واستدعى عم الأمير من تلمسان مُحَمَّد ين فرج بن إسماعيل فلحق به وقام بدعوته ، فخرج الأمير مُحَمَّد الرابع إلى ساحل ألمرية وكانت له حروب مع الوزير ابن محروق إلى أن استعاد ملكه سنة 733 هـ/ 1332م . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 79 و ما بعدها .

[3]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص ص 551 . 552 .

[4]. وهو مُحَمَّد بن يحي بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحي بن عباد النفزي يكنى أبو عمرو ، ويعرف بابن عباد ، والحاج الصوفي ، من مدينة رندة من ذوي البيوتات الأصلية ، برع ابن عباد في العلوم النحوية والأدبية والأصول والفروع و التصوف وله عدة مؤلفات .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 1022 ؛ **الكتيبة** ، ص 40 ؛ المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 341 .

بالعلماء والمتصوفين وبعد عودته إلى الأندلس ترك متاع الدنيا وزينتها وقضى عمره في التصوف يجول في النواحي زائرا للربط [1] يقرض الشعر وشعره "حسن يدل على طبع معين " [2].

سجن مُحَمَّد بن يحي في مدينة رنده بأمر من مدبر الدولة بعد وصول كلام إليه يومئذ زعم أنه قاله أمام أمير المغرب ، فأرسل رجـالا ألقوا عليه القبض عند عودته إلى رندة و أودع السجن فكتب رسالة إلى مدبر الدولة ضمنها بعض الأبيات قال فيها :

تَرَكْتُ لكُـمْ عِـزَّ الغِنى فأبَيْتُـمْ وأنْ تَترَكُـوني للمَـذَلَّةِ والفَـقْرِ

ونــازَعْتُمُـوني في الخُمُولِ وإنَّهُ لدى مُهْجَتِي أحْلَى من البُنَى والأمْرِ [3]

ويبدو أن هذه المحنة أثرت على مُحَمَّد بن يحي وقد تكون السبب الذي دفعه للرحيل عن الأندلس فقد قصد المغرب الأقصى بعد تخلصه منها وعمل إماما خطيبا في جامع القرويين بمدينة فاس و استمر في هذا المنصب لأكثر من خمسة عشر سنة ، وعند وفاته سنة 792 هـ/ 1389م كانت جنازته حافلة حضرها الأمير و جمع غفير من الناس [4].

وبعض العلماء تعرضوا للسجن بسبب أفكارهم أو جرأة آرائهم من هؤلاء **عتيق بن معاذ** [5] من علماء الصوفية أصله من مدينة غرناطة نشأ ودرس بها ثم غادرها إلى مدينة ألمرية حيث عين كاتبا عند بعض ولات قصبتها ، مال ابن معاذ لدراسة كتب الصوفية وآثر طريقتهم والتزم بيته لا يفارقه إلا

[1]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 1022 .

[2]. **نفسه** ، ص 1024 .

[3]. **نفسه** ، ص 1023

[4]. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 474 .

[5]. هو عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي يكنى أبا بكر ، شيخ من شيوخ الصوفية في غرناطة نشأ بها وأخذ تعاليم الصوفية بها على يد نخبة من العلماء منهم أبي عبد الله الطنجالي ، وأبي عبد الله بن رشيد ، وأبي القاسم بن الشاطبي ، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات وأبي جعفر الشاطبي وغيرهم .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 87 .

لأداء صلاة الجمعة في أقرب مسجد إليه ، وكان الناس يرتادون بيته للاستماع للدروس التي كان يلقيها [1] .

ذاع صيته وانتشرت أخباره بين الناس في مدينة ألمرية ، هذا ما أزعج بعض قضاتها فحكموا عليه بالسجن بسبب اتباعه منهج الصوفية " إنكارا لما امتاز به من مثلى الطريقة "كما منع من لقاء الناس [2] ربما بسبب توافدهم الكبير على بيته " ومجيل سبحه كثير الزوار "[3]، ولا ندري كم استمرت محنته لكنه تمكن من التخلص من تبعاتها واستعاد مكانته يقصده الناس يلتمسون البركة و الدعاء[4].

ومنهم أيضا **محمَّد بن عبد الله بن فرتون(673. 750 هـ/ 1274. 1349 م)** شغل ابن فرتون منصب صاحب الأشغال بالدار السلطانية ، وتميز بشخصية قوية ، مفرط الحدة يطلق العنان لآرائه بدون هوادة في المجالس التي كانت تعقد بين حين وآخر فكسب عداوة وخصوما داخل البلاط تسببوا في محنته " لسانه في المجالس السلطانية بما تعروه المندمة بسببه " [5] .

أدخـــل السجن وتعرض للتنكيل والإهانــة ، ويبدو أن محنته استمرت فترة طويلة استخدم فيها أعداءه كل الطرق و الوسائل لإضعاف سربه و التضييق عليه فقاموا أيضا بتغريمه ، بعدها انتقلوا إلى مؤلفاته ولا ندري إن تعرضت للنهب أم الإتلاف ففي الروايـــة التي رواها ابن الخطيب استعمل عبارة " عرض للأيـــدي نفايس كتبـه " ، وعلى الرغم من ذلك بقي ابن فرتون صامدا رابط الجأش ولم يضعف أمام هذه المحنة حتى صرفها الله عنه " وعلى ذلك فلم يذعر سربه، ولا أضعفت النكبة جأشه" [6].

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ص ص 87 . 88 .

[2] . **نفسه** ، ص 89 .

[3] . **نفسه** ، ص 87 .

[4] . **نفسه** ، ص 89 .

[5] . **نفسه** ، ج 3 ، ص ص 965 . 966 .

[6] . **نفسه** ، ص 967 .

و علماء آخرون تعرضوا للسجن أثناء الاضطرابات و الصراعات التي كانت تجتاح المملكة بين فترة وأخرى من هؤلاء **علي بن أحمد** [1] كان واحدا من شيوخ الصوفية[2] امتحن بالسجن في عهد السلطان محمّد الخامس الذي حكم عهدته الأولى بين سنوات (755 . 760 هـ/ 1354 . 1359م) والعهدة الثانية كانت في (762. 794 هـ/ 1361 . 1392م) ، تعرض هذا الأمير لثورة أزاحته عن الحكم لفترة قادها ابن عمه أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الذي كان يصبو لبيعة أخيه إسماعيل، لجأ الأمير في البداية إلى مدينة وادي آشي واحتمى بأهلها ، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى [3].

في خضم هذه الأحداث قام المتغلب على الدولة بالقبض على علي بن أحمد واتهمه بموالاة محمّد الخامس فامتعض الناس وشيوخ مدينة وادي آشي وجهروا بذلك ، ويبدو أن هذه الأخبار وصلت لمدبر الدولة فأطلق سراح ابن أحمد خوفا من ثورة الناس عليه " وكاشفوا المتغلب إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه "[4]، وتمكن السلطان محمّد الخامس من استعادة ملكه وانتهى حكم شقيقه إسماعيل الثاني بعد اقل من سنة [5] فتخلص علي بن أحمد من هذه المحنة بسرعة وعاد إلى سابق عهده[6] .

---

[1] . هو علي بن أحمد بن محمّد بن عثمن الأشعري يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن المجروق ، من غرناطة ، ولد سنة 709 هـ/ 1309م " هذا الرجل شيخ الفقراء السفارة والمتسببة بالرباط المنسوب إلى جده " أحد علماء الصوفية الرحالة زار العديد من البلدان للقاء شيوخ الطريقة المشاهير ، كما زار ترب الصالحين ، قام بتأليف كتاب جمع فيه ما تعلمه على يد شيوخه أثناء رحلاته العلمية أسماه " **نكت الناجي وإشارات الراجي** " .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص ص 100 . 101 .

[2] . **نفسه** ، ص 100 .

[3] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 37 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ص 101 .

[5] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 38 .

[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 101 .

ومنهم أيضا **محمد بن إبراهيم بن السراج**[1] **(654 . 730 هـ/ 1256. 1329 م)** كان طبيب الدار السلطانية في فترة حكم السلطان النصري **محمد الثاني الفقيه (672 . 701 هـ/ 1273 . 1302 م)** وتحلى بمكانة مرموقة لدى الأمير [2] .

تغيرت أحوال ابن سراج داخل البلاط وفقد مكانته بمجرد وفاة ولي نعمته الأمير محمد الفقيه فجأة وهو يؤدي صلاة المغرب ، ففي اليوم الموالي لوفاة الأمير سأل ابن سراج عن آخر ما أكله فقيل له أنه أكل كعكا أرسله إليه ولي عهده [3] **محمد الثالث الملقب بالمخلوع (701 . 708 هـ/ 1302 . 1309 م)** فقال ابن سراج كلاما تسبب في سجنه ، يبدو أنه اتهم ولي عهده بتسميمه وعندما وصلت هذه الأخبار إلى الأمير الجديد أمر بسجنه ، بقي ابن سراج سجينا لمدة طويلة وكانت التهمة الموجهة إليه كافية لإعدامه " والتمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه "[4] ثم عفي عنه ولا نعلم كيف عفي عنه ؟ و من تدخل لإنقاذه من القتل ؟ قد يكون واحد من رجال الأمير محمد الفقيه توسط لإنقاذه وإطلاق سراحه وبدل إعدامه نفي إلى المغرب .

بقي ابن سراج في المغرب فترة ثم خلصه الله تعالى من هذه المحنة ورجع إلى الأندلس واستعاد مكانته و منصبه داخل القصر وما فقده من احترام ، ولا نعرف المدة التي قضاها في المغرب ، ابن الخطيب في روايته استعمل عبارة " ثم دالت الأيام "[5] و لعله حصل على عفو من الأمير أبو الجيوش

---

[1] . هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل الأنصاري يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن السراج ، أصله من مدينة طليطلة ، لكن مولده ونشأته كانت بغرناطة و كان مولده سنة 654 هـ/ 1256م ، برع ابن سراج بعلوم أخرى غير الطب كاللغة العربية و التفسير و الشعر " صاحب حظ من العربية والأدب والتفسير ، قارضا للشعر ، حسن الخط " ، وله معرفة بالنباتات وأصنافها " طرفا في المعرفة بالعشب ، وتمييز أعيان النبات " وعنده عدة مؤلفات في علم النباتات وتعبير الرؤيا من بينها كتاب " **السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع** " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 817 وما بعدها .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 817 .

[3] . **نفسه** ، ص 819 .

[4] . **نفسه** ، ص 820 .

[5] . **نفسه** .

نصر بن مُحَمَّد (708 . 713 هـ/ 1409 . 1414 م) بعد وصوله إلى الحكم على إثر الانقلاب الذي أسقط حكم الأمير مُحَمَّد الثالث المخلوع سنة (708 هـ/ 1308 م)[1]، وقد عرف هذا الأمير بسماحته وحلمه[2].

وعلماء آخرون دخلوا السجن بسبب المكائد والسعايات من هؤلاء **أحمد بن إبراهيم (627 . 708 هـ/ 1229 . 1308م)** من مدينة مالقة ثم انتقل إلى مدينة غرناطة ، استقبل فيها بحفاوة وحظي بعناية الأمير " فأكرم مثواه وعرف حقه " ، واشتغل بالتدريس فكان يقصده جمع غفير من الطلبة لأخذ العلم على يديه [3] ، ثم انقلب الأمير عليه وألزمه بالبقاء في بيته لا يسمح له بالمغادرة إلا لصلاة الجمعة[4]،ونحن هنا أمام نوع آخر من السجن يشبه في وقتنا الحاضر " الإقامة الجبرية "، وسبب امتحانه سعاية من طرف أحد جيرانه على علاقة وثيقة بالأمير نقل له كلاما عنه أوجب نكبته ، فأخرج من منزله وأجبر على التزام قعر منزل آخر ومنع من مقابلة الناس ، وبقي على هذا الحال مدة طويلة[5] .

تخلص أحمد بن إبراهيم من محنته بعد مدة واختلفت المصادر في السبب الذي دفع الأمير للعفو عنه ، يقول السيوطي أنه عفى عنه بسبب افتقار مملكة غرناطة لعلماء من أمثاله[6]، أما ابن الخطيب فقال بأنه استعاد مكانته السابقة بسبب تحسن علاقته بالأمير وعاد إلى ممارسة التعليم والاستماع والرواية و التدوين [7].

---

[1] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 54 .
[2] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 32 .
[3] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 373 .
[4] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 292 .
[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 373 .
[6] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 292 .
[7] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 374 .

رابعا . النفي :

وعلماء أجبروا على مغادرة وطنهم باتجاه إحدى دول العدوة أو المشرق لأسباب مختلفة ، منهم من اختار المنفى هربا من بطش السلطة من هؤلاء **مُحَّد بن يوسف أثير الدين** [1] (**654 . 745 هـ/ 1256. 1344م**) واحد من أكبر علماء اللغة العربية والحديث بغرناطة ، وبعد مغادرته للأندلس استقر بالقاهرة [2] فتعلم فيها اللغات التركية ، والفارسية ، والحبشية ، و درس علوم التفسير ، و الفقه ، وعلم اللغة ، وقام بتأليف مجموعة كبيرة من التآليف و الكتب [3] ، فنال حظوة وشهرة كبيرة وأصبح شيخ النحاة و المحدثين بالديار المصرية [4] .

غادر أبوحيان الأندلس سنة 679 هـ/ 1281 م[5]بسبب محنة ألمت به وهو في عنفوان الشباب حيث وقعت وحشة بين أبي جعفر الطباع وأستاذه ابن الزبير وتصدى هو بالتأليف في الرد على ابن الطباع وتكذيب روايته[6] وألف كتاب أسماه " **الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع** " فاشتكاه هذا الأخير للسلطان مُحَّد بن نصر المدعو بالفقيه [7] فغضب الأمير وأصدر الأمر بإحضاره وتنكيله ، ولما

---

[1] . وهو مُحَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي يكنى أبا حيان ويلقب بأثير الدين ، ويطلق عليه أيضا اسم النفزي نسبة إلى قبيلة نفزة إحدى القبائل البربرية ، ولد ببلدة مطخشارش بمدينة غرناطة ، اختلفت المصادر في سنة ميلاده ذكر ابن الخطيب أنها كانت سنة 652 هـ/ 1254م ، و اتفق كل من ابن القاضي والسيوطي و الكتاني أنها كانت سنة 654 هـ/ 1256م ، " سيف النصرة ، المدافع عن أهل البصرة ، وإمام صناعة النحو ، المتقلب في حججها بين الاثبات والمحو ، والغيم والصحو "، وله عدة مؤلفات من بينها " **شرحه لكتاب تسهيل الفوائد لابن مالك** " ، وكتاب في تفسير الكتاب العزيز اسمه " **البحر المحيط** "، وكتابا في نحو اللسان . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 561 و ما بعدها ؛ **الكتيبة** ، ص 81 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 280 ؛ الكتاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 155 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 122 و ما بعدها .

[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 536 .

[3] . بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 79 .

[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 536 .

[5] . الكتاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 155 .

[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 567 .

[7] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 583 .

وصلت هذه الأخبار إلى أبي حيان قام بالاختباء ، ثم أجاز البحر قاصدا بلاد المشرق متخفيا خائفا من اكتشاف أمره [1] ، دخل مصر وبقي فيها إلى غاية وفاته سنة 745هـ / 1344م [2].

لكن السيوطي نقل رواية أخرى وتفرد بها عن الجميع قال أنها وردت في كتاب " **النظار** " الذي ألفه أبي حيان وضمنه مباده و أخبارا عن شيوخه ورحلته جاء فيها أن الأمير مُحَّد الفقيه أراد أن يخصص دروسا للعلماء في علوم الفلسفة ، والمنطق ، و الرياضيات ، و الطبيعي، يشرف عليها أبي حيان ويحصل مقابل ذلك على راتب جيد وكسا وإحسان لكنه لم يقبل عرض الأمير و مخافة أن يكره على القبول غادر الأندلس [3].

لكننا نرجح الرواية الأولى فلو كان المنفى اختياريا لعاد إلى و طنه مرة أخرى فظروفه بمصر لم تكن هينة عانى فيها من الفاقة والتعب في الحصول على المناصب ولم يجد من يعينه على غربته [4]، وربما من الدسائس و المكائد أيضا و يتضح ذلك من كلامه " ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق ، وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ منه والتحرز " [5]، و يبدو أن محنته هذه هي التي جعلته يعطف على المغاربة الذين يحلون بمصر ويقدم لهم المساعدة ويد العون فكان لهم بمثابة الملجأ والعدة [6] .

وما يرجح الرواية الأولى أيضا أبياتا له تظهر وجده جراء الاغتراب والاشتياق لوطنه وأهله وهو ما يدل على أن منفاه لم يكن اختياريا :

يا فُرْقَةً أبْدَلَتْني بالسُّرُورِ أسًى   و أسْهَرَتْ ناظِرًا قدْ طالَ مَا نعَسا

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 567 . 568 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص ص 583 . 584 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 281 .
[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 605 .
[3] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 181 .
[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 543 .
[5] . **نفسه** ، ص 565 .
[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 561 .

أنَّى يكونُ اجتِمَاعٌ بيْنَ مُفْتَرِقٍ   جِسْمٌ بمصْرَ ، وقلْبٌ حلَّ أنْدَلُسا [1]

ومن العلماء الذين تعرضوا للنفي أيضا **إسماعيل بن الأحمر**[2] (**725 . 807 هـ/1325 . 1404 م**) أمير من أمراء بني نصر وواحد من علماء المملكة في المجال الأدبي ، أجبر على مغادرة الأندلس في عهد الأمير يوسف الأول (733 . 755 هـ/ 1333 . 1354 م) بسبب خلافات بين هذا الأخير مع والده و شقيقه محمد، فشد الرحيل مع أهله إلى بلاد المغرب و كانت وجهتهم في البداية مدينة بجاية ثم غادروها إلى المغرب الأقصى و استقروا بها [3].

ذكر ابن الأحمر محنته في مقدمة كتابه نثير الجمان فقال أن كثرة الوشايات والسعايات عززت الشك و الخوف لدى الأمير على ملكه فتوجس منهم " وأنا ببر العدوة في كنف الملك المريني والحفوة حين أخرجنا من الأندلس بنو عمنا الملوك الأحمريون وعشيرتنا السلاطين النصريون خوفا منا على سلطانهم " [4].

استقر إسماعيل بن الأحمر في المغرب الأقصى ولم يعد مرة أخرى إلى الأندلس خوفا على حياته " فلولا أن هدر الملوك بنو عمي بوطني دمي ، لسرت إليه على رأسي لا على قدمي" [5]، وأثناء إقامته بالمغرب سكن بمدينة فاس بعقبة المكودى بقرب الرصيف [6]، وكعربون وفاء وشكر منه لمملكة بني مرين التي استقبلته ألف كتبا للتعريف بأمرائها و أعيانها منها كتاب أسماه " **روضة النسرين في دولة**

---

[1]. ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 122 .

2 . هو إسماعيل بن الأمير يوسف بن السلطان محمد بن الأمير أبي سعد فرج بن إسماعيل بن يوسف ، ولد بغرناطة و يعتبر واحدا من علمائها له مجموعة من المؤلفات منها " **مستودع العلامة ومستبدع العلامة** "، و "**حديقة النسرين في دولة بني مرين** " ، و " **نثير الجمان** " وغيرها . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 145 . 146 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 213 ؛ ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 24 ، ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 20 وما بعدها .

[3]. ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 7 .

[4]. **نفسه** ، ص 22 .

[5]. **نفسه** ، ص 26 .

[6]. ابن القاضي ، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1973 ، ص 166 .

بني مرين " [1] " وذكرت في هذا أنساب بني مرين وفرهم الله تعالى وتشعب قبائلهم واتيت بالتعريف بهم " [2]، كما ألف كتابا آخر للتعريف بأعيان مدينة فاس وأهلها أطلق عليه اسم " **بيوتات فاس الكبرى** " [3] .

ورغم المكانة و العناية الذين حظي بهما في المغرب لم يهنأ بالعيش بعيدا عن وطنه ، وقد أفرد في كتابه " نثير الجمان " قصيدة كتبها تشوقا لوطنه هذه بعض أبياتها :

فُؤَادِي يشْتَكِي داءً دَفِينَا   لِبُعْدِي عنْ مَزَارِ الظَاعِنِينَا

وأَكْبادِي مِنَ الشَّوْقِ ذابَتْ   و وجْدِي فاقَ وجْدَ العاشِقِينَا [4].

و من العلماء الذين تعرضوا للنفي أيضا الشاعر **مُحَّد بن أحمد بن قحطبة** من عائلة لها باع في الأدب و الخدمة لدى أمراء بني الأحمر فأبوه كان كاتبا في ديوان الجند وشقيقه الأكبر شغل ذات المنصب ، وقد برع ابن قحطبة في نظم الشعر متفوقا على شقيقه " اشتهر بالإجادة " وكان بصدد تأليف كتاب عن أدباء غرناطة لكنه لم يكمله [5].

كان ابن قحطبة يكثر من الهجاء في أشعاره حتى لقب بالحطيئة فامتحنه الأمير ابن الأحمر بسبب ذلك و نفاه من الأندلس ، الرواية التي جاء بها ابن حجر العسقلاني يكتنفها الغموض فهو لم يذكر البلد الذي قصده ابن قحطبة و اكتفى بالقول أنه نفي و لم يعد إلى الأندلس مرة أخرى " حتى أدبه السلطان بسبب ذلك ونفاه ولم يرجع " ،كما لم يذكر اسم الأمير الذي أصدر قرار النفي فهل كان يقصد الأمير أبو الحجاج يوسف أو ابنه مُحَّد الخامس ؟ لكننا نرجح هذا الأخير فقد نقل ابن

---

1. الكتاني ، **المصدر السابق** ، ص 145 .
2. ابن الأحمر ، **روضة** ، ص 08 .
3. ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ص 166 .
4. ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 25 .
5. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص ص 214 . 215 .

حجر أبياتا أرسلها ابن قحطبة إلى لسان الدين بن الخطيب وزير الأمير مُحَّد الخامس و أحد الرجال المقربين منه يتضح من أحد أبياتها أنه كان يتأمل العودة إلى وطنه بمساعدة ابن الخطيب ربما بالتوسط له عند الأمير للعفو عنه :

خَليلَيَّ و التَّصَبُّرُ غيرُ عارٍ   و لا صَبْــرَ إذا ينْأى الخَلِيلُ

و إنْ مَطَلَ الزَّمَانُ لنَا بوَعْدٍ   و أنَّ ابنَ الخَطيبِ بِهِ كَـفِيلُ [1].

و منهم أيضا **أبو عبد الله مُحَّد بن شقرال اللخمي (ت 730 هـ/ 1329م)** يعرف باسم الطرسوني [2]واحد من علماء اللغة العربية له دراية بالنحو والقراءات ونظم الشعر ، دخل بلاط بني الأحمر في عهد الأمير مُحَّد الرابع (725 . 733 هـ/ 1325 . 1333 م) فقربه الوزير أبو عبد الله بن المحروق منه وأحظاه ، و قلده الاشراف على خزانة الكتب السلطانية ، ورتب له جراية [3].

استبد الوزير ابن محروق بالأمر و بدأ في إبعاد رجال الدولة من بينهم ابن شقرال فقام بسجنه ثم أجلاه إلى تونس [4] كما أبعد قائد الجيوش عثمان بن أبي علاء عن غرناطة [5] و يتضح من خلال الرواية التي جاء بها ابن الخطيب ان ابن محروق دبر لابن شقرال مكيدة للتخلص منه واتهمه ببراءات كانت تطرح بمذامه بمحراب مسجد البيازين [6] .

[1]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 215 .

[2] - أورد ابن الخطيب ترجمة له في كتابه أوصاف الناس لكن باسم آخر أبي عبد الله الطرطوشي نسبة إلى مدينة طرطوشة Tartosa .أنظر ابن الخطيب ، **أوصاف** ، ض 120 .

[3]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 519 ؛ السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 45 .

[4]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 519 .

[5]. العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 365 .

[6]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 519 .

مكث ابن شقرال مدة في تونس ثم قفل عائدا إلى الأندلس بعد مقتل الوزير ابن محروق [1] سنة 727 هـ/ 1326 م[2] لكنه لم يصل إلى بلاده إذ توفي أثناء سفره على مقربة من مدينة بونة سنة 730 هـ/ 1329 م[3].

و منهم أيضا **مُحَمَّد بن إبراهيم الحميري (ت 716 هـ/ 1316 م)** من أدباء مدينة مالقة " كان أديبا حسن الخط ، جيد النظم " تولى منصب كاتب للرئيس أبي سعيد فرج النصري حاكم مدينة مالقة ابن عم و صهر الأمير مُحَمَّد الثالث المخلوع (701 . 708 هـ/ 1302 . 1309م) [4].

بدأت محنته عند عزل الرئيس أبو سعيد فرج النصري من منصبه و إبعاده إلى المغرب فأجبر هو أيضا على الرحيل " استقر بالمغرب غريبا ، يقلب طرفا مستريبا " و هو في غربته كتب قصائد يعبر فيها عن حزنه و اشتياقه لوطنه يقول في بعض الأبيات :

يا نَـازِحِينَ ولمْ أُفَـــارِقْ مِنْــهُمْ　　　شَـوْقًا تَأَجَّــجَ في الضُّـلُوعِ ضِـرَامُهْ

غُيِّبْتُـمْ عن ناظِــرَيَّ وشَخْصُكُمْ　　　حيْثُ اسْتَقَـــرَّ مِنَ الضُّلُوعِ مَقَـامُهْ [5]

و في مقطع آخر يصف فيه الحميري محنته و تمسكه بالأمل في الرجوع إلى الأندلس " و لولا تعلله بالأماني ، و تحدث نفسه بزمان التداني ، لكان قد قضى نحبه ، ولم أبلغكم إلا نعيه أو ندبه ، لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول " [6] لكن خاب أمله و لم يتمكن من العودة إلى وطنه وبقي بالمغرب يتجرع ألم الاغتراب إلى غاية وفاته في مدينة سجلماسة سنة 716هـ / 1316 م[7] .

---

[1] . السيوطي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 46 .
[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 442 .
[3] . **نفسه** ، ج 3 ، ص 520 .
[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 957 ؛ **الكتيبة** ، ص ص 203 . 204 .
[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 959 .
[6] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 233 .
[7] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، 980 .

و علماء آخرون أجبروا على اللجوء إلى العدوة هربا من المشاحنات والمكائد ومن هؤلاء **مُحَمَّد بن العراقي** من مدينة الوادي آش برع في الأدب نظما ونثرا وتولى أعمـــالا نبيهة بمدينته لكنه لم يستمر فيها فقد رحل إلى قسنطينة سنة 756 هـ/ 1355م وتولى الأشغال فيها [1] وسبب رحيله تعرضه للضغوطات أثناء عمله " فلقي ضغطا ، وفقد نشبا "، وقد نقل ابن الخطيب بعض الأبيات أرسلها إليه بعد رفضه لعمل عرض عليه يقول فيها :

و أمْسَكَ دَهْرِي ثمّ أنْطَقَ عَلْقَمًا   و يمْحَقُ بَدْرِي ثمَّ ألحق بالخَسْفِ

وعِزّكِـــمْ لا كنْتُ بالذُّلِّ عامِلاً   و لوْ أنّ ضعْفِي يَنْتَمِي إلى حَتْفِ[2].

و من العلماء الذين غادروا الأندلس مجبرين وتجرعوا مرارة النفي مرتين **لسان الدين بن الخطيب** (**713 . 776 هـ/ 1313 . 1374م**) نشأ مكبا على طلب العلم ، مثابرا مواظبا ، وشيئا فشيئا بدأت موهبته في الظهور برع في الكتابة نثرا وشعرا ما لا يجاريه فيهما أحد [3]، وألف العديد من الكتب في عدة مجالات [4]، ذاع صيته في المملكة فاستدعاه الامير أبا الحجاج إلى خدمته وعينه في ديوان الكتاب برئاسة أبي الحسن بن جياب كاتب الدولة منذ عهد الأمير مُحَمَّد المخلوع [5] .

عمل ابن الخطيب تحت رئاسة " شيخ العدوتين في النظم والنثر " ابن جياب[6] وتمكن بفضل براعته وحنكته من التفوق على رئيسه ومعلمه ونال حظوة تفوق حظوته حتى نسي الناس ابن جياب

1. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 963 .
2. **نفسه** ، ص 964 .
3. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 440 .
4. أشهرها " **الإحاطة في أخبار غرناطة من ثمانية أسفار** " ، و " **ريحانة الكتاب** " من ثمانية أسفار أيضا و " **الصيب والجهام** " جمع فيه ما كتبه من شعر ، و " **التاج المحلى** "من سفرين ، وكتاب "**عائد الصلة** "من سفرين أيضا ، و "**نفاضة الجراب** "في عدة أسفار ، وكتاب "**طرفة العصر في دولة بني نصر** "في سفرين ، و " **أعمال الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الإحتلام** " في ثلاثة أسفار و يعتبر هذا الكتاب آخر ما قام بتأليفه . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 445 . 446 .
5. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص ص 440 . 441 .
6. **نفسه** ، ص 441 .

[1] ، و لما توفي معلمه في الطاعون الذي ضرب البلد سنة 749 هـ/ 1348م عينه الأمير أبو الحجاج رئيس ديوان الكتاب ، وبعد مقتل الأمير أبي الحجاج سنة 755 هـ/ 1354 م وصل إلى الحكم أبنه الأمير مُحَمَّد الخامس (755 . 760 هـ/ 1354 . 1459 م) فأبقي ابن الخطيب في الوزارة كما كان سابقا في عهد أبيه ، وجعل منه مستشار له في الحكم فجرت أمور الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة[2] ، وارتفعت مكانته عند الأمير الغني بالله فرقاه وأضفى عليه لقب ذو الوزارتين وزارة السيف ووزارة القلم ، وبقي على هذا الحال إلى أن انقلب على السلطان الغني بالله [3] شقيقه إسماعيل سنة 760 هـ/ 1359 م[4] .

هذا الأمير قبض على ابن الخطيب وأودعه السجن وصودرت أمـلاكه ، واستمرت محنته مدة إلى أن تخلص منها بشفاعة الأمير المستعين بالله أبي سـالم إبراهيم ابن الأمير أبي الحسن المريني وذلك بطلب من الفقيه أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب (711 . 781 هـ/ 1311 . 1379م) [5]الذي كان على صلة وثيقة بابن الخطيب كانت قد جمعته به أثناء مقامه بالأندلس ، وبعث الأمير المريني الشريف أبا القاسم التلمساني وحمله الشفاعة في ابن الخطيب فأطلق سراحه وانتقل بعد ذلك إلى مدينة الوادي آشي ،وصحب الأمير الغني بالله ابن الخطيب معه إلى المغرب فاهتز الأمير المريني أبي سالم لقدومهما وخصص لابن الخطيب جراية و اختار الإقامة في مدينة سلا[6] .

---

[1] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 192 .

[2] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 441 .

[3] . ذكر ابن الخطيب حادثة الإنقلاب في كتابه اللمحة البدرية " لما طرقه الحادث الجلل من الثورة به والوثوب بسلطانه واحتجازه ليلا عن داره " ، و بعد نجاح الإنقلاب فر الأمير الغني بالله إلى مدينة الوادي آشي وبقي هناك إلى أن استدعاه الأمير المريني في المغرب .أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 101 .

[4] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ،ج 1 ، ص 19 .

[5] . هو مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد ين أبي بكر بن مرزوق العجيسي يعرف بالجد وبالخطيب ، واحد من فقهاء تلمسان عمل خطيبا في مسجدها ومسجد الحمراء أيضا سنة 752 هـ/ 1351م ، وألف العديد من الكتب كشرحه على عمدة الأحكام ، شرح الأحكام الصغرى ، وكتاب إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب وغيرها . أنظر الكتاني ، **المصدر السابق** ، ص 521 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 450.

[6] . استأذن ابن الخطيب السلطان زيارة مدينة مراكش وما جاورها للوقوف على آثار الملك بها فأذن له وطلب من عماله اتحافه والاعتناء به ، وأثناء إقامته في المغرب استقر ابن الخطيب في مدينة سلا لمدة عامين قضاها في الخلوة، والتأمل، والكتابة، وألف مجموعة من الكتب

وكتب قصيدة يمتدح فيها الأمير المريني ويشكره على استقباله ودعمه لهم أثناء هذه المحنة يقول:

قَصَدْنَاكَ يا خيْرَ الملُوكِ على النَّوَى   لِتُنْصِفَنا ممّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْر

كَفَفْنَا بِكَ الأيَّامُ مِنْ غَلْوائِهَـــا   وقدْ رَأَيْنا منْها التَّعَسُّفَ والكِبْر[1]

انتهت محنة ابن الخطيب وعاد لوطنه عندما استرجع الأمير مُحَّد المخلوع ملكه سنة 763هـ / 1361م وبعث يطلب أهله والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن على من مدينة فاس كما استقدم ابن الخطيب من سلا ، وحين التحق به فرح الأمير بمقدمه ورده إلى منصبه [2]، وقلده وزارتي السيف والقلم وأحكم ابن الخطيب يده على كل السلطات بعدما تمكن من التغلب على منافسه شيخ الغزاة عثمان بن أبي يحي [3] .

استمر ابن الخطيب في منصبه ممارسا لمهامه على أكمل وجه من سنة 764 هـ/ 1362 م إلى غاية سنة 772 هـ/ 1370م فيها قرر مغادرة غرناطة مرة أخرى لكن هذه المرة بمحض إرادته طالبا اللجوء والحماية من المغرب[4]، واستأذن الأمير لتفقد الثغور الغربية واتجه إليها مرفوقا بمجموعة من فرسانه وابنه علي ولما وصل إلى جبل الفتح خرج قائد الخيل ليساعده على العبور إلى المغرب ، وقد

كنفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، وكتاب اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية ، وكتاب رقم الحلل في تاريخ الدول وغيرها من الرسائل والقصائد . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 22 ؛ ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 443 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 193 .

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 21 .

[2]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 443 .

[3]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 22 .

[4]. **نفسه** ، ص 23 .

كان الأمير عبد العزيز (**767 . 774 هـ/1365 . 1372م**) [1]قد جهز له الأسطول فأجاز البحر وصولا إلى مدينة سبتة [2].

اختلفت المصادر في السبب الذي دفع ابن الخطيب لمغادرة وطنه بهذا الشكل المقري أرجع الأمر إلى مبالغة الأمير في تكريمه وترقيته حتى وصل إلى الذروة فسئم الخدمة وتسخط النعمة حسب رأيه [3] ، أما ابن خلدون فربط الأمر بحالته النفسية وخوفه المستمر بسبب المنافسة والوشايات التي كانت تصل تباعا إلى الأمير من طرف خصومه وقال بأنه كان يتجاهلها لكن ابن الخطيب خيل إليه أنه صدقها فقرر الرحيل [4].

وكان ابن الخطيب قد ذكر هذه الضغوطات في رسالته التي أرسلها للأمير الغني بالله [5]" ويعلم مولاي حال عبده منذ وصل إليكم من المغرب بولدكم ، ومقامه لديكم بحال قلق وقلعة " [6] وحملت الرسالة[7] عبارات الاعتذار في أغلب فقراتها محاولا إرضاء الأمير الغني بالله وتبرير موقفه وشرح دوافعه إلى الرحيل " .. فإن كان تصرفي صوابا ، وجاريا على السداد ، فلا يلام من أصاب ، وإن كان عن حمق وفساد عقل ، فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه ، بل يعذر ، ويشفق عليه ويرحم..."[8] .

وعند وصوله إلى المغرب استقبل ابن الخطيب بحفاوة كبيرة [9] ثم انتقل سنة 773 هـ/ 1371 م إلى تلمسان لملاقاة الأمير المريني عبد العزيز في إقامته بتلمسان وقد حضر له الأمير استقبال يليق

[1] . هو الأمير عبد العزيز أبي الحسن يكنى أبا الفارس بويع أميرا سنة 767هـ / 1365م ، دامت فترة حكمه ستة أيام وأربعة أشهر وتوفي سنة 774 / 1372 عن عمر ناهز الأربعة وعشرون سنة فقط نقل جثمانه من تلمسان ودفن بفاس . أنظر ابن الأحمر ، **روضة** ، ص 33 .

[2] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 445 .

[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 193 . 194 .

[4] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص ص 443 . 444 .

[5] . أنظر الملحق رقم 05 .

[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 24 .

[7] ـ **أنظر الملحق رقم** : 05

[8] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 25 . 26 .

[9] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص ص 444 . 445 .

بالملوك فجمع خاصته لاستقباله ، ثم بعث كاتبه أبا يحي بن أبي مدين سفيرا إلى الأندلس يطلب أهل ابن الخطيب فتمكن من إحضارهم إلى المغرب معززين مكرمين [1] .

خامسا . القتل :

1 . القتل أثناء الاضطرابات والفتن :

و من العلماء من أزهقت أرواحهم خنقا أو ذبحا و تعرضت جثث بعضهم للتنكيل و الإحراق في ظروف و أحداث مختلفة منهم من راح ضحية الاضطرابات و الفتن المنتشرة في مملكة غرناطة بين كل فترة وأخرى من هؤلاء **محمد بن عبد الرحمن ابن الحكيم** [2] (**660 . 708هـ / 1261 . 1308م**) أديب وشاعر حسن الخط ، قام برحلة علمية قادته إلى بلاد المشرق ، و بعد عودته منها ألحقه الأمير محمد الفقيه (672 . 701 هـ/ 1273 . 1302 م) بكتابه ، وبقي يكتب له في ديوان الإنشاء إلى أن توفي هذا الأمير وجاء للحكم بعده أبو عبد الله المخلوع (701 . 708 هـ/ 1302 . 1309م) الذي قلده خطتي الوزارة والكتابة معا وأشرك معه في الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ، ولما توفي أبا سلطان أفرده الأمير بالوزارة وأعطاه لقب ذو الوزارتين وتقلد كافة شؤونه [3] .

تحول بلاط بني الأحمر في عهد الوزير ابن الحكيم إلى قلعة فكرية بسبب الاهتمام الذي أولاه للعلماء على اختلاف تخصصاتهم ، فكان الشعراء و الأدباء و غيرهم يتنافسون ويتسابقون فيما بينهم

[1] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ج7 ، ص 445 .

[2] ـ هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب ابن محمد بن الحكيم اللخمي ، أصله من مدينة إشبيلية انتقل مع أهله إلى رندة في دولة بني عباد ، ثم قدم إلى غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن نصر بعد عودته من رحلة الحج التي رافق فيها الفقيه المغربي أبا عبد الله ابن رشيد الفهري ، لقب بالحكيم نسبة إلى جد والده يحي الذي عمل كطبيب ، يعتبر واحد من كبار الفقهاء بالمملكة " ريان من الأدب ، مضطلعا بالرواية ، مستكثرا من الفائدة ، يقوم على المسائل الفقهية " أنظر المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 498 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 142 .

[3] ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 51 .

لتأليف الكتب وإهدائها للوزير [1] ،كما جذب إلى البلاط جمع من العلماء و استضافهم عنده و قربهم و أدناهم ومن هؤلاء الشاعر ابن خميس التلمساني ، و مُحَمَّد بن رشيد الفهري (ت 721 هـ/ 1321 م) [2] و غيرهم من الأعيان و العلماء .

قتل الوزير ابن الحكيم بطريقة بشعة وقد جرت وقائع الجريمة التي اهتزت لها كل المملكة صبيحة عيد الفطر سنة 708 هـ/ 1308م حيث استغل طائفة من كبار الدولة مرض الأمير مُحَمَّد الثالث المخلوع (701 . 708 هـ/ 1302 . 1309 م) فقاموا بقتل الوزير ابن الحكيم وتنصيب شقيقه الأمير نصر المعروف بأبي الجيوش في السلطة [3]، واستولت بعد ذلك يد الغوغاء على مقتنيات ابن الحكيم في منزله فسرق مبلغ كبير من المال ، و الكتب ،[4] والذخيرة ، والفرش ، والآنية ، والسلاح ، والمتاع ، والخرثي[5] ، ليس هذا فحسب بل قاموا بعدها بالتمثيل بجثته و طافوا بأشلائه في أرجاء غرناطة واختفت جثته بعد ذلك ولم يدفن[6] .

قتل المتمردون الوزير ابن الحكيم و اكتفوا بنقل الأمير مُحَمَّد الثالث إلى مدينة المنكب وتنصيب شقيقه مكانه ، لماذا قتل الوزير ابن الحكيم بهذه الطريقة البشعة ؟ قد يكون السبب هو استبداد الوزير

---

[1] . ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 4 ، ص 876 .

[2] . هو مُحَمَّد بن عمر بن إدريس بن عمر بن رشيد الفهري يكنى أبا عبد الله من مدينة سبتة و لد سنة 657 هـ/ 1259م من الفقهاء ملما بالعديد من العلوم كعلم الحديث ، و التفسير ، و اللغة العربية ، و التاريخ " الخطيب المتبحر في علوم الرواية و الإسناد " ، زار مملكة غرناطة و تقدم للخطابة في مسجدها الأعظم ، كانت له حظوة و مكانة رفيعة عند الملوك و الأمراء فبعد عودته من غرناطة عينه الأمير أبي سعيد عثمان إماما خطيبا للجامع العتيق بمراكش ثم استدعاه إلى فاس و قربه إليه و بقي على هذه الحالة إلى غاية وفاته.أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 759 و ما بعدها ؛ أبي عبيد الله مُحَمَّد بن رشيد الفهري السبتي ، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة والجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة** ، تح مُحَمَّد الحبيب بن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1982 ، ص ص 25 . 26 .

[3] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 54 .

[4] . كان الوزير ابن الحكيم يميل إلى اقتناء الكتب إلى درجة الإفراط حتى امتلأت قصوره بخزائن الكتب فقدت كلها أثناء حادثة اغتياله . أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 145 .

[5] . **نفسه** ، ص 206 .

[6] . **نفسه** ، ص 207.

ابن الحكيم بالأمر فبعد مرض الأمير مُحَمَّد الثالث وعجزه عن مزاولة الحكم بشكل طبيعي صار صاحب الأمر في المملكة " أفرده السلطان بالوزارة ولقبه ذا الوزارتين ، وصار صاحب أمره " [1].

و في موقع آخر ذكر ابن الخطيب أن الانقلاب على الأمير و مقتل ابن الحكيم بهذه الطريقة البشعة تم بتدبير من طرف أبي بكر بن المول [2] الذي كان حانقا عليه بسبب عزله من منصبه في مدينة الوادي آش بأمر منه " فساء ما بينهما لذلك ، وأعمل عليه التدبير " فقام ابن المول بتحريض الأمير نصر بالانقلاب على شقيقه وشارك في الانقلاب " و قتل الوزير ابن الحكيم بين يديه " وبعدها تولى منصب الوزارة مكانه [3].

وفي نفس الأحداث اغتيل أيضا الشاعر **مُحَمَّد بن خميس** [4] **(ت 708 هـ/ 1308م)** أصله من مدينة تلمسان ، تقلد خطة الكتابة عند ملوك بني زيان ، ثم غادرها إلى الأندلس متوجسا من بعض الأفعال التي كانت تجري بالبلاط الزياني ولم ترقه[5] ، انتقل ابن خميس بعدها إلى مدينة سبته و اشتغل

---

[1]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج3 ، ص 143 .

[2]. هو عتيق بن زكريا ابن المول التجيبي أصله من مدينة قرطبة ، تولى قيادة الجند بمدينة الوادي آش ثم عزل بأمر من الوزير ابن الحكيم ، وبعد اغتيال هذا الأخير حل محله في الوزارة في عهد الأمير نصر أبو الجيوش ، ثم قرر الأمير إرساله إلى المغرب بغرض الرسالة و أشار عليه بالبقاء في المغرب بسبب تخوفه منه "كان من تغلب أهل الدولة عليه و إخافة سلطانه منه أوجب صرفه إلى المغرب " أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 814 و ما بعدها ؛ ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 57 . 58 .

[3]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 4 ، ص ص 814 . 815 .

[4]. هومُحَمَّد بن خميس بن عمر بن مُحَمَّد بن خميس الحجري ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن خميس واحد من علماء اللغة العربية نظما ونثرا أصله من تلمسان ثم انتقل إلى مدينة سبتة لفترة قصيرة غادرها و استقر في غرناطة سنة 703 هـ/ 1303م أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 352.

[5]. **نفسه** ، ص 353 .

بالتدريس ثم غادرها بسبب حادثة حصلت له مع بعض الطلبة [1]، فانتقل من سبتة إلى مالقة ثم غرناطة [2].

قتل ابن خميس التلمساني في حادثة الانقلاب[3] و هو يحاول الفرار عبر دهليز جاره حيث كان يقيم مع جماعة من الأعلام بعدما نهبت ثيابه وأصابه الهلع وكان يردد : " هكذا تقوم الساعة بغتة "، والتقى بمدبري الانقلاب فأجهز عليه أحدهم برمحه فقتله [4] رغم توسله إليه ، وكانت آخر جملة قالها : " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله " [5] ، وفقدت جثته هو أيضا في خضم هذه الاضطرابات التي استمرت لعدة أيام في غرناطة ، وآخر مرة شوهدت جثته كانت مطروحة في العراء خارج باب الفخارين ولا أحد يعلم أين يوجد قبره [6].

لماذا قتـل ابن خميس وهو لم يكن سوى ضيف و زائر للمملكة فقط ؟ قد يكون سبب مقتله وجوده في مكـان الجريمة يوم الحادثة فقط ، لكنه لم يكن الوحيد في مكـان الحادثة فقد كان معه علمـاء آخرين وأغلبهم تمكنوا من الإفلات **كأحمد بن عبد الله** (**ت 707 هـ/ 1307 م**) ، و **ابن رشيد الفهري** (**ت 721 هـ/ 1321م**) الذي التقى برجـال ابن المول وجها لوجه هو أيضا و مع هذا لم يتعرض لمكروه " و تخلص و لا تسل كيف " و غادر المكان سالما و تمكن بعد ذلك من العودة إلى بلده [7] .

---

1. يعرف عن أهل سبتة اهتمامهم بالعلوم وأغلبهم في غاية الذكاء والفطنة ، حدثت لابن خميس حادثة أثناء إقامته بالمدينة مع طلبته نقلها المقري يقول أنهم عرضوا عليه عشرة مسائل في اللغة والنحو وطلبوا منه حلها وإن أخفق في ذلك غادر المدينة " فبهت الشيخ وشغل المحل بأن قال إنما يسأل عن هذا صغار الولدان فقال له الفتى فأنت دونهم إن لم تجب فانزعج الشيخ وقال : " هذا سوء أدب " و كانت هذه الحادثة سبب مغادرته لمدينة سبتة أنظر المقري ، **أزهار** ، ج 2 ، 299 .
2. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 299 .
3. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 353 .
4. **نفسه** ، ص 437 .
5. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 304 .
6. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، 438 .
7. **نفسه** ، ص 776 .

ربما قتل ابن خميس بسبب العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بالوزير ابن الحكيم ومن المؤكد أن من قتله كان يعرف بهذه العلاقة ، فعند وصوله إلى غرناطة فرح الوزير ابن الحكيم بقدومه وأكرمه وقربه و أدناه إليه " ومت إليه بالوسيلة العلمية ، واجتذبه بخطبة التلميذ واستفزه بتأنيسه وبره وأقعده للإقراء بجواره " و قبل مدة قصيرة من الانقلاب قرر ابن خميس الرحيل عن غرناطة وعندما وصل الخبر إلى الوزير ابن الحكيم شق عليه ذلك و حاول إقناعه بالعدول عن رأيه وربما أخر ابن خميس رحيله لإرضائه حتى قتل معه في نفس اليوم [1] .

و من العلماء الذين راحوا ضحية الانقلابات أيضا **علي بن مسعود المحاربي** (**ت 725**هـ / **1325 م**) من الأدباء من عائلة مرموقة لها باع في السياسة والسلطة فشقيقه هو القاضي أبي بكر يحي بن مسعود [2] ، تولى الوزارة لدى الأمير إسماعيل الأول (713 . 725 هـ/ 1314 . 1325 م) وقد قلده هذا المنصب مناصفة مع أبي عبد الله بن أبي الفتح الفهري فعلمه طرق العمل و لقنه جماح عنان اللسان و الجرأة أثناء المداخلات الوزارية ، و بقي ابي الفتح الفهري معه على هذا الحال حتى تمكن ابن مسعود من الاستحواذ على الخطة ولم يبقي لشريكه إلا الاسم فقط [3] " و نازعه لباس الحظوة حتى ذهب باسمها و مسماها " [4].

واستمر ابن مسعود على رأس الوزارة متفردا بمهامها بعد وفاة أبي الفتح الفهري [5] إلى أن قتل في الهجوم الذي وقع للأمير أبي الوليد اسماعيل من طرف ابن عمه [6]المعروف بصاحب الجزيرة سنة

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 353 .

[2] . النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 139 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 836 .

[4] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 66 .

[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 4 ، ص 836 ؛ ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 66 .

[6] . ذكر ابن الخطيب أن صاحب الجزيرة ابن عم الأمير كان واحدا من رؤساء الجند و الأمير كان ناقما عليه لأمر ما لم يذكره ابن الخطيب لكنه قال أن الأمير بالغ في تأنيب ابن عمه و تهديده هذا ما أغضبه و أثار حفيظته فأقدم على قتله بتلك الطريقة الشنيعة أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص ص 73 . 74 .

725 هـ/ 1325م[1] ، و كان الوزير ابن مسعود موجودا في المكان أثناء وقوع حادثة الاعتداء فاستل سيفه مدافعا عن الأمير وأصيب جراء ذلك بجروح خطيرة ، واحدة منها أصابت رأسه ، و على الرغم من خطورة وضعه بقي في القصر وأشرف بنفسه على الاقتصاص من قتلة الأمير ، كما أشرف على تنصيب الأمير مُحَّد بن إسماعيل " مُحَّد الرابع " خلفا لوالده إلى أن وافته المنية متأثرا بالجروح التي أصيب بها أثناء الهجوم [2]، وخلفت حادثة قتله حزنا كبيرا في غرناطة ، ونعاه جمع من العلماء على رأسهم أبو الحسن بن الجياب كاتب الحضرة في نفس الفترة [3]يقول في بعض الأبيات :

أيَا زَفْرَتي زِيدِي ويَـــا عَبْرَتِي جُودِي على فاضِـلِ الدُّنْيا عليَّ بـنَ مَسْـعُودِ

على الشَّامِخِ الأبْيات في المجْدِ و العُـلَا على السَّابِقِ الغَاياتِ في البَأْسِ و الجُودِ [4].

ومن العلماء الذين راحوا ضحية الاضطرابات أيضا **مُحَّد بن عاصم (ت 857 هـ/ 1457 م)** لم تذكر المصادر السنة التي ولد فيها وإن كان بعض المؤرخين اجتهدوا بالبحث عن سنة ولادته فقالوا أنها ربما تكون سنة 794 هـ/ 1391 م أو 799 هـ/ 1396 م[5] ، ينتمي أبو يحي بن عاصم لأسرة معروفة في المجال العلمي والسياسي في غرناطة فوالده هو أبوبكر مُحَّد بن عاصم الغرناطي (760 . 829 هـ/ 1358 . 1425م) قاضي الجماعة في غرناطة وكاتبها ، وعمه أبو يحي مُحَّد بن عاصم (ت

---

1. ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص ص 73 . 74 .
2. ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 4 ، ص 837 .
3. ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 66 .
4. ابن الخطيب ، **الاحاطة** ، ج 4 ، ص 838 .
5. حاول صلاح الجرار أن يمدنا بسنة وفاته بالاعتماد على بعض ما جاء في كتابه جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى فقال أن سن ابن عاصم عند سجن والده كان بين الخامسة عشر والعشرين ، ثم يقول أنه اعتمد على جملة قالها ابن عاصم في كتابه جنة الرضا " لقد رأيت في عالم النوم الشيخ أبا اسحاق الشاطبي رحمه الله ولم ادركه بسني " فقال الجرار ما دام ابن عاصم لم يدرك الامام الشاطبي في حياته وهو قد توفي 790 هـ/ 1388م فقد تكون ولادة ابن عاصم بعد سنة 790 هـ/ 1388 م، وإذا كانت سنه في السنة التي سجن فيها والده سنة 714هـ / 1314 م تتراوح بين 15 و 20 سنة فمن المرجح أن تكون ولادته كانت ما بين 794هـ / 1391م و 799 هـ/ 1396 م. أنظر صلاح جرار (**مقدمة جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**) ، ج 1 ، ص 37 .

813 هـ/ 1410 م) كان واحدا من أهم علماء غرناطة أيضا استشهد في موقعة أنتقيرة سنة 813 هـ/ 1410م[1].

تولى ابن عاصم الكثير من المناصب في المملكة وصلت إلى اثنتي عشر خطة في وقت واحد وهي القضاء ، والوزارة ، والكتابة ، والخطابة ، والإمامة وغيرها ، أما القضاء فقد تولاه عام 838 هـ/ 1434 م[2] أي في عهد الأمير مُحَمَّد السابع 820 . 858 هـ/ 1417 . 1458م ليضيف إليه في شهر صفر سنة 857 هـ/ 1457م خطة جديدة وهي النظر في أمور الفقهاء ، ولم يتول هذه الخطة قبله إلا أبو الحسن بن الجياب ولسان الدين بن الخطيب [3].

و رغم هذه المكانة والحظوة التي تحلى بها في المملكة كانت نهايته ذبيحا على يد السلطان ، ذكر التنبكتي ذلك في نيل الابتهاج ، و مخلوف في شجرة النور الزكية ، ولم تذكر هذه المصادر تفاصيل أكثر عن الموضوع أو الأسباب التي أدت إلى مقتله ذبحا [4]، في حين اكتفت مصادر أخرى ترجمت له بذكر سنة وفاته فقط دون ذكر شيء عن حادثة اغتياله[5].

وعند العودة إلى الفترة التي عاش فيها ابن عاصم يتبين لنا أنها كانت فترة مليئة بالفتن والاضطرابات ، وهو واحد من رجال الأمير الغالب بالله أبي عبد الله مُحَمَّد بن نصر الأيسر الذي تسلم السلطة بعد وفاة والده و تميز بالصرامة والقسوة و قلة الاهتمام بالرعية وترك الأمر للوزير يوسف بن سراج ، ويبدو أن التعسف الذي اتصف به الأمير هو الذي أدى إلى حالة السخط وانتشار الفتن في

[1] التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 483 . 484 .

[2] . **نفسه** ، ص 537 .

[3] . المقري ، **نفح** ، ج 6 ، ص 155 وما بعدها

[4] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 537 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ص 358 .

[5] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 155 وما بعدها ؛ **أزهار** ، ج 1 ، ص 146 ؛ البغدادي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 200.

المملكة [1] فتعرض لأربع محاولات خلع و في كل مرة من هذه المرات كان الخطر يداهم رجاله ومنهم ابن عاصم الذي أمضى معظم حياته في الخوف والقلق [2].

نستشف ذلك من خلال ما ورد في كتابه " **جنة الرضا** " الذي ضمنه الكثير من الأحداث التي تبرز مدى خطورة المرحلة ، من بينها ثورة يوسف بن المول سنة 835 هـ/ 1431م وكان ابن عاصم في تلك الفترة كاتبا للسر ، وبعد نجاح الثورة جرت مؤامرة لعزل أبي القاسم بن سراج عن خطة القضاء وتعويضه بأبي جعفر العربي ، ولما وصلت الأخبار لابن سراج طلب الاجتماع بابن عاصم في المسجد الأعظم على صلاة الظهر فظن ابن عاصم أنه يريد أن يسأله عن الموضوع فكتب إليه معتذرا:

فَدَيْتُكَ لا تسْـأَلْ عنِ الـسِّرِّ كاتِبًا فتَلْقَاه في حَالٍ مِنَ الرُّشْدِ عَاطِلِ

وتضْطَرُّهُ إمّـا لحالــــــةِ خائِـــنٍ أمانَتَـــهُ أوْ خَائِضٍ في الأبـاطِلِ

فلا فَرْقَ عِنْدِي بيْنَ قــاضٍ وكاتِبٍ وَشِيٍّ ذا بِسِرٍّ أوْ قضَى ذا بِبَاطِلِ [3]

وعندما وقعت ثورة أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن نصر ضد الأمير الأيسر سنة 849 هـ/ 1445م هرب ابن عاصم مع الأمير إلى مدينة مالقة خوفا على حياته من أتباع الأمير أبي الحجاج مخلفا وراءه أملاكه وأهله ومكث بها مدة شهر ، وكانت تأتيه الأخبار عن الأذية التي لحقت بأولاده وممتلكاته [4] .

واستخدمه الأمير الأيسر في السفارة إلى الأمير أبي الحجــاج في غرناطة قصد الصلح بينهما ، فتوجه ابن عاصم إلى غرنـــاطة ليوصل الرسالة ولما وصل انتابه خوف شديد من انتقام رجال

[1]. شكري ، **المرجع السابق** ، ص 44 .
[2]. ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 56 .
[3]. ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 150.
[4]**. نفسه** ، ص 56 .

السلطان أبي الحجاج " كان من رأيهم الأنكد إغراء العامة بي وتسليط الرعاع على جهتي فوقع من توعدهم بهدم الدور وخراب الأملاك "، وتحسنت أحواله عندما تم الأمر للأمير أبي الحجاج فقد استدعاه ليرسله في سفارة إلى المغرب [1] و هو بدوره كتب قصيدة يمتدح فيها الأمير الجديد يقول في بعض أبياتها :

أما والهوى مــاكنْتُ مُذْ بَــانَ عَهْدُهُ　　　أهِيمُ بِلُقْيَــا منْ تَنَــاثَرَ وُدُّهُ

رَعَى اللهُ مَنْ لوْ أنْصَفَ الصَّبَّ في الهوَى　　　لما فَاضَ مِنْهُ الدَّمْعُ مُذْ بانَ صَدُّهُ [2]

لكن رغم هذه العلاقة الطيبة بالأمير أبي الحجاج إلا أنه كان يخشى من مكائد ودسائس رجاله خاصة بعد اعتقال أبي القاسم بن سراج ، والقائد ابن كماشة إذ يقول : " وإنما كنت أستثقل بعض أرباب دولته ممن أتوسم فيه غلا أو أستشعر منه حسدا وخصوصا ذلك الموسوم بوزارته ، فقد كانت عندي مداراته صعبة ومصانعته عسيرة " [3].

وتفاقمت الفتنة في المملكة و انتشرت الاضطرابات خاصة بعد استيلاء مُحَمَّد ابن الأحنف على السلطة بدعم من سكان ألمرية فقام بسجن عمه الأمير مُحَمَّد الأيسر وعياله ثم قام بقتل عمه في السجن بعد ذلك[4]، فمن المرجح أن يكون ابن عاصم قد ذبح في خضم هذه الأحداث مع الأمير مُحَمَّد الأيسر ورجاله[5]، واختلفت المصادر في سنة وفاته فالتنبكتي قال أنه لم يقف على سنة وفاته [6]، واتفق البغدادي و مخلوف على أنها كانت سنة 857 هـ/ 1453 م[7] .

[1] - ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 57 .
[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 146 .
[3] . ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 58. 59 .
[4] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 45 .
[5] . ابن عاصم ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 60 .
[6] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 537 .
[7] . مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 358 .

و من العلماء الذين قتلوا في أحداث مماثلة **محمد بن علي بن الحاج الغرناطي (ت 714 هـ/ 1314م)** كان ضليعا بعلم الهندسة ، وله براعة في استعمال الآلات الحربية وجر الأثقال ، يحسن الكلام بلغة الروم [1] ، على دراية بأخبارهم و سيرهم و آثارهم ، و صفه ابن الخطيب بالداهية "كان خبا داهية " ، تولى منصب الوزارة في عهد الأمير نصر بن محمد الملقب ابي الجيوش (708 . 713 هـ/ 1309 . 1314م) [2].

اشتدت الهجومات الإسبانية في سنة 709 هـ/ 1309م على الجزيرة الخضراء و جبل الفتح وألمرية ، ولم تنته هذه الهجومات إلا بعد ستة أشهر أي من شهر صفر إلى نهاية شهر شعبان من نفس السنة ، ثم نشأت فتنة جديدة قادها الوزير ابن الحاج حسب ما ذكره ابن الخطيب الذي قال أن الوزير حاول دفع الرعية لمناصرة الإسبان "واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها واستهدف إلى رعيتها بإيثار النصارى و الصاغية إلى العدو "[3] ، كما حمله المسؤولية في التخطيط ودعم الثورة التي قادها الأمير أبو الوليد إسماعيل (713 . 725 هـ/ 1314 . 1425م) للإطاحة بحكم الأمير أبي الجيوش في شهر شوال سنة 713 هـ/ 1314م " تولى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج ، الميسر لخلعه واجتثاث أصله وفرعه "[4].

فر ابن الحاج إلى المغرب في هذه الأحداث [5] و من المرجح أن يكون هروبه جاء بعد " ثورة الأشياخ " التي ثار فيها الأهالي ضد الأمير أبي الجيوش في شهر شعبان 713 هـ/ 1313 م وطالبوا بتسليم الوزير ابن الحاج لهم [6] ، و بعد وصوله إلى المغرب تقرب من الأمير عمر ابن الأمير المريني أبي

[1] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 69 .
[2] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 58 .
[3] . **نفسه** ، ص 62 .
[4] . **نفسه** ، ص 58 .
[5] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 69 .
[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 70.

سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق [1] (710 . 731 هـ/ 1310 . 1330 م) و عند ثورة عمر ابنه [2]عليه والدعوة لنفسه سنة 714 هـ/ 1314 م وقعت بينـه وبين والده حروب وخطوب قتل ابن الحاج في واحدة منها [3].

و منهم أيضا **أبو زكريا يحي بن طلحة بن محلى البطوي (ت 735 هـ/ 1334 م)**من الشعراء نشأ بالأندلس ، سكن بمدينة الوادي آش وغرناطة وتولى الوزارة لدى الأمير المريني أبي الحسن (731 . 752 هـ/ 1330 . 1351 م)[4].

توفي ابن طلحة جراء سهم نفط أصابه أثناء حصار الأمير ابي حسن المريني لمدينة تلمسان [5] و كان قد بدأه في 11 شوال من عام 735 هـ الموافق لشهر يونيو 1335م ، و ابتني الأمير المريني مدينة للإقامة فيها أثناء الحصار الذي دام إلى غاية سنة 737 هـ/ 1337م [6] ، و لا نعلم هل كان ابن طلحة مشاركا في هذه الحرب مع الأمير المريني أم أنه مجرد حادث عارض أصابه وهو متواجد بالمكان ، ابن الخطيب في روايته اكتفى بالقول أنه قتل في نهاية السنة المذكورة متأثرا بسهم أصابه من

---

[1] . هو الأمير المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق تولى الحكم بعد وفاة الأمير أبا الربيع سليمان سنة 710 هـ/ 1310م ، له من الأولاد ثلاثة هم أبو الحسن علي ، عمر و منصور ، كان مأثرا للهدنة يضرب به المثل في الكرم .أنظر ابن الأحمر ، **روضة** ، ص ص 23 . 24 .

[2] . كان للأمير المريني ولدان الأكبر أبو الحسن و الثاني وهو الأصغر أبو علي عمر و هو المقرب إليه ورشحه لولاية العهد وهو لايزال شابا صغيرا وخصه بألقاب الإمارة و الكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كتبه ولم يحرمه شيئا من مراسم الرياسة و الملك ، وانحاش له أخوه الأكبر أيضا طاعة لأبيه لأنه كان بارا به ، وبقي على هذه الحالة مدة فجرت له مراسلات مع الملوك و تبادل معهم الهدايا " وعقد الرايات و أثبت في الديوان " ، و استبد بالأمر ، وفي أواخر سنة 714هـ / 1314م بعد عودة الأمير أبا سعيد من تلمسان أرسل ولديه إلى فاس و عند استقرار الأمير أبو علي عمر فيها سولت له نفسه بالدعوة لنفسه وخلع طاعته لأبيه و حدثت بينه وبين والده عدة مواجهات عسكرية .أنظر الناصري **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 106 . 107 .

[3] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 69 .

[4] . أورد اسمه ابن الأحمر ضمن وزراء الأمير أبي حسن المريني تحت اسم يحي بن طلحة بن يحي بن محلي البطوئي أنظر ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 26 .

[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 5 ، ص 479 .

[6] . التنسي ، **المصدر السابق** ، ص ص 145 . 146 ؛ ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 26 .

سور تلمسان لكن أثناء تعريفه له ذكر جملة من المميزات التي تحلى بها كالشجاعة والاقدام و مشاركته في بعض المعارك ضد الإسبان [1] ، كما نقل بعضا من أشعاره التي كتبها مفتخرا بشجاعته يقول :

أَنَـــــا ابْنُ طَلْحَةَ و لا أُبَـالِ   ليْث السُّرَى في الحَرْبِ و النِّزَالِ

يُحْيِي حياةَ البِيضِ و العَـــوَالِ   مُبِيدُ كلَّ بطَّـــــالٍ مُغْتَـــالِ [2]

ما يرجح مشاركته كجندي أثناء الحصار لنصرة ولي نعمته الأمير أبي الحسن الذي أدناه إليه " فتملأ ما شاء من قرب و مزية " [3] .

2 . القتل بسبب المكائد و الدسائس :

وعلماء آخرون قتلوا بسبب الدسائس والمكائد داخل بلاط بني الأحمر من هؤلاء الوزير لسان الدين بن الخطيب محنته قادها رجلان كانا سابقا من المقربين إليه ثم انقلابا عليه وتسببا في قتله بطريقة بشعة ، هذان الرجلان هما القاضي أبو الحسن النباهي [4] ، والوزير مُحَمَّد بن يوسف المعروف بابن زمرك [5]، فأثناء وجود ابن الخطيب في منفاه بالمغرب (772هـ / 1370م) كان بينه وبين القاضي النباهي

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 476 .

[2] . **نفسه** ، ص 477 .

[3] . **نفسه** ، ص 476 .

[4] . هو علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن الجذامي المالقي النباهي الشهير بابن الحسن أصله من مدينة مالقة ولد سنة 713 هـ/1313م ثم انتقل إلى غرناطة فقربه السلطان الغني بالله وعينه قاضي للجماعة ، ألف كتاب في مسائل القضاء اسماه " **المرقبة العليا** " كل المصادر التي ترجمت له لم تذكر سنة وفاته و اكتفت بالقول أنه كان حيا سنة 792 هـ/ 1390م . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 880 ؛ النباهي ، **المصدر السابق** ، ص 5 وما بعدها .

[5] . هو مُحَمَّد بن يوسف ابن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن يوسف الصريحي ، يكنى أبا عبد الله ، و يعرف بابن زمرك ، ولد 733 هـ/ 1333م السنة التي اعتلى فيها الأمير أبي الحجاج يوسف عرش بني الأحمر ، يعود أصله إلى شرق الأندلس وقد استقر أسلافه في مكان يعرف بربض البيازين في غرناطة هناك ولد و نشأ ، ثم انتقل إلى غرناطة للدراسة ، كما سافر لطلب العلم ، عمل ابن زمرك كاتب في البلاط المريني ثم في بلاط بني الأحمر " مضطلعا بالخطة خطا وإنشاءً ولسانا ونقدا فاشتهر فضله " .أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 479 ؛ مُحَمَّد بن يوسف الصريحي ، **ديوان ابن زمرك** ، تح مُحَمَّد توفيق النيفر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 7 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 791 ؛ الحجاجي ، **المرجع السابق** ، ص ص 28 . 29 ؛ الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 8 .

مراسلات في واحدة من الرسائل التي أرسلها القاضي أبي الحسن النباهي لابن الخطيب ينتقد مبالغته في البنيان وشراء الضياع والجنان ويذكره بالموت ".. فشرعتم في الشراء ، وتشييد البناء ، وتركتم الاستعداد لهادم اللذات ، هيهات هيهات ، تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتأملون مالا تدركون ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة " [1] .

ووصلت العداوة بينهما إلى حد القطيعة ويتضح ذلك من خلال الترجمة التي خصه بها ابن الخطيب في كتابه الكتيبة الكامنة الذي ألفه وهو لاجئ في تلمسان [2] وصفه فيها "بالجعسوس "، ليس هذا فحسب و قال عنه أيضا : " أطروفة الزمن التي تجل غرائبها عن الثمن ، وقرد شارد من قرود اليمن ، ذنبا وأحداقا ، وفروة وأشداقا... " [3] و كان قبل أن تفسد علاقتهما قد خصص له ترجمة لائقة في كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة " تختلف تماما عما جاء في " الكتيبة الكامنة " [4].

و الرجل الثاني الذي تسبب في محنته هو مُحَمَّد بن يوسف المعروف بابن زمرك ، كاتب الحضرة ووزيرها بعده ، ارتبط الاثنان بعلاقة غريبة بدأها ابن زمرك تلميذا عنده[5]وهو من جلبه للبلاط وجعله أحد أقرب المقربين إليه يقول " اذ اصطنعته وروجته ولغيري ما أحوجته " [6]، وأثنى عليه هو أيضا في الترجمة التي خصصها له في الإحاطة وذكر فضائله " هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبائها...شعلة من شعل الذكاء "[7]

---

[1] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 214 .

[2] . اسم الكتاب الكامل " **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة** " ألفه ابن الخطيب سنة 774 هـ/ 1372 م في مدينة تلمسان وهو لاجئ عند السلطان المريني أثناء انتظار موكب الحج و كان ينوي أخذه معه إلى المشرق .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 67 ؛ **الكتيبة** ، ص13.

[3] ا بن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 147 .

[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 223 . 224 .

[5] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 791 .

[6] . ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 283 .

[7] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 791 .

يقول المقري بمجرد دخول ابن زمرك إلى بلاط بني الأحمر بدأ يسعى لإزاحة معلمه بأي طريقة فبدأ بهجوه بعدما كان يمدحه وكان أحد الساعيين لقتله[1] ولم يذكر كيف سعى لقتله ، يبدو أنه كان يقصد السعايات التي كانت تصل للسلطان عن ابن الخطيب وكانت السبب في رحيل هذا الأخير عن الأندلس [2]، و ما يؤكد ذلك أيضا ما أورده عنه ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة و هو ما يدل على فساد العلاقة بينهما ومعرفته بالمكيدة التي أحاكها ضده في القصر يقول" هذا الرجيل والتصغير على أصله ، وإن لم يعب السهم صغر نصله ، مخلوق من مكيدة وحذر ، ومفطور اللسان على هذيان وهذر " [3] .

استغل ابن زمرك غياب معلمه وولي نعمته فقام بتأليب الأمير الغني بالله عليه واتهمه بالانحلال واتباع طريق أهل الإلحاد والاعتقاد بمذاهب الفلاسفة بسبب عبارات وردت في كتابه " **روضة التعريف بالحب الشريف** "[4]، ورفعت بعد ذلك إلى قاضي الحضرة أبي الحسن النباهي فاتهم ابن الخطيب بالزندقة [5] .

وعرضت القضية على الأمير الغني بالله فأرسل هذا الأخير إلى الأمير عبد العزيز يطلب منه تنفيذ حكم الله في ابن الخطيب جراء فعلتــه [6] لكن الأمير عبد العزيز رفض طلب الغني بالله و رد عليه قائلا : " هلا انتقمتم وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ؟ وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك

[1]. المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 50 .
[2]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 444 . 445.
[3]. ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 282 .
[4]. اتهم ابن الخطيب بالزندقة بسبب كتاب "**روضة التعريف بالحب الشريف** " و قد ألف هذا الكتاب بطلب من الأمير الغني بالله للرد على كتاب ديوان الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني الذي أهدي للسلطان ، فقام ابن الخطيب بتأليف كتاب جمع فيه ما جاء في المحبة عند مختلف الطوائف والمذاهب و جعل أسماها محبة الله تعالى . أنظر لسان الدين بن الخطيب ، **روضة التعريف بالحب الشريف** ، تح عبد القادر أحمد عطا ، دار الفكر العربي ، **ب مكا** ، **ب ت ط** ، ص 29 وما بعدها .
[5]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 103 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 103
[6]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 103 .

أحد ما كان في جواري " ، وبقي ابن الخطيب محاطا بحماية وعناية الأمير المريني الذي وفر له ولأبنائه والفرسان القادمين معه الجراية والاقطاع [1] .

وبعد وفاة الأمير المريني عبد العزيز سنة 774 / 1372 [2] انقلبت الأوضاع فغادر بنو مرين تلمسان عائدين إلى المغرب وعاد معهم ابن الخطيب في ركب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة واستقر في مدينة فاس وواصل في اقتناء الضياع وغرس الجنات وبناء المساكن واحتفظ بالرسوم التي رسمها له الأمير عبد العزيز قبل وفاته[3] لكنه بقي خائفا مترقبا لمكيدة ما تحاك ضده و يظهر ذلك من خلال القصيدة التي أرسلها إلى الأمير الزياني أبي حمو موسى الثاني (760 . 791 ه/ 1358 . 1389م) [4]بتلمسان " آواخر سنة 775ه / 1373م يطلب منه الحماية يقول في بعض أبياتها :

قُلْ لِلزَّمَانِ إلَيْـكَ عَـــنْ مُتَذَمِّمِ   بِضَمَانِ عِزٍّ لَمْ يَكُـنْ لِيَخِيسَــــا

فإذا اسْتَحَرّ جَلَّادُهُ فأنـــا الذِي   اسْتَغْشَيْتُ مِنْ سُرَدِ اليقينِ لَبُوسَــا

وإذا طَغَى فِرْعَــوْنُهُ فأنـــا الذِي   مِنْ ضُـــرِّهِ وأَذَاهُ عُـــذْتُ بِمُوسَى

بِحِمَى أبِي حَمُّو حَطَطْتُ رَكَـائِبِي   لما اخْتَبَـــرْتُ اللَّيْثَ و العَرِيـــسَا [5]

---

1 . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 445 .

2 . بعد وفاة السلطان المريني عبد العزيز بويع ابنه مُحَمّد الملقب بالسعيد في شهر ربيع الأخر سنة 774 ه / 1372م وعمره أربعة أعوام ، واستمرت دولته سنة وثمانية أشهر فقط . أنظر ابن الأحمر ، **روضة** ، ص ص 33 . 34 .

3 . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 445 .

4 . أمير من أمراء دولة بني عبد الواد بتلمسان ، قام باسترجاع ملكه من يد بني مرين و كانت بيعته سنة 760ه / 1358 م، عرف بسيرته الحسنة مع الرعية ساد العدل أيام حكمه ، وكان الأمير أبو حمو أديبا شاعرا " وله من النثر الرائق و الشعر الفائق ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك " ألف كتابا ملوكيا لولده أبي تاشفين أسماه " **نظم السلوك في سياسة الملوك** " . أنظر التنسي ، **المصدر السابق** ، ص 157 و ما بعدها.

5 . يحي ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 513 .

وأرسل قصيدة أخرى بعد سنة من ذلك في أوائل سنة 776 هـ/ 1374 م عندما اشتد خوفه من بني مرين ، لكن هذه المرة يطلب من الأمير الزياني أبي حمو أن يشفع له عند الأمير الغني بالله وهذه بعض أبياتها :

حِمَى سَاحَةِ الطَّبْعِ العَفِيفِ كَمِثْلِ مَا حَمَى سَاحَةَ المُلْكِ المنِيفِ أبُو حَمُّو [1]

ومثْواكَ مَقْصُودٌ وحُبُّـكَ طاعَـةٌ وأمْرٌ على الأعْيانِ مُفْتَرَضٌ حَتْمُ

أعَدْتَ عَلى الأيّامِ رَوْنَقَ بِشْرِهَا ومنْظَرُها بادِي الكآبَةِ مُغْتَــمُّ[2]

هذه القصائد لم تجده نفعا إذ تمكن **الأمير أبو العباس**[3] (**776 . 786 هـ/ 1374 . 1384م**) من بسط نفوذه على البلد وأصبحت دار ملكه سنة 776هـ / 1374م وكان قد عقد شرطا مع الأمير الغني بالله عند مبايعته بطنجة على تسليمه ابن الخطيب بسبب الأخبار التي وصلته أنه كان يحرض الأمير عبد العزيز على غزو الأندلس ، ولما زحف الأمير أبو العباس من طنجة إلى فاس رافقه ابن الخطيب خوفا على نفسه ، أقام الأمير أياما ثم أغراه وزيره سليمان بن داود[4] بالقبض على ابن الخطيب فقبض عليه وأودع السجن [5].

[1] . يحي بن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 537 .

[2] . **نفسه** ، ص 546 .

[3] . هو الأمير أحمد بن أبي سالم يكنى أبو العباس ويلقب بالمستنصر بالله ، بويع أميرا في طنجة في شهر ربيع الآخر عام 775 هـ/ 1373 م ، ثم البيعة الثانية في 6 من محرم سنة 776 هـ / 1374 م ، واستمر في الحكم إلى غاية سنة 786 هـ/ 1384م . أنظر ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 35 .

[4] . كان الوزير سليمان بن داوود يكن العداء لابن الخطيب لأنه كان يصبوا لمشيخة الغزاة في الأندلس وابن الخطيب هو من تصدى له وحرمه من ذلك لأن تلك الرئاسة هي لأعياص الملك من آل عبد الحق . أنظر ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 453 .

[4] . **نفسه** ، ص 452 .

[5] . **نفسه** .

وعلى إثر ذلك أرسل الأمير الغني بالله وزيره أبو عبد الله بن زمرك إلى مدينة فاس لمحاكمة ابن الخطيب [1] فأحضر في مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرضت عليه التهم الموجهة إليه وتعرض للتنكيل بسبب بعض العبارات وردت في كتابه" **روضة التعريف بالحب الشريف** " ثم أعادوه إلى السجن وتشاوروا في قتله ، وأرسل سليمان بن داود رجاله لقتله فدخلوا السجن ليلا مع بعض الرجال المتسللين مع خدم سفراء السلطان ابن الأحمر وقتلوه خنقا في محبسه ، ودفن في اليوم الموالي في مقبرة باب المحروق ، ولم يكتف أعداءه بذلك فتسللوا مرة أخرى ليلا إلى المقبرة وأخرجوا جثته من قبره وأضرموا فيها النار فاحترق شعره واسودت بشرته ثم أعيد لقبره [2].

كان ابن الخطيب يتوقع هذه النهاية ، وهو في السجن فكان يبكي نفسه بنظم الشعر يقول في بعض الأبيات :

فآهـــًا لِعِزٍّ تَقَضَّى مَنَامـًـا   مَنَحْنَا بِهِ الجَاهَ قوْمًا كِرَامَا

وكُنَّا نَسُوسُ أمُورًا عِظَامــًا   وكُنّا عِظامًا فَصِرْنَـا عِظَامـَا

وكُنَّا نَقُوتُ فَهَا نحْنُ قُوتُ [3]

إلى أن يقول :

مَضَى ابنُ الخَطيبِ كَمَنْ قَبْلَهُ   ومَنْ بَعْدَهُ يَقْتَفِي سُبْلَــــهُ

وهـذا الرَّدَى ناثِرٌ شَمْلَـــــهُ   فَمَنْ كانَ يفْرَحُ مِنْهُمْ لَــهُ

فَقُلْ يَفْرَحُ اليومَ مَنْ لا يمُوتُ [4]

---

[1] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 35 .
[2] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 453 .
[3] . المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 113 وما بعدها ؛ **أزهار** ، ج 1 ، ص231 وما بعدها .
[4] . المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 114 .

أثارت حادثة اغتيال ابن الخطيب بهذه الطريقة استهجان الناس واعتبروها سفاهة من سفاهات الوزير سليمان بن داوود " وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته " [1] ، اتهم المقري الوزير ابن زمرك والقاضي النباهي بقتل ابن الخطيب وحملهما المسؤولية كاملة في تدبير محنته وموته بهذه الطريقة البشعة وقال بأن لسان الدين لما كان في منصبه يمتلك القوة والنفوذ لم يقدر أحد على التطاول عليه أو اتهامه بما يشوه سمعته ، ولما دارت عليه الأيام استغل خصومه ذلك واتهموه بالزندقة [2] ويستدل على كلامه بخطاب لابن لسان الدين يتهم فيه ابن زمرك بقتل والده ، بمساعدة القاضي النباهي " ومن أعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون في مرضاته سعي العبيد القاضي أبو الحسن النباهي فكم قبل يده ثم جاهره بعد انتقال الحال ، وجد في أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين"[3] .

3 . القتل بأمر من السلطان :

ولم تكد تمضي إلا سنوات قليلة على مقتل ابن الخطيب حتى قتل الشاعر مُحَّد بن يوسف بن زمرك (733 . 797 هـ/ 1332 . 1394م) بطريقة أبشع من الطريقة التي قتل بها معلمه وولي نعمته ابن الخطيب ، وابن زمرك كان واحد من أكبر شعراء غرناطة وأشهرهم [4]، فأشعاره مازالت

[1] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، 453 .

[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، 118 .

[3] . **نفسه** ، ج 5 ، ص 119 .

[4] . جمع إسماعيل ابن الأحمر أجمل قصائده في كتاب أسماه " **البقية والمدرك من شعر ابن زمرك** " وعن سبب تسميته بهذا الاسم يقول : " أما البقية فلما بقى بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشح الدهر بإمساكه ، و المدرك لأجل ما ترك في مبيضاته ، ولم يخرجه في حياته " ،وصفه المقري بالكتاب الملوكي " هو سفر ضخم ليس فيه إلا نظمه فقط " ، تضمن هذا الكتاب أجمل ما كتبه ابن زمرك من قصائد في مناسبات مختلفة ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما لدراسة شعر ابن زمرك لأنه يحتوي على مادة غزيرة تكمل ما جاء من نصوص مبثوثة وردت في بعض الكتب كالإحاطة في أخبار غرناطة ، وأزهار الرياض ، ونفح الطيب .أنظر المقري ، **أزهار** ، ج 2 ، ص ص 11 . 21 .

مرصعة على جدران قصر الحمراء إلى غاية الآن [1]، كـانت له رحلة في شبابه قادته إلى المغرب عين أثناءها كاتبا عند أبي سالم إبراهيم بن الأمير علي بن عثمان بن يعقوب المريني ، ثم رقي للكتابة عند الأمير المريني [2] ، ولمـا خلع الأمير الغني بالله على إثر ثورة أخيه أبي الوليد الملقب بإسماعيل الثاني في رمضان سنة 760 هـ/ 1359 م لجأ إلى المغرب واستقر بفاس عند الأمير المريني أبي سالم المريني ، كـان ابن زمرك وابن الخطيب من الذين شاركوا الأمير محنته ، وبقي ابن زمرك معه إلى غاية 20 جمادي الثانية سنة 763 هـ الموافق ل 17 أفريل 1362م [3].

استرد الأمير الغني بالله عرشه فعاد إلى الأندلس وعاد معه ابن زمرك واختص بالكتابة في البلاط الأحمري ، واستطاع أن يثبت قدراته و مواهبه في الفنون الأدبية المختلفة ويحتل مكانة مرموقة داخل وخارج البلاط الأحمري[4] ، كما عينه الأمير سفيرا لسلاطين و ملوك بني مرين والنصارى فتمكن من عقد الصلح مع الإسبان تسع مرات [5] ، و لما فسدت علاقته بابن الخطيب ورحل هذا الأخير إلى سبته عين ابن زمرك محله على رأس الوزارة [6] ، ذكر ذلك ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة:" فوثب على الفور ، من النجد إلى الغور ، مما يوهم تمام الدور وانقضاء الطور ، إلى الاستحداد ، برئاسة القلم والمداد "، وعلى الرغم من الخلاف الذي كان بينهما اعترف ابن الخطيب بجدارته وبراعته " فهو اليوم لولا النشأة الشائنة ، والذمامة البائنة ، صدر العصبة ، ونير تلك النصبة... " [7]

[1] تتجلى في النقوش الموجودة على جنبات وواجهات وقباب قصور غرناطة ، وهذه النقوش هي عبارة عن لوحات شعرية منقوشة في الحجر والخشب ، وكانت أغلب مواضيعها المدح والوصف والفخر إلى جانب مواضيع أخرى كالشكر والتهنئة وغيرها . أنظر سعد مُحَمّد العزايزة ، **شعر النقوش عند ابن زمرك الاندلسي** ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثاني ، مج 13 ، 2005 ، ص 5 .

[2]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 793 .

[3]. الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 12 .

[4]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 9 .

[5]. الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 13 .

[6]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 11 .

[7]. ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 283 .

وأخطر دور قام به ابن زمرك مشاركته في قتل معلمه لسان الدين ابن الخطيب كما أشرنا سابقا ، فكان على رأس الوفد الذي أرسله الأمير الغني بالله لمحاكمة ابن الخطيب [1] ، قام ابن زمرك بهذه المهمة تنفيذا لأوامر الأمير واختار الانتصار له على نصرة شيخه ومعلمه ابن الخطيب [2]. لو سلمنا بهذا القول فإن ابن زمرك كان مضطرا لفعل هذا تنفيذا لأوامر الأمير لكن هذا غير صحيح فكيف يأمر الأمير الغني بالله بقتل ابن الخطيب وهو من طلب تأليف الكتاب الذي اتهم بسببه بالزندقة[3] وابن الخطيب كان مدركا لما كان يدور في الخفاء وسعي ابن زمرك الخثيث للإطاحة به ، هذا ما دفعه للرحيل ، فوجد ابن زمرك الفرصة سانحة لاحتلال منصبه في البلاط ، وتمكن بحنكته ودهائه أن يتقرب من الأمير الغني بالله ويكسب وده ويصبح أهم شخصية في البلاط الأحمري فخدمه سبعا وثلاثين سنة ، ثلاث بالمغرب ، وباقي السنوات كانت بالأندلس ، وكتب للأمير خلال هذه المدة ستا وستين قصيدة [4] .

استغل ابن زمرك مكانته فاستبد في البلاط يسيئ معاملة أولياء الأمر من حجاب الدولة فكان يستخف بهم ويرد عليهم بالطبع والجبلة وغيرها من الصفات الذميمة ، بالإضافة إلى المشاركة في الفتن "مع الاستغراق في غمار الفتن أندلسا وغربا " [5] وعلى الرغم من ذلك استمر على رأس الوزارة إلى غاية وفاة الأمير الغني بالله سنة 793هـ / 1390م صاحب أطول فترة حكم و أكثر الفترات المثمرة في حكم بني الأحمر ، و في يوم 10 صفر 793 هـ/ 17 يناير 1392م اعتلى ابنه الأمير يوسف الثاني [6] (793 . 795 هـ/ 1392 . 1393م) سدة الحكم فقام بعزله وأودعه السجن بقصبة ألمرية للأسباب

---

[1] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 453 .

[2] . الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 16 .

[3] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 70 .

[4] المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 16 .

[5] . **نفسه** ، ص 18 .

[6] . هو الأمير أبو الحجاج يوسف بن محمد الخامس تولى الحكم بعد وفاة أبيه الأمير محمد الخامس ، ارتبطت المملكة النصرية في عهده بعلاقات حسنة مع الإسبان ، لكن فترة حكمه كانت قصيرة فقد توفي سنة 794 هـ/ 1393م أي بعد سنة واحدة فقط من اعتلائه للعرش . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 41 .

المذكورة سابقا على الرغم من محاولة ابن زمرك كسب ود الأمير الجديد [1]، وبقي سجينا من غرة صفر سنة 793 هـ/1390 م إلى غاية أول رمضان سنة 794 هـ/ 1391 م[2].

و حصل بعد مدة على عفو الأمير يوسف الثاني وأعاده لمنصبه مرة أخرى وإن كنا لا نعرف الأسبـاب التي دفعته لفعل ذلك لكن من المرجح أن يكون السبب المكـانة التي حظي بها ابن زمرك عند والـده ، و عنده هو أيضا وقد ذكر ابن زمرك ذلك مفتخرا : " و كنت أؤاكله و أؤاكل ابنه مولاي أبا الحجاج و هما كبيرا ملوك أهل الأرض " [3] ، وهناك من ربط الأمر بالقصائد التي ألفها ابن زمرك في السجن يمتدح فيها الأمير يوسف الثاني [4] ، و قد يكون عفو الأمير عنه وإعادته لمنصبه سببه حادثة قتله لوزيره ، فالأمير يوسف الثاني عند توليه الحكم وضع على رأس الوزارة أحد موالي والده ، هذا الوزير استبد بالأمر وقام بقتل ثلاثة من إخوته ولم يكتف بهذا بل بدأ التخطيط لقتل الأمير بمساعدة طبيب القصر اليهودي يحي بن الصائغ لكن الأمير تفطن للمكيدة وأعدم الوزير والطبيب معا [5].

توفي الأمير يوسف الثاني وجاء مكانه ابنه محمد السابع [6] (795 . 810 هـ/ 1393 . 1407 م) وعين هذا الأخير الفقيه ابن عاصم في منصب الوزارة لمدة عام ثم أعاد ابن زمرك مرة أخرى لمنصبه وقد تخلص من شراسته وغلب على طبعه الليونة على غير عادته " فما كان إلا كلا وليت " [7] ، لكن

1 . Antonio Peláez Rovira , **Dinamismo social en el reino nazarí (1454 . 1501) : de la Granada islamica a la Granada mudéjar** , Tesis doctoral , universidad de Granada , pp 40 . 41 .

2 . الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 16 .

3 . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 17 .

4 . Peláez Rovira : **op . cit** , p 42 .

5 . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 41 .

6 . هو الأمير الغني بالله محمد بن يوسف الثاني ، حصل على السلطة بعد إقناع الفقهاء والرؤساء بتربعه على العرش مكان شقيقه يوسف الذي أبعده إلى قلعة المنكب ، قام بغزوات ما بين سنوات 795 . 810 هـ/ 1393 . 1408م إلى مدن مرسية قرطاجة و جيان غنم منها الكثير . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 41 .

7 . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 19 .

ابن زمرك عاد مرة أخرى إلى تصرفاته السابقة دون مراعاة لأحد وكان كل ما يفعله يصل تباعا للأمير [1] فاتهم المشتغلين بالقصر كبيرهم وصغيرهم بارتكاب أخطاء لم يفعلوها ، واتهمهم أيضا باختلاس الأموال وإساءة الأقوال والأعمال " وصار يصرف أغراضه ، ويظهر أحقاده ، بين إفصاح بما كان الإعجام خير من إلقائه" [2].

سئم الأمير مُحَمّد السابع من مكائد ابن زمرك المتكررة فقرر أن يتخلص منه فأعطى الأوامر لبعض أعوانه بقتله[3]، فهجموا على منزله في جنح الليل استقبلهم وهو رافع المصحف بين يديه فأجهزوا عليه وقتلوه طعنا بالسيوف هو ومن وجد معه من خدامه وابنيه على مرأى من زوجته وبناته[4].

أثارت حادثة اغتيال الشاعر ابن زمرك ردودا مختلفة فاعتبرها معاصره ابن الأحمر فاجعة أليمة " ولم يتقوا الله فيه حق تقاته فكانت أنكى الفجائع ، و أفضع الوقائع ، وساءت القالة ، وعظم المصاب " [5] ، أما المقري فقال أن ما حصل لابن زمرك جزاء له لما فعله مع شيخه وولي نعمته لسان الدين بن الخطيب " وكان الجزاء له من جنس عمله ، والمرء يدان بما كان به يدين " [6]، وقارن بين ما حصل مع ابن الخطيب وما حصل له واعتبر أن ما حدث له أفظع فابن الخطيب قتل لوحده بينما قتل هو مع ابنيه وخدامه [7].

[1]. الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 17 .
[2]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 20 .
[3]. الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 17 .
[4] المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 20 .
[5]. **نفسه** ، ص 21 .
[6]. **نفسه** ، ج 5 ، ص 50 .
[7]. **نفسه** ، ج 7 ، ص 170 .

ولا نعرف السنة التي قتل فيها ابن زمرك بالضبط فمن نقلوا حادثة الاغتيال لم يذكروا تاريخ وقوعها يقول التنبكتي " لم أقف على وفاته " [1] ، أما المقري فقال أنه قتل بعد عام 795هـ/ 1392 م، و لكن من خلال بعض المعطيات سنحاول تحديد تاريخ وفاته ، فقد سجن ابن زمرك سنة 793 هـ/ 1390م وبقي في السجن إلى غاية شهر رمضان 794 هـ/ 1391م وتوفي السلطان يوسف الثاني وجاء مكانه الأمير مُحَّد السابع الذي بدوره عين الفقيه ابن عاصم في خطة الوزارة لمدة سنة أي من 794 هـ/ 1391 م إلى غاية 795 هـ/ 1392م وفي هذه السنة أعيد ابن زمرك إلى منصبه من جديد ، فمن المرجح أن وفاته كانت بعد هذه السنة أي سنة 796 هـ/ 1393 م أو 797هـ / 1394 م، وغالبا أنها بعد سنة 797 هـ/ 1394م فقد نقل ابن الأحمر في ديوان ابن زمرك بعض الأبيات التي نظمها لمدح الأمير مُحَّد السابع أثناء رحلته التي قادته لتفقد البلاد الشرقية و التي كانت بتاريخ يوم الثلاثاء الثاني والعشرين شوال عام 797 هـ / 1394 [2] ، لهذا نرجح فرضية وفاته في سنة 797هـ / 1394م .

و منهم أيضا **مُحَّد بن أحمد بن محروق** [3] (**672 . 729هـ /1273 . 1328م**) من الأدباء له خط حسن ، كتب الشروط وامتدح أمراء بني الأحمر فعين في خطة الكتابة ببلاط بني الأحمر [4]، ثم وكيلا للأمير نصر بن مُحَّد أبي الجيوش (708 . 713 هـ/ 1309 . 1314م) [5] الذي أوكل له مهمة حصر ما صودر من ممتلكات الوزير ابن الحكيم بعد مقتله فحصل نظير ذلك على جاه كبير وتملك أراضي واسعة و حصل على أموال طائلة [6].

---

1 . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 479 .

2 . الصريحي ، **المصدر السابق** ، ص 105 .

3 . هو أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد الأشعري المعروف باسم ابن المحروق أصله من مدينة غرناطة ، درس على يد أبي جعفر بن الزبير " كان له خط حسن و مشاركة في الطلب و خاصة في الفرائض " . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 441 .

4 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 441 .

5 . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، 364 .

6 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص ص 441 . 442 .

و في سنة 725 هـ/ 1325م عند اعتلاء الأمير مُحَمَّد الرابع (725 . 733 هـ/ 1325 . 1333 م) عرش بني الأحمر قام بتعيينه على رأس الوزارة [1] ،و بعد سنوات من الخدمة في البلاط وبالضبط سنة 729 هـ/ 1328 م قتل ابن محروق بطريقة بشعة [2] فقد دخل عليه بعض الفتيان " فتيان من أحداث المماليك" وهو في دار جدة الأمير فأجهزوا عليه طعنا بالخناجر حتى لفظ أنفاسه [3] ، فمن المسؤول عن مقتله ؟ و ما هي الأسباب التي أوصلته للقتل بهذه الطريقة ؟

بعد تولي ابن محروق الوزارة استبد بالأمر " فاستولى و حجب السلطان" وبدأ في إبعاد رجال البلاط منهم مُحَمَّد بن شقرال اللخمي الذي أجلاه إلى تونس [4] و أخرج أيضا شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء من غرناطة 727 هـ/ 1326م [5] بسبب وحشة وقعت بينهما ولا نعلم سبب ذلك فقد كان قبل ذلك من المقربين إليه و هو الذي رشحه لدى الأمير لتولي منصب الوزارة [6].

وبعد إبعاده عن غرناطة لجأ ابن أبي العلاء إلى حصن أندرش و جمع الأتباع ثم استدعى عم الأمير مُحَمَّد بن فرج بن إسماعيل من تلمسان و أعلن التمرد على الأمير مُحَمَّد الرابع سنة 727هـ / 1326م وكانت له مع جيش الحضرة عدة مواجهات لم يتفوق فيها أي من الطرفين [7] ومن المرجح أنه السبب الأساسي في مقتل ابن محروق فقام الأمير بإعطاء الأمر لرجاله للتخلص من وزيره [8]، وبعد مقتل ابن محروق أعاد شيخ الغزاة إلى غرناطة واستعاد مكانته في الدولة [9] ، قد يكون الأمير مُحَمَّد الرابع تفاوض مع شيخ الغزاة لإنهاء الفتنة فاشترط عليه هذا الأخير إزاحه ابن محروق من المملكة ، وما

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2_ ، ص 442 .
[2] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 365 .
[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 443 .
[4] . **نفسه** ، ج 3 ، ص 519 .
[5] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 365 .
[6] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 442 .
[7] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 80 .
[8] . **نفسه** ، ص 81 .
[9] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 365 .

يرجح هذه الفرضية قول ابن الخطيب " فوصله إلى إدوار دنياه ، و الله قد خبأ له المكروه في المحبوب ، وتأذن الله سبحانه بنفاذ أجله على يده "[1].

حصل الكثير من العلماء على مناصب هامة في دولة بني الأحمر فكانوا وزراء و كتاب وقضاة و سفراء و غيرها من الرتب التي مكنتهم من لعب أدوارا مهمة و خطيرة في المجال السياسي ، لكن بسبب المنافسة ، والدسائس ، و الفتن ، والصراعات الدائرة بين الأمراء حول كرسي العرش انتهت مهمة أغلبهم بمحن عظيمة كالجلد ، و السجن ، والنفي ، والقتل بأبشع الطرق ، وتعرضت جثث بعضهم للمثلة أو الضياع فلم يحصلوا حتى على قبر يأويهم .

---

[1]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 442 .

الفصل الرابع:" محن العلماء تحت وطأة العدو "

أولا . دور العلماء في الجهاد ضد الإسبان :

ثانيا . الأسر :

ثالثا . محنة سقوط غرناطة و نهاية حكم المسلمين في أوروبا 897 هـ / 1492م :

رابعا . جهود العلماء الاندلسيين في الدفاع عن مملكة غرناطة :

خامسا . محن العلماء بعد سقوط غرناطة :

كان ملوك إسبانيا يتطلعون للاستلاء على مملكة غرناطة منذ تأسيسها ويتحينون الفرصة للقضاء عليها قبل اشتداد عودها ، و قد أدرك أمراء بنو الأحمر ذلك منذ البداية واختاروا مصانعة الإسبان للحفاظ على مملكتهم الفتية ريثما يستجمعون القوة التي تمكنهم من التصدي لهم فيما بعد[1]، فعقدوا هدنة معهم عدة مرات ، فلطالما عقد الأندلسيون هدنة مع الإسبان امتدت لأعوام طويلة " أعطى خلالها الأندلس بسخاء " [2]، السخاء هو الجزية التي كان يدفعها أمراء الأندلس للإسبان للمهادنة أو للاستطالة على بعضهم البعض وقد اعتبرها المقري سببا في ضياع الأندلس " حتى وقع التخاذل و التدابر ، فانعكس الأمر "[3].

وأول من عقد علاقات مع ملوك قشتالة من أمراء المملكة النصرية الأمير مُحَمَّد بن الأحمر(629 . 672 هـ/ 1232 .1273 م) [4]فأثناء حربه مع ابن هود استعان بفرديناند الثالث (Ferdinand III) (1217 . 1252م) لقمع خصمه " وكان ابن الأحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهارا على أمره "[5]،وبعد اشتداد الهجومات الإسبانية على كل من جيان وأرجونة وحصارهم لمدينة غرناطة سنة 642 هـ/ 1244م آثر مهادنة الملك فرديناند الثالث فقصده في معسكره و قدم له الطاعة ، و تم الاتفاق على أن يحكم ابن الأحمر أراضيه باسمه وأن يقدم له جزية سنوية مقدارها مائة وخمسون ألف قطعة من الذهب ، و أن يدعمه في حروبه ضد أعدائه ، وقام بتسليمه مدن جيان وأرجونة وبركونة وبيغ

---

[1] . عنان ، **المرجع السابق** ، ص ص 42 . 43 ؛ يحياوي ، **المرجع السابق** ، ص 29 .

[2] . بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 99 .

[3] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 61 .

[4] . لم يذكر لسان الدين بن الخطيب شيئا عن هذه العلاقات التي ربطت الأمير مُحَمَّد بن الأحمر مع ملك قشتالة فرديناند الثالث في الترجمة التي خصصها له في كتابه اللمحة البدرية ، تطرق فقط إلى الأمراء والملوك الذين كانوا على عهده ، ولا ننسى أن ابن الخطيب كان أحد رجال بنو الأحمر فقد اشتغل كاتبا و وزيرا عندهم لسنوات طويلة فلربما غلبت عليه الذاتية وهو يتكلم عن أولياء نعمته . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 35 .

[5] . المقري ، **نفح** ، ج 1 ،ص 448 .

والحجار و قلعة جابر" رهينة بحسن طاعته " كما تنازل له على أرض الفرنتيرة بسبب عجزه عن الدفاع عنها، و حصل ابن الأحمر مقابل ذلك على السلم لمدة عشرين عاما[1].

و بقي دفع الجزية والاستعانة بملوك قشتالة تقليدا يحافظ عليه أمراء بنو الأحمر بعد وفاة مؤسس الدولة [2] بل هناك من ربط بين هذه العلاقات و بين استمرار دولة بني الأحمر لأكثر من قرنين من الزمن " وقد تكون قشتالة أيضا شعرت أن من المفيد أن تبقى بقربها دولة إسلامية يستطيع أن يلجأ إليها "[3]، وربما لانشغال ملوك قشتالة بتوطيد سلطتهم ومحاربة المناوئين لحكمهم في المدن الأندلسية التي تمكنوا من السيطرة عليها [4] .

وبدأت العلاقة تتدهور ما بين الطرفين وهجومات الإسبان تشتد وتطرد على مملكة بني الأحمر بداية من منتصف القرن 8 هـ / 14 م حيث خسرت المملكة أجزاء من أراضيها [5]، ووصلت إلى ذروة السوء في عهد الأمير ابي الحسن علي (868 . 887 هـ/ 1464 . 1482م)[6] " الأمير الشجـاع الحـازم " [7] .

[1]. عنان ، **المرجع السابق** ، ص ص 42 . 43 .

[2]. بعد وفاة الأمير محمد بن الأحمر مؤسس الدولة اعتلى السلطة ابنه محمد الثاني الملقب بالفقيه ولسوء حظه كانت الدولة تعاني من الفتن والاضطرابات التي أثارها بني أشقيلولة ، طلب الفقيه مساعدة الملك القشتالي ألفونسو العاشر Alfonso X للقضاء عليهم لكن الملك القشتالي اشترط عليه بعض الشروط التي لم يقبلها ، وبعد وفاة ألفونسو حل محله الملك سانشو الرابع تحالف مع الفقيه وقدم له الدعم للقضاء على خصومه من بني أشقيلولة . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 27 . 28 .

[3]. منتغمري ، **المرجع السابق** ، ص 158 .

[4]. ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 135 .

[5]. شكري ، **المرجع السابق** ، ص 36 .

[6]. هو الأمير أبو الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل النصري تولى الحكم ، كانت المملكة تشهد الاضطرابات والفتن و ازدياد الطامعين في العرش و تربص الإسبان واطراد هجوماتهم فقام منذ توليه الحكم بتحصين البلاد و إصلاح الجيش وتنظيم الدولة فازدهرت الدولة في عهده ، و استقرت أحوال الناس ، ورخصت الأسعار .أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 47 .

[7]. **نفسه** ، ص 47 .

لكن هناك من اعتبر شجـاعته هذه سببـا في ضياع مملكة غرناطة ونهاية حكم المسلمين [1] فقد رفض دفع الجزية [2] وعند وصول رسول الإسبان [3] يطلب التعجيل بدفعها رد عليه الأمير أبو الحسن قائلا : " قل لمولاك إن سلاطين غرناطة الذين اعتادوا أداء الإتاوات قد ماتوا ، وإن دار الصرف بغرناطة لا تطبع الآن غير السيوف " [4] .

و قام أبو الحسن بغزوات ظفر فيها بغنائم كثيرة ، وفي عام 865 هـ/ 1460م تمكن من السيطرة على قلعة الصخرة الحصينة وقتل من كان فيها دون التفكير في العواقب [5] شكلت نتائج هذه الغزوة صدمة لأهل غرناطة واعتبروها بداية النهاية [6] وفي ذلك يقول أحد الشيوخ الذين عاصروا هذه الأحداث " ويل لنا فلسوف تسقط أنقاض الصخرة فوق رؤوسنا " [7].

أولا . دور العلماء في الجهاد ضد الإسبان :

لعب العلماء دورا حاسمـــا في هذه الأحداث فمنذ البداية كانـوا السباقين لإلقــــاء الخطب والمواعظ للإصلاح ورأب الصدع ، و تبصير الناس بالخطر المحدق ، والدعوة إلى الجهاد وبث روح الصمود و العزم في النفوس ، وتحريك الحميات للمحافظة على ما تبقى من وطنهم ، واسترجاع ما

---

[1] . كنده ، **المرجع السابق** ، ص ص 346 . 347 .

[2] . أرجع شكري الأمر لبعض الشروط القاسية التي اشترطها الإسبان والتي لم تلقى القبول لدى الأمير أبي الحسن ، أما واشنطن أيرفينغ فيقول أن الأمير أبي الحسن هو من كان يسوق الجزية المهينة إلى مدينة قرطبة وكان يستمع أثناء هذه المهمة إلى الهمز واللمز من أعدائه وهذا كان يؤثر فيه " مما يجعل الدماء تغلي في عروقه العربية في كل مرة كان يتذكر فيها هذه المشاهد المهينة " وبمجرد اعتلائه عرش غرناطة أوقف دفع هذه . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 47 ؛ أنظر واشنطن إيرفينغ ، **أخبار سقوط غرناطة** ، تر هاني نصري ، دار الانتشار العربي ، بيروت ،2000 ، ص 69 .

[3] . حصل السفير على سيف من الأمير أبو الحسن ، وقبل مغادرته لمملكة غرناطة عاين هو و من جاء معه التحصينات و أبراج المراقبة ولمسوا عن قرب الكره الكبير الذي كان يكنه لهم أهل غرناطة " وتحت العمائم تضيء عيون سوداء حادة ، ترمقهم بنظرات من الكره والاحتقار " .أنظر واشنطن إيرفينغ ، **المرجع السابق** ، ص ص 71 . 72.

[4] . ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 138 ؛ إيرفينغ ، **المرجع السابق** ، ص 70.

[5] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص ص 47 . 48 .

[6] . ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 139 .

[7] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 48 ؛ ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 139 .

فقدوه من المدن سابقا عنوة أو صلحا ، أو عن طريق الاستسلام " لم يزل العلماء والكتاب و الوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار ويستنهضون عزماتهم من كل الأمصار " [1] .

من هؤلاء لسان الدين بن الخطيب الذي أثرت عنه خطبه يدعو فيها الأندلسيين إلى الجهاد في سبيل الله بالألسن والأموال، ووصف الأندلس بوطن الجهاد " الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله قد استغاث بكم الدين فأغيثوه "[2]، ولتلميذه أبي عبد الله بن زمرك خطبة أيضا ألقاها لما نزل المسلمون بآخر مرج غرناطة وهم متوجهين لفج خير شبه الجهاد بالوليمة والداعي إليها هو الله[3] ، ولسنـــا ندري إن كانت هذه الخطب تتم بطلب من أمراء بني الأحمر أم كانت مبادرات من هؤلاء العلماء ؟ من المرجح أنها كانت تتم بطلب من الأمراء فابن الخطيب و ابن زمرك كانا وزيرين في بلاط بني الأحمر ولطالما أوكلت لهما مهام مشابهة وكانا على رأس سفارات إلى الأمراء و الملوك طلبا للعون أثناء الخطر، أو عقدا للصلح فقد ذكر ابن زمرك أن الأمير الغني بالله فوضه لعقد الصلح مع النصارى تسع مرات كاملة " و فوض لي في عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين ، وصلح النصارى عقدته تسع مرات " [4]، وعندما حاصر الإسبان مدينة غرناطة طلب الأمير أبو عبد الله الصغير من العلماء والفقهاء إلقاء خطب لترغيب الناس في الجهاد تحسبا للخطر المحدق [5] .

لم يقتصر دور العلماء على إلقاء الخطب فقط بل كانوا جنودا متطوعين في الجيش[6]، واستبسلوا في القتال فاستشهد منهم عدد كبير في المعارك التي كانت تجري بين فترة وأخرى .

---

1. المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 63 .
2. **نفسه** ، ص 64 وما بعدها
3. **نفسه** ، ص 63 .
4. **نفسه** ، ج 2 ، ص 17 .
5. كندة ، **المرجع السابق** ، ص 395 .
6. حضور العلماء كان في أغلب المعارك والحروب التي دارت بين المسلمين والنصارى منذ نشأة الدولة الإسلامية كمحرضين بالخطب والمواعظ ، وجنود متطوعين ، بل هناك من العلماء من أوكلت له مهمة قيادة الجيش مثلما حصل مع الفقيه أسد بن الفرات عندما عينه الأمير الأغلبي زيادة الله بن الأغلب قائدا للجيش المتوجه لفتح جزيرة صقلية سنة 212 هـ/ 827 م ، فخطب أسد بن الفرات في الجنود وحارب حتى استشهد في ساحة المعركة . أنظر المالكي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 254 و ما بعدها .

من بين المعارك الضخمة التي وقعت في عهد بني الأحمر وكانت لها نتائج خطيرة معركة طريف[1] " **Salado** "وقعت المعركة سنة 741هـ / 1340 م[2] ، قام الأمير أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل (734 . 755 هـ/ 1333 . 1354م) بالاستنفار فلبى نداءه جمع كبير من الأندلسيين [3]، فنداء الأمير بالنسبة إليهم فرض عين إلا لمن امتلك عذرا قاطعا منعه عن ذلك " و من أمره الأمير بالجهاد إلى دار الحرب ففرض عليه أن يطيعه في ذلك إلا من له عذر قاطع " [4].

شارك في هذه المعركة إلى جانب الأندلسيين جيش المغاربة بقيادة الأمير أبي الحسن المريني (731 . 751 هـ/ 1330 . 1350م) [5]تلبية لنداء الجهاد ونصرة أهل الأندلس ، وهذه عادة من سبقوه من ملوك العدوة ، بدأ التعبئة للمعركة سنة 740 هـ/ 1339 م وتمكن من جمع ستين ألفا من الجنود الغزاة المتطوعين والمرتزقة ، وشرع في إجازة العساكر ومئات السفن فانتظمت الأساطيل المغربية مع الأندلسية كسلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة ، ثم قطع البحر إلى الأنـدلس ، والتحمت الفرقة المغربية مع فرقة الأمير أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ومن معه من الجنود الأندلسيين وأغلبهم كانوا من غزاة زناتة وحماة الثغور ورجال البدو والمتطوعين[6].

---

[1] . تقع جزيرة طريف على البحر الشامي في آخر المجاز المسمى بالزقاق يحدها من الغرب بحر الظلمة ، و جزيرة طريف عبارة عن مدينة صغيرة فيها سور مبني بالتراب يشقها نهر صغير ، تبعد الجزيرة عن الجزيرة الخضراء بثمانية عشر ميلا ، و هي ليست جزيرة سميت كذلك نسبة إلى الجزيرة الخضراء المقابلة لها و سميت باسم بربري من موالي موسى بن نصير أرسله في سرية مع أربعمائة رجل قبل طارق بن زياد سنة 91 هـ/ 710 م . أنظر الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ص 539 ؛ الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 263 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 160 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 516 .

[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 14 .

[4] . أبي محمد علي أحمد بن سعيد بن حزم ، **المحلى بـــالأثر** ، تح أحمد محمد شاكر ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، 1928 ، ج 7 ، ص 291.

[5] . هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا الحسن ولقب بالمنصور بالله ، دام حكمه أكثر من عشرون سنة تمكن خلال فترة حكمه من السيطرة على كامل المغرب وتلمسان وإفريقية بعد أن قتل أميرها .لمزيد من المعلومات أنظر ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص ص 25 . 26 .

[6] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 346 .

التقى جيش المسلمين مع الجيش الإسباني بقيادة ألفونسو الحادي عشر AlfonsoXI (1325 . 1350م) [1] لكن جموع المسلمين انهزموا في هذه الموقعة ، ولا يوجد أبلغ من الوصف الذي وصف به المقري الهزيمة " فقضى الله الذي لا مرد لما قدره ، أن صارت تلك الجموع مكسرة ، ورجع السلطان أبو الحسن مفلولا ، وأضحى حسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولا " [2] وسبب الهزيمة أن النصارى جاؤوا بأسطول آخر اعتُرِضَ به الزقاق لقطع المدد عن معسكر المسلمين وطال الحصار وانتهت المؤونة ونفذ العلف للخيول فحلت بهم الهزيمة ، واستشهد منهم جمع كبير ، وتعرض معسكرهم للسلب والنهب وأضرمت فيه النيران فوقع ضحايا من حظايا الأمير منهم عائشة ابنة عم أبي يحي بن يعقوب ، وفاطمة ابنة الأمير أبي يحي ملك إفريقية وغيرهما[3]، وتسببت هذه الهزيمة في خسارة المسلمين للجزيرة الخضراء وتملك النصارى للمنطقة.

شارك في هذه المعركة جمع من العلماء كمتطوعين وانتسبوا إلى الجيشين الأندلسي والمغربي ، وأغلب العلماء الأندلسيين كانوا من رجال الأمير أبي الحجاج ممن يشغلون خططا في الدولة كالخطابة والقضاء والكتابة وغيرها ، فأبلوا بلاء حسنا على الرغم من افتقارهم للخبرة الحربية ، ومن الواضح أن أكبر دور لهم في المعركة كان التحريض والرفع من معنويات الجنود أكثر من القتال ، واستشهد كثير منهم ، ولا نعلم عددهم بالضبط فأغلب المصادر التي تطرقت للمعركة ذكرت معلومات مقتضبة وتراجم البعض منهم فقط "وقتل جمع من أهل الإسلام ، ولمة وافرة من الأعلام " [4]

---

[1] . هو ألفونسو ابن الملك فرناندو الرابع " هراندة " ابن الملك سانشو الرابع " شانجة "ملك ليون و قشتالة ، قاد الجيش الإسباني في معركة طريف وتملك الجزيرة الخضراء بعد هزيمة المسلمين في المعركة " وكان هذا الطاغية مرهوبا وملكا مجدودا هبت له الريح وعظمت به في المسلمين النكاية وتملك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة العظمى بطريف " .أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 95 .

[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 14 .

[3] . ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 347 .

[4] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 15 .

من العلماء الشهداء في الموقعة **أبي القاسم بن جزي**[1] (**693 . 741 ه / 1294 . 1340 م**) كان فقيها إماما عالما مجتهدا في تحصيل المعارف والعلوم المختلفة ،كما قام بالتدوين والتصنيف في الكثير من الفنون ، أهله ذلك لتولي الكثير من المناصب في الدولة فاشتغل ابن جزي خطيبا في الجامع الأعظم في سن مبكرة ونال الرضا والقبول واتفق الكل على فضله[2] ، كما تولى خططا أخرى كالكتابة في عهد الأمير أبي الحجاج يوسف ، والقضاء في مدن عدة كبرجة ، وأندرش ، ووادي آشي، وغرناطة ، كما كان ابن جزي واحدا من أهل الفتيا بمملكة غرناطة [3].

استشهد الفقيه أبي القاسم ابن جزي في موقعة طريف وهو يشحذ الناس ويحرضهم ويثبت بصائرهم[4]، فقد نقل التنبكتي رواية تفرد بها عن معاصري ابنِ جزي ابن الخطيب وابن الأحمر قال بــأنها للفقيه أبي بكر بن الوزير بن الحكيم الذي كــان قريبا من ابن جزي يوم الموقعة فسمعه ينشد بعض الأبيات الشعرية يدعو الله فيها أن يرزقه الشهادة فأجاب الله دعاءه ، وكانت هذه الأبيات أخر ما ورد عنه :

قصْديَ المؤَمَّلُ في جَهْرِي وإسْراري ومَطْلَبِي منْ إلهي الواحدْ البارِي

شهادةٌ في سبيـــلِ الله خالِصةٌ تمحُو ذُنُوبِي وتُنْجِيني منَ النّارِ

---

[1] ـ هو مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن عبد الله بن يوسف بن جزي الكلبي ويكنى أبا القاسم ، ابن خطيب الجامع الأعظم بغرناطة من أهل غرناطة ولد سنة 693 هـ/ 1294م ، كان ابن جزي مواظبا على تحصيل العلوم بشتى أصنافها كالفقه وعلم الأصول والقراءات والحديث والأدب ، وألف الكثير من التآليف في فنون شتى منها كتاب " **وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم** "، وكتاب "**الأنوار السنية في الكلمات السنية** " و غيرها من الكتب .أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 509 وما بعدها ؛ **الكتيبة** ، ص 46 ؛ ابن الأحمر ، **نثير** ، ص 166 ؛ المقري ، **أزهار** ، ج 3 ، ص 185 ؛ ابن فرحون ، **المصدر السابق** ، ص 388 ؛ حياة كتاب ، **آراء ابن جزي الأصولية** ، رسالة ماجيستير ، كلية أصول الدين ، الجزائر ، 2001 ، ص 30 . 34 .

[2] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 510 ؛ المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 514 ؛ **أزهار** ، ج 3 ، ص 185 ؛ ابن فرحون ، **المصدر السابق** ، ص 388 .

[3] . ابن الأحمر ، **المصدر السابق** ، ص 166 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 516 .

إنّ المعاصِي رِجْسٌ لا يُطَهِّـرُها إلّا الصّوارمُ منْ أيمانْ كُفّـارِ [1].

ومن العلماء الشهداء أيضا في المعركة **عبد الله بن سعيد السلماني** [2](**672 . 741 هـ/ 1273 . 1340 م**) كان السلماني مسؤولا عن مخازن الطعام [3] في عهد الأمير أبي الوليد إسماعيل(713 هـ/ 1313م) ، وبقي في هذا المنصب إلى أن عينه الأمير أبي الحجاج يوسف (733 هـ/ 1332 م) وزيرا لخطة الإنشاء إلى جانب أبي الحسن بن الجياب[4]، ونال حظوة في الوزارة وانتقل هذا المنصب بعد وفاته لابنه لسان الدين [5].

استشهد عبد الله السلماني هو وابنه الأكبر في المعركة ، والرواية الوحيدة للحادثة أوردها ابنه لسان الدين بن الخطيب نقلا عن خطيب المسجد الأعظم الذي وصف له اللحظات الأخيرة لوالده قبل استشهاده " مررت بأبيك بعد ما تمت الكسرة ، وخذلت تلك الأسرة ، وقد كبا بأخيك الطرف " و على الرغم من استشهاد ابنه بقي عبد الله السلماني رابط الجأش صابرا محتسبا ولم يثنه ذلك بل زاده تصميما على نيل الشهادة [6].

فقد لسان الدين ابن الخطيب والده وأخيه معا في هذه المعركة فكانت محنة جديدة تضاف للمحن الأخرى التي عاشها ، و في ذلك يرثيهما :

سِهامُ المنَايا لا تطِيشُ ولا تُخْطِي وللأأأدَّهرِ كفٌّ تسْترِدُّ الذي تُـعْطِي

---

[1]. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 399 .

[2] ـ هو عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني يكنى أبا محمد أصله من لوشة ثم انتقل أهله إلى مدينة طليطلة و بعدها إلى قرطبة ، عرف أسلافه في مدينة قرطبة ببني وزير ، ولد السلماني في غرناطة سنة 672 هـ/ 1273 م ونشأ بنفس المدينة " تحت ترف ونعمة من جهة أمه وأبيه " .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 282 ؛ **الكتيبة** ، ص ص 279 . 280 ؛ المقري ، **نفح** ، ج 5 ، ص 17 .

[3]. ابن خلدون ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 440 .

[4]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 14 . 15 .

[5]. **نفسه** ، ج 4 ، ص 286 .

[6]. **نفسه** ، ص 288 .

وإنّا وإنْ كُنّا على ثَبَجِ الدُّنْيــا　　فلابدّ يومًا أنّ تحـلّ على الشّــطِّ

وسِيانٌ ذُلُّ الفقْرِ أو عِزَّةُ الغِـنَى　　و منْ أسْرِعَ السَّيْرَ الحَثِيثَ ومنْ يُبْطِ [1]

ومنهم أيضا **عبد الله بن علي بن سلمون الكناني** [2] **(669 . 741 هـ/ 1270 . 1340م)** واحد من علماء العربية والفقه والشورى خاصة في باب البيوع ، وكتب الشروط مدة بغرناطة [3] ، كان مؤثرا للعزلة و الخمول[4] استشهد ابن سلمون متأثرا بجراح أصابت صدره وأحدثت له نزيفا ، ورغم إصابته بقي يتحامل ، رابط الجأش حسب شهادة بعض الجنود " حدّث بعض الجند أنه رآه يتحامل ، وجرح بصدره يثعُب دما " [5].

ومنهم أيضا **مُحَّد بن أحمد بن علي الغساني** [6]**(ت 741 هـ/ 1340م)** ولم تذكر المصادر تفاصيل أكثر عن حادثة استشهاده[7].

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 292 .

[2] ـ هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عبد العزيز بن سلمون الكناني الغرناطي ، يكنى أبا مُحَّد ويعرف بابن سلمون ، من مدينة غرناطة ، درس على يد نخبة كبيرة من الشيوخ والعلماء في الأندلس و المغرب كما كانت له رحلة علمية إلى بلاد المشرق أخذ العلم على يد نخبة من العلماء هناك ، له عدة مؤلفات من بينها كتاب " **الشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة** " .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 315 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 219 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 434 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ،ص 315 .

[4] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ص 434 .

[5] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 321 .

[6] ـ هو مُحَّد بن أحمد ابن مُحَّد بن علي الغساني يكنى أبا القاسم ، يعرف بابن حفيد الأمين من سكان مالقة فقيه دأب على تدريس كتب الفقه منها كتاب الجواهر لابن شاس ،كان زاهدا في ملبسه وأكله سائرا على سنن الصالحين .أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 612.

[7] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 614 ؛ الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 35 ، ابن القاضي ، **درة** ، ج 2 ، ص 121.

و من العلماء الشهداء أيضا **محمد بن بكر بن سعيد الاشعري المالقي(674 . 741 هـ/ 1275 . 1340 م)** قاضي غرناطة [1] استشهد بالمعركة بعد سقوطه من على ظهر بغلة كـان يركبها وبعد استعادته لوعيه أشار عليه بعض رفاقه على الركوب مجدد لكنه لم يقدر على ذلك [2] وأخر كلمة قالها: " انصرف هذا يوم الفرج[3] في إشارة إلى قوله تعالى " فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ "[4].

و تضمن الجيش المريني أيضا جمعا من العلماء المغاربة من هؤلاء **أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله(ت 743 هـ/ 1342م)** هو وشقيقه **عيسى (ت 750 هـ/ 1349م)** وهما من علماء المغرب الأوسط [5] أبناء الإمام البرشكي ، رحلا معا إلى تونس و أخذا العلم هناك على يد نخبة من شيوخها ثم عادا إلى الجزائر و عملا في التدريس " وأقاما في الجزائر يبثان العلم" يتنقلان بين مليانة وتلمسان إلى أن دخل الأمير المريني أبو الحسن تلمسان سنة 737 هـ/1336م وهو هناك وصلته أخبارهما فاستدعاهما وقربهما إليه ، وعندما بدأت عملية الاستنفار لمعركة طريف كانا جنديين متطوعين ضمن جيشه [1] .

---

[1] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 91 .

[2] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 530 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 531 ؛ الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 34 .

[4] . سورة آل عمران ، الآية 170 .

[5] . أبو زيد هو الأخ الأكبر ، و هما من العلماء الفضلاء بالمغرب الأوسط رحلا إلى تونس ودرسا عند جمع من شيوخها كابن الجماعة وابن القصار والبطرني و الشيخ المرجاني ،كما كانت لهما رحلة إلى المشرق ، وعند عودتهما إلى المغرب درسا عند نخبة من شيوخها كالمقري و محمد الشريف التلمساني ، و ابن مرزوق الجد ، و سعيد العقباني ، لهما مؤلفات منها " **شرح ابن الحاجب الفرعي** " ، وعند تغلب الأمير المريني أبو يعقوب على تلمسان والمدن المجاورة لها أرسل عماله إلى هذه المدن و إلى مدينة مليانة وكان معهم الكاتب منديل الكناني تعرف عليهما و أعجب بهما و قربهما إليه لتدريس ولده محمد و بعد وفاة الأمير أبي يعقوب و استعادة ابي زيان بن يغمراسن تلمسان صلحا قام الكناني بزيارة للأمير أبي حمو و أثنى على الأخوين فأكرمهما الأمير الزياني و بنى لهما مدرسة بتلمسان و احتفظا بمكانتهما عند الأمير ابي تاشفين بعد وفاة الأمير أبو حمو إلى أن دخل الأمير أبي الحسن تلمسان فقربهما إليه هو أيضا ، توفي أبي زيد سنة 743هـ / 1342م أما شقيقه عيسى فتوفي في الطاعون الذي ضرب تلمسان سنة 750 هـ/ 1349م . أنظر ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 80 . 81 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 7 ، ص 315 ؛ الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 36 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 249 .

[1] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 80 . 81 .

و من المتطوعين في الجيش المريني أيضا **غالب بن علي بن مُحَّد اللخمي (741 هـ/ 1340م)** يكنى أبا تمام أصله من غرناطة ، كانت له رحلة علمية في شبابه إلى المشرق درس الطب في مدينة القاهرة ، ثم غادرها باتجاه مدينة فاس ودخل في خدمة الأمير المريني أبي حسن المريني حيث تولى خطة الحسبة في المدينة وكان واحدا من المتطوعين في جيش الأمير المريني لكن المنية وافته قبل الموقعة في مدينة سبتة " توفي في أوائل عام إحدى وأربعين وسبعمئة بسبتة عند حركة مخدومه إلى الجواز إلى الأندلس بقصد الجهاد " [1] .

و من علماء المغرب الذين استشهدوا في المعركة **ابن حزب الله أحمد بن مُحَّد الخزرجي (ت 741 هـ/ 1340م**) فقيه أصله من الأندلس اشتغل خطيبا ومقرئا ومدرسا بمدينة فاس ، استشهد في الموقعة ولم تذكر المصادر تفاصيل أكثر عن حادثة استشهاده [2] .

ومن الشهداء المتطوعين في الجيش المريني أيضا الكاتب **أبو عبد الله مُحَّد بن أبي زرع** [3] و هو واحد من قرابة علي بن عبد الله مؤلف كتاب " **الأنيس المطرب بروض القرطاس "**[4] .

و منهم أيضا **مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الملك** و هو ابن أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الملك القاضي بمدينة مراكش [5].

---

[1] . ابن القاضي ، **جذوة** ، ج 2 ، ص 506 .
[2] . الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 34 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 119 .
[3] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 118 .
[4] . ابن أبي زرع ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 6 .
[5] . ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 121 .

وعلماء آخرون استشهدوا في معارك متفرقة من هؤلاء : **ابن هانئ اللخمي (ت 733 هـ/ 1332 م)**[1] من علماء اللغة العربية " ريان من الأدب ، بارع الخط " [2] استشهد في معركة بجبل الفتح وقعت سنة 733 هـ/ 1332م أثناء الفتنة السائدة آنذاك بالمملكة [3] اغتنم النصارى الفرصة فخرجت جيوشهم أول شهر شعبان من سنة 732 هـ/ 1331م واحتلوا بعض المواقع والحصون من بينها جبل الفتح [4]، وعلى إثر ذلك أعلن الأمير مُحَمَّد الرابع (725 . 733 هـ/ 1325 . 1333 م) الجهاد وبدأت الاستعدادات للمواجهة ،كما طلب الدعم من المغرب فاستجابوا لطلبه [5] ، وكان ابن هاني اللخمي من العلماء الذين لبوا نداء الجهاد في هذه المعركة [6] .

قام المسلمون بحصار الجبل ومنازلة النصارى فحققوا انتصارات أصيب فيها الجيش الإسباني بخسائر كبيرة [7] تمكنوا على إثرها من استعادة جبل الفتح من الإسبان [8] ، لكن ابن هانئ لم يهنأ بهذا النصر فقد استشهد على إثر قذيفة منجنيق أصابته في رأسه أثناء المعركة [9] " أصيب بحجر دوم عليه

---

[1] . هو ابن هاني اللخمي السبتي يكنى أبا عبد الله ، والسبتي نسبة إلى مدينة سبته ، أصله من إشبيلية من بيت شهير الحسب والجلالة ويبدو أن أهله هاجروا إلى سبته واستقروا بها ، ثم غادروها إلى غرناطة عند وصول بنو الأحمر للحكم ،كان ابن هانئ من علماء اللغة العربية وقام بتأليف العديد من الكتب من بينها كتاب " **شرح التسهيل لابن مالك** " و كتاب " **الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة** "، وكتاب " **إنشاد الضوال وإرشاد السؤال في لحن العامة** " ، وكتاب " **قوت المقيم** "وغيرها من الكتب . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 778 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، 246 .

[2] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 778 .

[3] . في سنة727 هـ/ 1326م حدثت فتنة بين الوزير مُحَمَّد بن أحمد المحروق وبين شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلى فوقعت موجة من الاضطرابات في المملكة انتهت بمقتل الوزير مُحَمَّد بن أحمد المحروق سنة 729 هـ/1328 م ، فقام عثمان بن أبي علاء بقيادة الجيش . أنظر ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 80 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 34 .

[4] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 80 .

[5] . **نفسه** ، ص ص 80 . 81 .

[6] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 3 ، ص 779 .

[7] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 246 .

[8] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 35 .

[9] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 798 .

كالجارح المحلق ، وانقض إليه انقضاض البارق المتألق ، فاقتنصه ، واختطفه ، وعمد إلى زهره فقطفه"[1].

و استشهد في هذه المعركة أيضا **أحمد بن إبراهيم الأنصاري بن بصلة (733 هـ/ 1333م)** أصله من مدينة مالقة ، ثم انتقل إلى غرناطة قرأ الحديث وعقد الشروط في جامعها ، شارك ابن بصلة في المعركة وكان واحدا من شهدائها ، نقل ذلك ابن حجر العسقلاني و لكن يبدو أنه أخطأ في نقل السنة فقال" استشهد بظاهر جبل الفتح عام 734 هـ / 1333م"[2] .

ومن العلماء الشهداء في معركة أخرى **محمد بن عاصم** [3]**(ت 813 هـ/ 1410م)** يكنى أبا يحي الشهيد ، فقيه من فقهاء غرناطة من العائلات المعروفة في المجال العلمي والخدمة في بلاط بني الأحمر في الكثير من المجالات كالقضاء والكتابة وغيرها ، استشهد ابن عاصم في موقعة أنتقيرة Antequera في شهر محرم عام 813 هـ/ 1410 م[4] ، وقد وقعت المعركة في عهد الأمير يوسف الثالث (810 . 820 هـ/ 1408 . 1417م)[5] ، انهزم فيها المسلمون وضمت المدينة بعدها إلى مملكة قشتالة [6]،كانت معركة عنيفة " وقد طاشت الأحلام ودهشت الأعلام " يبدو أن ابن عاصم أصيب

---

1 . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج3 ، ص 780 .

2 . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 90 .

3 . هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم يكنى أبو يحي بن عاصم " عباب العلم متين الحفظ قوي المناظرة مديد التحصيل متسع المعرفة سديد الرواية متعدد الإفادة "كان صاحبا للإمام أبي إسحاق الشاطبي وورث عنه طريقته ، قام بتأليف كتب جزء كبير منها في الانتصار لشيخه الإمام الشاطبي ، والرد على الإمام أبي سعيد بن لب في الدعاء بعد الصلاة . أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 484 ؛ **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** ، تح محمد مطيع ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، 2000 ، ج 2 ، ص 121 .

4 . التنبكتي ، **نيل** ، ص484 .

5 . امتحن هذا الأمير من طرف أخيه الأمير محمد السابع ولم يطلق سراحه إلا بعد وفاة هذا الأخير ، فدخل غرناطة واستقبله الأهالي بالترحيب إذ كانوا يعلقون عليه آمالهم لأنه كان يتمتع بمزايا حسنة ، شهدت فترة حكمه مواجهات مع الإسبان ، توفي سنة 820 هـ/ 1317 م . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 43 .

6. Fernando rodrı´guez mediano , **The post–Almohad dynasties in al–Andalus and the Maghrib (seventh ninth/thirteenth fifteenth centuries)** , The New Cambridge History of Islam , 2011, p 134 .

برمح أثناء المعركة و هو يتقدم باتجاه الإسبان بدون ترس يحميه " فتركه و قد أقبل بوجهه على الكفرة القاصدة له يدافعهم بجهده ورماحهم تنوشه وانصرف عنه الحاكي فكان آخر العهد به "[1].

و من العلماء الذين استشهدوا في بعض الاشتباكات مع الإسبان **مُحَمَّد بن أحمد بن منخل الغافقي**[2] (**ت 762هـ / 1360م**) شاعر يحفظ أشعار الجاهلية ملم بالتواريخ والأمثال ، يعد واحدا من أعيان الأندلس " عين من أعيان الأندلس وصدرا من صدورها " ،كان له موقف مع الأمير الغني بالله (755 . 760 هـ / 1354 . 1359م) عند خلعه من منصبه ولجوئه إلى مدينة الوادي آش[3] فكان ابن منخل الغافقي واحدا من الذين قدموا العون والحماية له ، و ضبط البلد على دعوته إلى أن التحق الأمير بالمغرب " فكان زمان طريقه مفديا له بنفسه حتى لحق بمأمنه "[4].

اعتقل ابن منخل الغافقي بعد مدة هو وابنه ووضعا في السجن ، يقول العسقلاني أن ابن منخل الغافقي دخل في خدمة الأمير إسماعيل الثاني (760 . 761 هـ/ 1359 . 1360م)[5] مدة ثم غضب منه فأودعه السجن هو وابنه[6] وحسب ابن الخطيب محنته كانت مكيدة مدبرة " فشد عليه يد اغتباطه وأغرى به عقد ضنانته "ولم يذكر المزيد لكن من المرجح أن يكون للموضوع علاقة بمساندة

---

[1] . التنبكتي ، **نيل** ، ص 484 ؛ **كفاية** ، ج 2 ، ص 121 .

[2] . أورد العسقلاني ترجمة له تحت اسم ابن منجك الغافقي كنيته أبا بكر أصل عائلته من إشبيليا ثم انتقلوا إلى غرناطة ، سكن الغافقي مدينة وادي آش ، درس على يد نخبة من شيوخ وعلماء الأندلس منهم أبي عبد الله بن الفخار ،و أبي عبد الله الطرسوني، و كان جهوري الصوت . أنظر العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 317 ؛ ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص ص 435 . 436 .

[3] . ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 101 .

[4] . ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 437 .

[5] . لم يتمكن الأمير إسماعيل الثاني من الاحتفاظ بالحكم طويلا فقد انتهى بعد أقل من سنة بسبب سوء تسيير أمور المملكة و ميله للترف والسعي وراء الملذات ، قام بأمره ابن عم أبيه ثم فسد ما بينهما فقتله في الأخير أنظر .ابن الخطيب ، **اللمحة** ، ص 115 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 38 .

[6] . العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 317 .

ابن منخل للأمير المخلوع ، فقد ذكر ابن الخطيب أنه فعل ذلك غير آبه بمغبة عمله " وجعل حيل عدوه دبر أذنه " [1] فلما استقر الأمر للأمير الجديد جلبه لخدمته ثم امتحنه .

لا يعلم تاريخ الاعتقال لكن من المرجح أن يكون اعتقالهما مع نهاية سنة 761 هـ/1360م فقد ذكر ابن الخطيب في روايته أنهما سجنا ثم رحلوا مع جماعة إلى مدينة المنكب Almunecar في منتصف شهر محرم من سنة 762 هـ / 1360 م[2] ومكثوا فيها حوالي شهرين من منتصف شهر محرم إلى غاية العاشر من شهر ربيع الأول ، ثم نقلوا جميعا مصفدين إلى مدينة بجاية [3] فأقاموا فيها مدة " تحت بر وتجلة " ، ثم رحلوا مرة أخرى وهذه المرة باتجاه تونس ، و في الطريق وقعت لابن منخل و من معه محنة أخرى يوم الجمعة الثامن رجب من سنة 762هـ / 1360م [4] بالقرب من تكرنت قطع طريقهم أسطول العدو ووقعت بينهم معركة عنيفة ، استل ابن منخل سيفه وهو يردد " اللهم اكتبها لي شهادة " و بقي يقاتل حتى استشهد و أسر من كانوا معه و لم يطلق سراحهم إلا بعد مدة في مدينة عنابة بالمغرب الأوسط [5].

ثانيا . الأسر :

وامتحن جمع من العلماء بالأسر من طرف الإسبان من هؤلاء **إبراهيم بن عبد الله بن الحاج** [6] **(713 . 765 هـ/ 1313 . 1355م)** كان ابن الحاج شاعرا وأديبا ، تمكن من إثبات قدراته في

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 437 .

[2] . **نفسه** ، ص 438 .

[3] . مدينة ساحلية تقع ما بين إفريقية و المغرب ، بناها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين حوالي سنة 457 هـ/ 1065 م كانت في القدم ميناء ثم تم بناء المدينة في الموقع . أنظر الحموي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 339 .

[4] . يبدو أن العسقلاني إلتبس عليه الأمر فأخطأ في ذكر السنة التي استشهد فيها الغافقي و أسر من معه فقال أن الحادثة كانت سنة 702 هـ/ 1302م ثم تخلصوا من الأسر وعاش ابنه إلى غاية سنة 762 هـ/ 1360م أنظر العسقلاني ، **المصدر السابق** ،ج2 ، ص317 .

[5] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 438 .

[6] . هو إبراهيم بن عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن قاسم النميري يكنى أبا اسحاق ، ويعرف بابن الحاج ، ولد في غرناطة سنة 713 هـ/ 1313 م ، من بيت نبيه في غرناطة فأبوه صدرا من صدور المستخدمين تولى الأشغال بها ثم بسبتة عندما تغلب عليها بنو الأحمر ، وصفه مخلوف بقوله " الكاتب البليغ العلامة المتفنن الرحلة المحدث الرواية الفهامة "، ألف ابن الحاج مجموعة من الكتب منها كتاب " **المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة** " ، و " **إيقاظ الكرام بأخبار المنام وتنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح** "، وكتاب " **الوسائل**

الأدب شعرا ونثرا ، ويبدو أن موهبته هذه هي التي رشحته للتعيين في خطة الإنشاء سنة 734هـ / 1333م وحصل على حرية كبيرة وإطلاق يد وظهور كفاية أثناء أدائه لعمله [1].

و رغم نجاحه في أداء مهامه لم يستمر في خطة الإنشاء إلا فترة وجيزة فاختار السفر في رحلة علمية طويلة طاف فيها بين المدن المشرقية والمغربية ، ونال في سفره حظوة وترحيب كبير أرجعه ابن الخطيب إلى أشعاره التي كان يمتدح فيها على ما يبدو أمراء وحكام هذه البلدان " محرّكا إياها بشِعره ، هازّا أعطافها بأمداحه " [2].

كانت انطلاقته من الأندلس سنة 737 هـ/ 1336م قاصدا بلاد المشرق زار عدة مدن ثم غادر متجها إلى إفريقية ، استقر ببجاية وعين في خطة الإنشاء هناك ، ومنها انتقل إلى المغرب ودخل في خدمة الأمير أبي الحسن المريني ولم تكن إقامته طويلة في المغرب أيضا فما لبث أن عاد مرة أخرى إلى المشرق ، ثم غادرها متجها إلى تلمسان منقطعا إلى تربة الشيخ أبي مدين ليعود مرة أخرى إلى المغرب و عمل هذه المرة كاتبا لدى الأمير المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني (749 . 759 هـ/ 1348 . 1358 م) ، وبعد وفاة الأمير المريني غادر ابن الحاج المغرب إلى الأندلس[3] " وكتب عن الملوك وكتم ، وطبع وختم ، ثم قفل قفول اللواء الظافر ، بالغنم الوافر " [4] وكأن ابن الحاج كان في مهمة خاصة ربما سرية لذلك لم تذكرها المصادر وما يدعم هذه الفرضية هو التنويه والعناية التي حصل عليهما من الأمير مُحَمَّد الخامس (762 . 794 هـ/ 1361 . 1392 م) عند رجوعه للأندلس ، كما

ونزهة المناظر والخمائل " ، و " **الزهرات وإجالة النظرات** " . أنظر ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 688 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 329 ؛ العسقلاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 28 . 29 ؛ ابن القاضي ، **جذوة** ، ج 1 ، ص 91 .

1. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 683 .
2. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 684 .
3. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 684 . 685 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 46 .
4. ابن الخطيب ، **الكتيبة** ، ص 260 .

حصل على جراية وعين في عدة مناصب كان أولها قاضيا في الأحكام الشرعية ثم سفيرا عند الملوك و الأمراء [1].

كانت أول سفارة لابن الحاج باتجاه مدينة تلمسان لمقابلة الأمير الزياني أبي حمو بن زيان وأثناء سفره التقى بسفن العدو بأحواز جزيرة حبيبة بالقرب من وهران فأسر هو ومرافقيه بعد قتال شديد ، وقعت هذه الحادثة حسب ابن الخطيب سنة 768 هـ/ 1366م واستدل لذلك برسالة أرسلها ابن الحاج للأمير مُحَمَّد الخامس "اعلموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى أن سفرنا من ألمرية كان في يوم الخميس السادس لشهر ربيع الآخر من عام ثمانية وستين وسبعمائة وتغلب علينا العدو في عشية يوم الجمعة الثاني منه " [2] .

أثارت حادثة أسر ابن الحاج حزنا كبيرا عند وصول الخبر إلى مملكة بني الأحمر[3] لكن محنته لم تدم طويلا إذ تخلص منها مع نهاية الشهر ربيع الآخر وكانت للأمير جهودا حثيثة لتخليصه من الأسر إذ قرر إرسال أسطول لإنقاذه من يد العدو، ثم وقعت هدنة بين الطرفين أفضت إلى التفاوض وانتهت هذه المفاوضات بالاتفاق على دفع فدية لإطلاق سراحه بلغت "سبعة آلاف من العين " ، فتخلص من المحنة بعد أيام قليلة وعاد إلى المملكة، و قام الأمير بتكريمه و تعويضه " وعاد فتولى السلطان إرضاءه عما فقد ، وضاعف له الاستغناء وجدد " وكانت أحاديثه بعد التخلص من هذه المحنة كلها عن خلاصه من محنته ودور الأمير في ذلك ، ونظم الشعراء قصائد للاحتفال بعودته سالما إلى المملكة منهم ابن الخطيب يقول في بعض الأبيات :

خَلَصْتَ كما خَلَصَ الزِّبْرَقَانُ و قَدْ مَحَقَ النُّورُ عنْه السّرار

---

[1]. ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج 1 ، ص 685 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 46 . 47 .
[2]. ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 720 .
[3]. **نفسه** ، ص ص 719. 720 .

و في السّـــــيقِ و الــــرّارِ   في هذا سِـــرٌّ فيّ ذا أسْـرَار [1]

ومن العلماء الذين امتحنوا بالأسر أيضا **محمَّد بن عبد الرحمن الكرسوطي**[2] فقيه ومحدث أصله من مدينة فاس " عديم القرين "كان قدومه إلى الأندلس سنة 722 هـ/ 1322م واستقر في مدينة مالقة ، اشتغل هناك مقرأً وبقي على هذا الحال مدة إلى غاية 725 هـ/ 1325م ، بعدها استقر في غرناطة وتمكن من إقامة علاقات مع " أرباب الأمر " لا ندري إن كان الأمير محمَّد الرابع (725 . 733 هـ/ 1325 . 1333م) أو واحد من رجاله تمكن خلالها من الحصول على سكن وعقار في مالقة ، وعين خطيبا بمسجد القصبة ونال شهرة واسعة بالحفظ والاستظهار لفروع الفقه[3].

وقع أبو عبد الله الكرسوطي بالأسر وهو يعبر بحر الزقاق قادم إلى الأندلس مرفوقا بجملة من الفضلاء منهم والده [4]، المعلومات عن محنته هذه قليلة فلم تذكر المصادر السنة التي أسر فيها ،كما لم تذكر المدة التي قضاها في الأسر ، قد تكون الحادثة وقعت بعد سنة 726 هـ/ 1325م وهي السنة التي استقر فيها الكرسوطي بجزيرة طريف ، وتمكن من الخلاص من محنته بعد اطلاق سراح والده " ثم سرح والده ، لمحاولة فكاك نفسه ، و فك ابنه "[5] ويبدو أنه دفع للمختطفين فدية لتحرير نفسه وابنه وهي الغاية التي أطلق سراحه من أجلها.

---

[1] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 720 .

[2] . هو محمَّد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي الكرسوطي يكنى أبا عبد الله ، ولد سنة 690 هـ / 1291م " ، أصله من مدينة فاس بالمغرب و هاجر إلى الأندلس و استقر بمدينة مالقة ، سبب مغادرته لوطنه يقول ابن الخطيب : " لتوفر الحمل عليه من الخاص والعام " ، له عدة مؤلفات من بينها " **الغرر في تكميل الطرر**" ، وكتاب " **الدرر في اختصار الطرر** " وتقيدان على الرسالة واحد كبير والآخر صغير ، وعنده تلخيص لكتاب " **التهذيب لابن بشير** " وغيرها من الكتب . أنظر ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 750 وما بعدها ؛ المقري ، **نفح** ، ج 6 ، ص 97 ؛ ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 221 . 222 .

[3] . ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 750 وما بعدها .

[4] . **نفسه** ، ص 750 .

[5] . **نفسه** .

ثالثا . محنة سقوط غرناطة و نهاية حكم المسلمين في أوروبا 897 هـ / 1492م :

أ / أسباب السقوط :

انتهى حكم المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية نهائيا سنة (897 هـ/ 1492م) باستلاء النصارى على مملكة غرناطة آخر إمارة إسلامية والتي كانت تضم بضع مدن فقط غرناطة ، مالقة ، بسطة ، فسقوط غرناطة كان السقوط النهائي للأندلس ، فقد كانت بداية السقوط الحقيقية قبل ذلك بقرون أي منذ سنة 478 هـ/ 1085م عندما سقطت مدينة طليطلة (Toledo) في يد الإسبان ، وعلى الرغم من انتصار المرابطين في معركة الزلاقة بعد ذلك ومحاولاتهم استرجاعها ألا أن كل محاولاتهم باءت بالفشل ، وبعدها توالى سقوط المدن الواحدة تلو الأخرى ولم تبقى إلا مملكة غرناطة في الجنوب الشرقي[1]، وبعد حصار طويل وسعي حثيث لاحتلالها من طرف الإسبان استسلمت المملكة وبدأت محنة الشعب الأندلسي بكل أطيافه.

ويمكن أن نجمل أسباب سقوط مملكة غرناطة فيما يلي : **أولا** : المنافسة على كرسي العرش بين أمراء بني الأحمر وانتشار الفتن والاضطرابات بسبب ذلك [2]خاصة في السنوات الأخيرة من عمر المملكة ، ففي سنة 868 هـ/ 1463م اعتلى عرش غرناطة الأمير أبو الحسن علي ابن سعد بعد خلعه لوالده الأمير سعد بن إسماعيل (858 . 868 هـ/ 1454 . 1464م) [3]، وتمكن الأمير الجديد من

[1] . يحياوي ، **المرجع السابق** ، ص ص 25 . 26 .

[2] . نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري ، **الصراع بين أبناء يوسف الأول و أثره في إضعاف مملكة غرناطة** ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد الخامس عشر ، 1996 ، ص 288 و ما بعدها بعدة صفحات .

[3] . هو الأمير سعد بن إسماعيل النصري تميز عهده بانتشار العدل و الأمن وقام بتحصين البلاد ، لكن ذلك لم يدم طويلا فقد شهدت فترة حكمه اشتداد الهجومات الإسبانية على مدينة مالقة و لم تنتهي إلا بعد دفعه لمبلغ عشرة آلاف من الفضة وإطلاقه سراح ستمائة أسير ، ثم عاد الخطر الإسباني مرة أخرى سنة 866 هـ/ 1462م وهذه المرة قاموا باحتلال جبل طارق و قطعوا بذلك طرق الإمداد من المغرب إلى الأندلس ، و انتشرت الاضطرابات الداخلية فانتهى حكمه بسجنه إلى غاية وفاته سنة 868 هـ/ 1464م . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 46 .

بسط سيطرته والتحكم في زمام الأمور [1] ودانت له جميع بلاد الأندلس ولم يبق له فيها معارض بعد خطوب وأحداث ومواجهات جرت له مع أبيه ومع قادة الجيش بعد موت أبيه[2] .

وعاد الانشقاق مرة أخرى هذه المرة بين أبناء الأمير أبي الحسن فقد كان له ولدان مُحَمَّد ويوسف من زوجته عائشة ابنة عمه الأمير أبي عبد الله الأيسر لكنه كان يميل إلى زوجته الرومية التي كان له منها بعض الأبناء " وكانت حظية عنده مقدمة في كل قضية " ووقع الانقسام والتعصب بين رجال البلاط فمال بعضهم لأبناء الحرة ، ومال البعض الآخر لأبناء الرومية [3] .

و في سنة 891 هـ/ 1486م قامت الحرب بين الأميرين أبو عبد الله المعروف بالزغل (890 . 892 هـ/ 1485 . 1487 م)[4] وابن أخيه أبي عبد الله الصغير[5] (792 . 797 هـ/ 1487 . 1491 م) ودامت من ثالث شهر ربيع الأول إلى غاية منتصف شهر جمادي الأول من نفس العام[6]، استقبح المقري ما قام به الأميران ويذكر أن الإسبان استغلوا هذه الفتنة لمهاجمة المسلمين " ويكونون يدا واحدة على عدو الدين ، وبينما هم في هذا إذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد " [7].

---

[1] . حتاملة ، **المرجع السابق** ص ص 602 . 603 .

[2] . مؤلف مجهول ، **نبذة العصر في أخـــبار ملوك بني نصر** ، تح ألفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، 2002 ، ص 2 .

[3] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 513 .

[4] . افتك الحكم من أخية أبي الحسن سنة 890 هـ/ 1485 م وكانت فترة حكمه مليئة بالفتن فانقسمت البلاد إلى شطرين حكم هو جزء والجزء الأخر كان تحت حكم ابن أخيه أبو عبد الله ابن أبي الحسن المكنى بالصغير . أنظر المقري ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 511 ؛ **أزهار** ، ج 1 ، ص 68 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 51 .

[5] . هو أبو عبد الله مُحَمَّد آخر أمراء بنو الأحمر حكم جزء من الأجزاء الشمالية و الغربية من مملكة غرناطة أما الأجزاء الشرقية والجنوبية فكانت تحت حكم عمه الأمير أبو عبد الله الزغل ، في عهده تم حصار غرناطة من طرف الملك فرناندو والملكة إيزبيلا ودام الحصار سبعة أشهر كاملة عانى خلالها الأندلسيون الجوع ، وتفشت الأمراض فاتفق مع أعيان غرناطة على تسليم المدينة للإسبان ، و توقيع المعاهدة في 897 هـ/ 1491م وانتهى الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية . أنظر شكري ، **المرجع السابق** ، ص 51 وما بعدها .

[6] . المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص ص 516. 517 .

[7] . **نفسه** ، ص 517 .

أما **السبب الثاني** : فكان ميل الأمراء للترف والسعي وراء الملذات فقد مال الأمير أبو الحسن بعد مضي فترة من حكمه إلى إشباع النزوات و الشهوات واللهو مع النساء وجلسات الطرب ونسي أمور الحكم وركن إلى الراحة ، بالإضافة إلى إغفال أمور الجند وإثقال الناس بالمغارم والضرائب ومكس الأسواق ونهب الأموال[1] ، ولم يكن الأمير أبو عبد الله الصغير أحسن من والده فعلى الرغم من قوته العضلية وممارسته لأصناف من الرياضات المنتشرة آنذاك إلا أنه عزف عن القتال والحروب ، فانتشرت الإشاعات لتؤكد ميله إلى الحرير والنعيم في قصر الحمراء الذي كان يفضله عن المخيمات في الجبال[2].

و السبب الثالث : هو استعانة أمراء بني الأحمر بملوك قشتالة للقضاء على خصومهم إذ يقول المقري : " ولا خفاء بما كان لملوك المسلمين بالأندلس والعدوة على النصارى . دمرهم الله . من الاستطالة والغلبة حتى وقع التخاذل والتدابر فانعكس الأمر " [3].

أما السبب الرابع : فهو عدم وصول الدعم و المدد من العدوة خاصة في فترة الحصار المفروض على غرنـــاطة ، يقول مؤلف مجهول بـــأن الأندلسيين طلبـــوا العون والمساعدة من الاشقاء بالعدوة لكنهم لم يحصلوا على ذلك : "إن إخواننا المسلمين من أهل عدوة المغرب بعثنا إليهم فلم يأتنا أحد منهم ولا عرج على نصرتنا وإغاثتنا " [4].

وكان فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية سنة 858 هـ/ 1453م من طرف مُحَمَّد الفاتح وبداية إنتشار الإسلام في الجنوب الشرقي لأوروبا بمثابة جرس الإنذار الذي هز أركان أوروبا بأسرها وجعل الأوربيين يعدون العدة للانتقام من المسلمين فكانت مملكة غرناطة هي الأنسب والأقرب للنيل منها [5].

---

[1] . مجهول ، **المصدر السابق** ، ص 5 ؛ شكري ، **المرجع السابق** ، ص 48 .

[2] . إيرفينغ ، **المرجع السابق** ، ص 120 .

[3] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 61 .

[4] . مجهول ، **المصدر السابق** ، ص 40 .

[5] . عبد الحكيم الذنون ، **آفاق غرناطة** ، دار المعرفة ، دمشق ، 1988 ، ص 45 .

وبينما كان أمراء بني الأحمر يتناحرون على كرسي العرش ويغرقون في اللهو والمجون كان الإسبان يعلنون وحدتهم ويعدون العدة للاستلاء على ما تبقى من المدن الأندلسية ، فبعد وفاة ملك إمارة قشتالة هنري " Henry "سنة 1474م تربعت أخته إيزابيلا Isabella على العرش بعد معارضة النبلاء لاعتلاء ابنته خوانا ، وكانت إيزابيلا قد تزوجت سنة 1469م من ابن عمها فرناندو Fernando [1] الذي بدوره تمكن من الحصول على عرش إمارة أراجون Aragónسنة 1479م بعد تنازل والده خوان الثاني Juan II عن العرش بعد بلوغه الثمانين من عمره وفقدانه لبصره ، وهكذا اتحدت مملكتا قشتالة وأراجون وبدأ فرناندو وإيزابيلا العمل على توحيد إسبانيا[2] ، وأعطوا لحربهم مع المسلمين الصبغة الدينية [3].

ب . حصار غرناطة و توقيع معاهدة التسليم :

كثف الإسبان هجوماتهم مع منتصف القرن 9 هـ / 15 م وبدأت المدن و المواقع تسقط في أيديهم الواحدة تلو الأخرى ، بداية بجبل الفتح Jabal al fath سنة 866 هـ/ 1461م ، ثم الحمة Alhama 887 هـ/ 1482 م، ثم مدينة مالقة سنة 892 هـ/ 1486م ، ولم تكد تصل سنة 895 هـ/ 1489م حتى بسط النصارى يدهم على أغلب مدن الأندلس[4] و بقيت مدينة غرناطة لوحدها تواجه مصيرها المحتوم فقام النصارى بحصارها لأكثر من سنة ، وأمرت الملكة ايزابيلا ببناء معسكرات للجنود[5] بدل الخيام حتى تضعف معنويات المسلمين وتثبت لهم أنهم جاؤوا هذه المرة ولن يعودوا

---

[1]. عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 176 .

[2]. **نفسه** ، ص 180 .

[3]. بروفنسال ، **المرجع السابق** ، ص 120 .

[4]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 66 .

[5]. كان المسلمون يعتقدون أن الإسبان سيرفعون الحصار بمجرد انتهاء الصيف و اقتراب فصل الخريف كما جرت العادة لكن هذه المرة أعطى الملكان الإسبانيان الأوامر لبناء مدينة بدل الخيم و تم تكليف تسع بلديات إسبانية للقيام بهذه المهمة وبعد الانتهاء من بنائها أطلقت عليها الملكة إيزابيلا اسم " **القديسة في** " أي مدينة الإيمان المقدس و بقيت هذه المدينة قائمة بعد نهاية الحرب. أنظر إيرفنغ ، **المرجع السابق** ، ص 395 .

أدراجهم إلا وغرناطة تحت سيطرتهم "...وعدونا قد بنى علينا وسكن وهو يزداد قوة ونحن نزداد ضعفا"[1].

وفي الأخير استسلم الأندلسيون ووقع الأمير أبو عبد الله الصغير مع الملكان الإسبانيان فرناندو وإيزابيلا معاهدة التسليم [2] في 25 نوفمبر 1491، تضمنت هذه المعاهدة مجموعة من الشروط [3] التي تعهد الملكان باحترامها أهمها حماية المسلمين واحترام معتقداتهم[4] .

وأحدث سقوط غرناطة صدى هز العالم الإسلامي بأسره واعتبرت نكبة جديدة أضيفت إلى النكبات السابقة ، وأيام الفاجعة كان الأندلسيون يلقون قصيدة أبي البقاء الرندي لاستنهاض همم الملوك بالمغرب والمشرق .

لكلّ شَيئ إذا ما تمَّ نُقْصـانُ　　فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العيْشِ إنْسانُ
هيَ الأُمُورُ كما شَهِدْتَهَا دُوَلُ　　منْ سرَّهَ زَمــنٌ سَاءَتْهُ أزْمانُ

ورغم أنها نظمت قبل سقوط غرناطة إلا أنهم وجدوا أبياتها تعبر عن ما كان يختلج صدورهم من ألم فأضافوا عليها بعض الزيادات فيها ذكر لبعض المدن التي استولى عليها النصارى بعد وفاة الشاعر أبي البقاء الرندي كغرناطة وبسطة و غيرهما [5].

---

[1]. مجهول ، **المصدر السابق** ، ص 40 .
[2]. **أنظر الملحق رقم : 06** .
[3]. بعد مرور سبعة أشهر من الحصار قرر أهل غرناطة التفاوض مع الملكان الإسبانيان وتم اختيار الوزير أبو القاسم عبد الملك أما الإسبان فقد أوكلوا المهمة لكل من فرناندو دي زفيرا وجونز الفو دي كوردوبا لإتقانه اللغة العربية وشؤون المسلمين بمملكة غرناطة ، وجرت المفاوضات في سرية تامة و استمرت لمدة طويلة اتفق الطرفان في النهاية على توقيع المعاهدة في شهر محرم من سنة 897 هـ / نوفمبر من سنة 1491م أنظر يحياوي ، **المرجع السابق** ، ص ص 37 . 38 .
[4]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 67 .
[5]. المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص 488 .

رابعا . جهود العلماء الاندلسيين في الدفاع عن مملكة غرناطة :

1 . طلب العون و المساعدة :

اختلفت ردود فعل العلماء في هذه الظروف العصيبة فمنهم من اختار السفر ما بين المدن المغربية و المشرقية طلبا للدعم المادي والعسكري ومن هؤلاء أبو**عبد الله بن الأزرق** (**ت 895 هـ/ 1489م**) [1]شغل منصب قاض في عهد الأمير سعد بن إسماعيل بن نصر (858 . 868 هـ/ 1454 . 1464 م) وبقي في هذا المنصب لمدة طويلة منتقلا بين مدن مالقة ، وادي آش ، وغرناطة [2] .

سافر ابن الأزرق لعدة بلدان في المغرب والمشرق ، وجاءت تحركاته بعد اشتداد الهجومات الإسبانية ولا ندري إن كان ابن الأزرق في سفارة رسمية أم مجرد مبادرة شخصية ؟ في الرواية التي جاء بها السخاوي قال بأنه أرسل من طرف الأمير أبي عبد الله المعروف بالزغل ، فلما توفي الأمير أبو الحسن وتولى الحكم بعده انتقل إلى مدينة وادي آشي فكان من بين مرافقيه ابن الأزرق ، ومن هناك أرسله طلبا للعون وكانت محطته الأولى المغرب الأقصى حيث التقى بالأميرين أبي عمرو وعثمان بن مُحَّد بن أبي فارس لكنه لم ينل مراده إذ ما لبث الأمير أبو عمرو أن توفي ، فغادر ابن الأزرق المغرب وهذه المرة متوجها إلى مكة للحج سنة 895 هـ/ 1489م وبقي مدة أربعة أشهر في المدينة وشهرين في مكة ومن هناك انتقل إلى مصر وفيها تم ترشيحه لتولي منصب القضاء في القدس فقبل بالمنصب

---

[1] - وهو مُحَّد بن علي بن القاسم بن مسعود أبو عبد الله الأصبحي وهو معروف بالأزرق أصله من مدينة غرناطة لكنه ولد بمدينة مالقة ونشأ بها ، درس على يد جملة من شيوخها وكان ملازما لمفتي غرناطة إبراهيم بن أحمد بن فتوح ،كما كان دائم الحضور في مجالس العلماء كالمفتي أبي عبد الله بن مُحَّد السرقسطي ، والخطيب أبي فرج عبد الله بن أحمد البقني ، وقاضي الجماعة أبي العباس بن أبي عبد الله التلمساني وغيرهم ، ألف ابن الأزرق مجموعة من الكتب منها " **بدائع السلك في طبائع الملك** " يقول المقري أنه كتاب مفيد لخص فيه ما جاء في كتاب المقدمة لابن خلدون وأضاف عليه بعض الإضافات وكتاب آخر بعنوان " **روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام** " في مجلد ضخم أنظر السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 9 ، ص 20 . 21 ؛ المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 699 .

[2] . السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 9 ، ص 21 .

وسافر لتسلم مهامه ، وبقي في منصبه لغاية وفاته بعد سنة 895 هـ/ 1489 م، ولم يذكر السخاوي أنه طلب المساعدة من السلطات المصرية [1].

لكن المقري أورد رواية أخرى غير التي جاء بها السخاوي يقول فيها أن ابن الازرق قصد مدينة تلمسان ولم يذكر شيئا عن الشخصيات التي قابلها هناك ، و ركز أكثر على رحلته لمصر وقال بأن ابن الأزرق قابل السلطان قايتباي وطلب منه التدخل لنجدة الأندلس ولم يكلل طلبه بالقبول " فكان كمن يطلب بيض الأنوق ، أو البيض العقوق " ، ثم سافر لأداء فريضة الحج وعاد مرة أخرى لمصر وجدد طلبه مرة أخرى لكن هذه المرة أبعدوه عن مصر بتنصيبه قاضيا في بيت المقدس [2].

2 . الهجرة :

وعلماء آخرون آثروا الهجرة والابتعاد عن خطر الإسبان و هجماتهم المتكررة ، وقد بدأت هجراتهم قبل عقود من سقوط غرناطة وأخذت تزداد شيئا فشيئا إلى غاية تغلب الإسبان على المملكة ، و استمرت بعد ذلك ، و يمكن تقسيم هجرة العلماء الأندلسيين في القرن 9 هـ / 15 م إلى ثلاثة مراحل : المرحلة الأولى كانت عند استفحال الضعف وتفشي الاضطرابات والفتن بين سنوات 850 . 880 هـ/ 1446 . 1475م ، و الثانية بدأت مع اشتداد هجمات النصارى على المملكة واستيلائهم على بعض المواقع و المدن و اقتراب الخطر من عاصمة المملكة من 880 . 897 هـ/ 1475 . 1492م، أما **المرحلة الثالثة** فكانت بعد سقوط غرناطة ونهاية حكم المسلمين في الأندلس ، واختلفت وجهة العلماء منهم من قصد بلاد المشرق ، وأكثرهم توجهوا صوب المدن المغربية كتلمسان وفاس ومكناس وتونس ربما لأنها الأقرب جغرافيا وثقافيا لبلادهم .

---

[1] . السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 9 ، ص 21 .

[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 702 .

أ / الحواضر المغربية :

. مدينة تلمسان :

الشاعر **أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي** أصله من مدينة الوادي آشي ونشأ بغرناطة ، غادرها بعد سقوطها في يد الإسبان واستقر في مدينة تلمسان ، جمعته مصاهرة مع عائلة بني مرزوق لكن زواجه لم يستمر طويلا ، و لامه الناس على طلاقه لزوجته لأنه حظي في كنف عائلة بني مرزوق بالعناية فكتب أبياتا رد فيها على منتقديه :

يَلُومُني الأقْوامُ مِنْ بعدِ ما سَطا علِيَّ ابنُ مَرْزُوق و منْ بإنْفَاقِ

فقُلْتُ لهم كُفُّوا الملامَ فإنّني تركْتُ ابنَ مَرْزوقَ و أمَّمْتُ رَزّاقِي [1]

وامتهن الوادي آشي أثناء إقامته بتلمسان مهنة النسخ وكان كثير التقييد يقول المقري " إني رأيت في خزائن أهل تلمسان بخطه نحو المئة سفر، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة " [2] لكن يبدو أن إقامته بتلمسان لم تكن سهلة ولم يجد من يعينه على غربته ، وربما امتحن من طرف حكامها ونستشف ذلك من خلال بعض الأبيات فمرة يشكو آلام الغربة والبعد عن الوطن :

غرِيبٌ في تلمِسانَ وَحِيدٌ مِنَ الأحْبَابِ ليْسَ لهُ مُشَاكِلْ

وكمْ فيها منَ الأصْحابْ لكنْ عَدْمْتُ بها المناسِبَ والمَماثلْ

وفي أبيات أخرى يقول بأن تلمسان لا تليق به بسبب فساد حكامها الذين وصفهم باليهود والفجار:

تِلِمْسَانُ أرْضٌ لا تَليقُ بحَالِنَا ولكنْ لطْفَ اللهِ نسْأَلُ في القَضَا

[1] . المقري ، **أزهار** ، ج 3 ، ص 305 . 306 .
[2] . **نفسه** ، ص 308 .

وكَيْفَ يُحِبُّ المَرْءُ أرْضًا يَسُوسُهَا يهودُ وفُجَّارُ ومنْ ليسَ يُرْتَضَى [1].

ومن العلماء الذين استوطنوا تلمسان أيضا علي بن **أحمد بن داود أبو الحسن البلوي** [2] غادر البلوي الأندلس هو وأبناءه الثلاثة قبل سقوط غرناطة وعندما رأوا استطالة العدو عليها قرروا الاستقرار نهائيا في تلمسان بعد سنة 890 هـ/ 1485م [3] أي قبل سبعة سنوات من سقوط غرناطة ، ويؤكد ذلك ابن غازي الذي أورد رسالة أرسلها له البلوي من تلمسان سنة 896 هـ/ 1490م " يستجيز فيها أعلام مدينة فاس لنفسه ولبنيه الثلاثة المذكورين ولمن هو الآن موجود من قرابته " [4] ، وفي رواية مخلوف بقي البلوي في تلمسان للدراسة و غادر بعدها باتجاه المشرق ولم يذكر وجهته بالضبط [5] .

. مدينة فاس :

ومن العلماء الذين توجهوا صوب المدن المغربية **أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المعروف بالدقون** (**ت 921 هـ/ 1515م**) تتلمذ في الأندلس على يد الشيخ المواق وروى عنه فهرسته وبعد هجرته واستقراره بمدينة فاس أصبح خطيبا بجامع القرويين [6] وواحدا من أكبر العلماء بمدينة فاس " الخطيب بجامع القرويين الرواية العالم بجميع العلوم الفقهية " [7]

[1] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص ص 307 . 308 .

[2] . أصله من مدينة وادي آش ، كان مولده على الأرجح بين سنة 834 هـ/ 1430 م أو 836 هـ/ 1432م ، يقول السخاوي " هو الآن في سنة ست وتسعين لم يكمل الستين "، من علماء الفقه واللغة العربية ، درس على يد إبراهيم بن الفتوح و محمد السرقسطي ، واشتغل البلوي بالتدريس والإمامة والخطابة بجامع مدينة الوادي آش ، كما تولى منصب الإمامة و القضاء بمسجد غرناطة الأعظم . أنظر السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 167 ؛ التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 341 .

[3] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 341 .

[4] . ابن غازي ، **فهرس ابن غازي** ، تح محمد الزاهي ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1979 ، ص ص 32 . 33 .

[5] . مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 395 .

[6] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 136 .

[7] . مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 399 .

لا نعلم السنة التي هاجر فيها الدقون من الأندلس فلم تذكر المصادر شيئا عن ذلك ، و هل كانت هجرته لبلاده قبل سقوطها في يد الإسبان أم بعدها ؟ أورد المقري قصيدة مؤثرة له تضمنت وصفا دقيقا للمحنة وكل الأحداث التي جرت بعد ذلك وكأنه كان موجودا أثناء سقوط غرناطة ، القصيدة بعنوان "**الموعظة الغراء بأخذ الحمراء** "بدأها الدقون بقوله : " انه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء بأخذ الحمراء ، قرعت باب الندبة ، لما تقدم من الصحبة ، فقلت أبياتا صدرت من قلب كئيب مبكية كل لبيب أريب وسميتها بالموعظة الغراء بأخذ الحمراء " ثم أتبعها بقصيدة طويلة تجاوزت الخمسون بيتا :

ولا ابْتُلِيتُ بما في القلبِ مِنْ نَكَدٍ   فالجِسْمُ مُشْتَغِلٌ مِنْ غيرْ أشْـغالِ
وكيف لا وبِقاَعُ الدِّينِ خَالِيَـــةٌ   مِنْ أرْضِ أنْدَلُسٍ مِنْ أجْلِ أهْوالِ[1]

و في أبيات أخرى يتحسّر على الحالة التي آلت إليها مساجد غرناطة بعد نقض الإسبان لمعاهدة الاستسلام وصدور قرار التنصير :

فلا المساجدُ بالتّوحِيدِ عامِرَةٌ   إذْ عَمَرُوهَـــا بناقُوسٍ وتمْثَالِ
ولا المنابرُ للوُعَّاظِ بـــارِزَةٌ   للأمْرِ والنَّهْيِ أو تذْكِيرِ آجَـالِ

كما تحدث عن الغزو الإسباني لسواحل بلاد المغرب محذرا أهالي مدينة فاس من هذه الهجومات ويحثهم لأخذ الموعظة لما حصل لغرناطة وأهلها ، ما يرجح كتابته لهذه القصيدة أثناء أو بعد سقوط المدن الساحلية لبلاد المغرب في يد الإسبان [2] :

---

[1]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 104 .

[2]. بدأ الغزو الإسباني لسواحل بلاد المغرب سنة 911 هـ / 1505 م بسقوط قاعدة المرسى الكبير ،ثم احتلت مدينة مليلية المغربية و في سنة 914 هـ/ 1508م احتل الإسبان حجر بادس و في السنة الموالية 915 هـ / 1509م سقطت مدينة وهران و احتلت بجاية بعد سنة من ذلك. أنظر المبارك الميلي ، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، ب . ت . ط ، ج 3 ، ص 23 وما بعدها بعدة صفحات ؛ حتاملة ، **المرجع السابق** ، ص 991 .

يا أَهْلَ فاسَ أمَا في الغَيْرِ مَـوْعِظَةٌ إنَّ السّعِيدَ لمـــوعُوظٌ بأمْثَــــالِ

فَـقُلْ تعَالُوا إلى نُصْـحٍ وتَذْكِـــرَةٍ فالأمْرُ جَدٌّ فلا تصْحَبْ لمكْسَالِ

كيف الحياةُ إذْ الحيّات قدْ نفَحَتْ على السَّواحِلِ أوْ همَّتْ بـإرْسَـــالِ[1].

بقي الدقون بفاس إلى غاية وفاته التي اختلفت المصادر في تحديد تاريخها ، اتفق كل من ابن القاضي و مخلوف على أنها كانت سنة 921 هـ/ 1515 م[2] ، في حين ذكر التنبكتي أنها في سنة 920 هـ/ 1514م [3] .

و من الأدباء الذين هاجروا إلى مدينة فاس أيضا **عبد الرحمن البردعي الجذامي الأندلسي (ت 920 هـ / 1514 م)** أقام بفاس ودرس فيها على يد بعض من شيوخها كالإمام محمّد بن غازي وغيره، وتوفي سنة 920 هـ/ 1514 م[4].

و منهم أيضا **أبي القاسم بن زياد (ت 944 هـ / 1537م)** من مدينة غرناطة واحد من الفقهاء وعلماء اللغة العربية " نحويا بيانيا "[5]، رحل ابن زياد إلى المغرب واستقر في مدينة فاس ودرس فيها على يد شيوخها منهم أبي الحسن بن هارون ، ثم اشتغل في مجال القضاء إلى أن وافته المنية سنة 944 هـ / 1537م[6].

---

[1]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 107 .

[2]. ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 92 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 399 .

[3]. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 575 .

[4]. ابن القاضي ، **درة** ، ج 3 ، ص 95 ؛ **جذوة** ، ج 2 ، ص 407 .

[5]. ابن القاضي ، **جذوة** ، ج 1 ، ص 110 .

[6]. محمّد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس** ، تح محمّد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، ج 3 ، ب د ، ب مكا ، ب ط ، ص 21 .

. مدينة مكناس :

ومن العلماء الذين اتجهوا صوب المدن المغربية أيضا **أبو الحسن علي البياضي (ت 912 هـ/ 1506م)** [1]من أهل بلش الحصن الشرقي لمدينة مالقة وهذا استنادا لبعض الكتب التي قام بنسخها [2]، هاجر البياضي الأندلس واستقر في مدينة مكناس واشتغل خطيبا في مسجدها الأعظم ، توفي البياضي سنة 912 هـ/ 1506م و دفن بروضة الولي الصالح أبي محمد عبد الله بن أحمد خارج باب البردعيين بنفس المدينة [3].

. تطوان[4]:

من العلماء الذين استوطنوا مدينة تطوان **محمد الكراسي الأندلسي (874 . 964 هـ/ 1469 . 1556م)** فقيه ، أديب و شاعر ، لا ندري إن كان الكراسي قد هاجر من غرناطة قبل أوبعد سقوطها في يد الإسبان ، ذكر الشفشاوني أنه توفي بتطوان سنة 964 هـ/ 1556م و عمره تسعون سنة وبعملية حسابية بسيطة يتضح لنا أنه كان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة عند تغلب العدو على بلاده ، كما ذكر الشفشاوني جملة من الشيوخ الذين تتلمذ الكراسي على يدهم في غرناطة وهو يافع كالمواق ، و ابن جعدالة ، و أبي الحسن البياضي ، وبعد وصوله إلى المغرب دخل مدينة فاس

---

[1]. تتلمذ البياضي على يد الفقيه المجاري فأجازه هذا الأخير لرواية برنامجه ، ذكر المجاري الإجازة في كتابه برنامج المجاري بتاريخ أواخر رجب عام 858 هـ/ 1454م : " سأل مني الطالب الأنبل الحافظ الفهم النبيه المجتهد أبو الحسن ... وأجزل من ثواب العلم حظه أن يحمل عني برنامجي هذا بعد أن قرأه بلفظة قراءة مقابلة وتصحيح فأجبته لذلك اسعافا لقصده ومراعاة لخلوص وده ". أنظر أبي عبد الله محمد المجاري ، **برنامج المجاري** ، تح محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1982 ، ص 81 .

[2]. **نفسه** ، ص 41 .

[3]. ابن القاضي ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 212 .

[4]. هذه المدينة تنطق وتكتب بصيغ عديدة وصلت إلى سبع صور منها تطوان ، وتطوان بتاء مكسورة بعدها طاء ساكنة ، و تطاون ، وتطاوين و تيطاوين ، و تطاوان ، و تيطاوان و تيطاون و هي مدينة مغربية تقع في الشمال الغربي من المغرب الأقصى ، يحدها من الشرق البحر الأبيض المتوسط تبعد بعشر كلومترات عن مدينة سبتة و بأربعين كيلومترا عن مدينة طنجة و نحو الستين كيلومترا عن مدينة أصيلة ، تشير الدراسات أن مدينة تطوان الحالية بناها و عمرها المهاجرون الأندلسيون في أواخر القرن التاسع للهجرة / الموافق لأواخر القرن الخامس عشر ميلادي على أنقاض المدينة القديمة التي كانت موجودة في المغرب قبل ظهور الاسلام في المنطقة أنظر محمد داوود ، **مختصر تاريخ تطوان** ، المطبعة المهدية ، تطوان ، 1955 ، ص 3 و ما بعدها .

درس أيضا عند مجموعة من علمائها كالونشريسي ، و ابن غازي وغيرهما ، و لقي الشيخ المتصوف أبو العباس أحمد الزروق عند عودته من بلاد المشرق[1] أي قبل وفاة هذا الأخير والتي كانت سنة 899 هـ/ 1493م بتكرين بضواحي طرابلس [2] ، التقاه عند عودته من المشرق أي قبل سنوات من وفاته مما يرجح فرضية رحيل الكراسي عن الأندلس قبل سقوط غرناطة ، و استقر في مدينة تطوان وعمل في مجال القضاء إلى غاية وفاته سنة 964 هـ/ 1556م [3].

. تونس :

وعلماء آخرون استقروا في تونس من هؤلاء **أبو الحسن القلصادي** (**ت 891 هـ/ 1486م**) خاتمة علماء الأندلس وحفاظه [4] كانت له رحلة علمية في شبابه قادته إلى بلاد المشرق و بالضبط سنة 840 هـ/ 1436م[5] و بقي هناك خمسة عشر سنة ينهل من منابع العلم ، ثم قرر العودة لوطنه من جديد على الرغم من الاضطرابات التي كانت تشهدها غرناطة في تلك الفترة كحروب الأمير سعد بن إسماعيل (858 . 868 هـ/ 1454 . 1464م) مع بني سراج ، واستيلاء النصارى على بعض الحصون والمناطق المجاورة لمدينة مالقة [6]، وكان كثير من العلماء قد سافروا في رحلات علمية إلى المغرب والمشرق ولما اشتد الخطر الإسباني قرروا عدم العودة واستقروا نهائيا في المدن التي قصدوها.

وصل القلصادي إلى مدينة ألمرية سنة 855 هـ/ 1451م [7] ثم دخل غرناطة وأقام بها إلى أن اشتد الخطر ويأس من خلاص وطنه " إلى أن حل بوطنه ما حل فتحيل في تخليصه من شرك الهلاك "

---

[1] . محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني ، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ، تح محمد حجي ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، 1977 ، ص 21 .

[2] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 132 .

[3] . الشفشاوني ، **المصدر السابق** ، ص 21 .

[4] . مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 377 .

[5] . القلصادي ، **المصدر السابق** ، ص 94 .

[6] . شكري ، **المرجع السابق** ، ص 46 .

[7] . القلصادي ، **المصدر السابق** ، ص ص 158 . 161 .

[1] فقرر الرحيل مرة أخرى قاصدا مدينة تلمسان ونزل عند الشيخ ابن مرزوق الكفيف (ت 824 هـ/ 1495م)[2] بسبب العلاقة التي كانت تربطه بوالده ، ولا ندري هل كان القلصادي ينوي الاستقرار في تلمسان أم أنها كانت مجرد محطة فقط ؟ يقول ابن مريم أن القلصادي بعد مجيئه إلى تلمسان استقر في بيت ابن مرزوق وجلس للإقراء فدرس عنده هو وعدد كبير من الطلبة " فقرأ عليه الجم الغفير من الناس "[3] وهذا يؤكد أن المدة التي قضاها في تلمسان لم تكن قصيرة فما الذي دفعه للرحيل عن تلمسان ؟

من الواضح أن القلصادي كان في رحلة بين المدن المغربية و ربما المشرقية أيضا لتقديم الدروس لطلبة العلم ريثما تتحسن الأوضاع في بلاده فيعود كما فعل في المرة الأولى ، وكانت تلمسان مجرد محطة ، فبعد مغادرته لها انتقل القلصادي إلى مدينة باجة التونسية ويبدو أنها كانت أيضا مجرد محطة يقول المقري " ثم جدت به الرحلة إلى أن وافته منيته بباجة " و انتهت رحلته بوفاته في باجة سنة 891 هـ/ 1486م [4].

ب / الحواضر المشرقية :

ـ القاهرة :

وعلماء هاجروا صوب المدن المشرقية من هؤلاء **مُحَمَّد المجاري (ت 856 هـ/ 1452م)** وإن كانت المعلومات عن هذا العالم شحيحة فلم نعثر له إلا على ترجمة مقتضبة أفردها السخاوي في

---

[1] . أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن مريم الشريف المليتي المديوني ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، مر مُحَمَّد ين أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 ص 142 .

[2] . هو الإمام مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد ابن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالكفيف فقيه ومحدث " علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأولياء وخلف الأتقياء "رحل للقيام بفريضة الحج سنة 861 هـ/ 1456م وقام أثناء رحلته بتدريس الطلبة الفقه وأصوله والعربية والمنطق . أنظر الكتاني ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص ص 525 . 526 ؛ التنبكتي ، **نيل** ، ص 574 ؛ السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 9 ، ص 46.

[3] . ابن مريم ، **المصدر السابق** ، ص 141 .

[4] . المقري ، **نفح** ، ج 2 ، ص 693 .

الضوء اللامع أو ما نقله هو في كتابة برنامج المجاري ، اسمه الكامل مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي عبد الواحد الأندلسي المجاري [1] ، درس في غرناطة علوم القرآن وتمكن من إثبات جدارته فأصبح أحد أكبر العلماء المتخصصين في هذا المجال فكان الطلبة يقصدونه لتعلم التلاوة عنده [2].

غادر المجاري الأندلس إلى مصر ولا نعلم السنة بالضبط ، وفي الترجمة التي نقلها السخاوي ذكره مع جملة العلماء المصريين أو من دخلوا مصر واستوطنوها ويذكر أنه توفي سنة 856 هـ/ 1452م[3] بينما ذكر المجاري في كتابه إجازته لأبي القاسم البياضي وولديه وأخيه لرواية برنامجه وكانت هذه الإجازة سنة 858 هـ/ 1454م [4]، مما يؤكد فرضية استقرار المجاري في القاهرة بعد هذا التاريخ وبقي فيها إلى غاية وفاته .

و من العلماء الذين هاجروا صوب المشرق أيضا **مُحَمَّد بن عبد الله الجابري الشهير بالزليجي (ت 897 هـ/ 1492م)** من الفقهاء درس بغرناطة ثم غادر بلاده من مدينة بلنسية سنة 896 هـ/ 1491م متوجها إلى تونس ، و في أواخر السنة المذكورة انتقل إلى دمشق، ثم غزة ليركب منها إلى مكة وهناك وافته المنية متأثرا بوباء الطاعون المتفشي آنذاك بالمشرق [5].

و منهم أيضا **مُحَمَّد بن أحمد الجعدالة (ت 897 هـ/ 1492 م)** أصله من مدينة مالقة " من الفقهاء الجلة وعلماء الملة " تتلمذ على يديه أحمد بن داوود ، وله فتاوى في المعيار المعرب للونشريسي [6] ، توفي هو أيضا ببلاد المشرق متأثرا بالوباء في نفس السنة [7].

---

1. السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 9 ، ص 151 .
2. المجاري ، **المصدر السابق** ، ص 33 و ما بعدها .
3. السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج 9 ، ص 151 .
4. المجاري ، **المصدر السابق** ، ص 81 .
5. **نفسه** ، ص 31 .
6. التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 563 .
7. المجاري ، **المصدر السابق** ، ص 563 .

د / العلماء الذين آثروا البقاء في غرناطة رغم الخطر :

لا نعلم عدد العلماء الذين اختاروا البقاء في غرنـاطة بعد حصارها وقطع المدد عنها من طرف الإسبان ، فالمعلومات عن هذه الفئة شحيحة و لم تذكر المصـادر إلا البعض منهم فقط ، على الرغم من ورود عبارات في بعضها نستشف منها تواجد جمع كبير من العلماء أثناء الحصار ،كما كان لهم دور في إنهائه أيضا ، فقد ذكر مؤلف مجهول أن الفقهاء كـانوا ضمن الوفد الذي توجه لمقابلة الأمير أبو عبد الله الصغير بعد أن طـال بهم الحصار وأصابهم الجوع وقطعت عليهم طرق الإمداد طالبين منه التفاوض مع الإسبان لإنهاء الحصار المفروض عليهم [1] ، و ذكر المقري ذلك أيضا و قال أن مجموعة من العلماء توجهوا لمقابلة الأمير أبي عبد الله الصغير بطلب من السكان بعدما فقدوا الصبر بسبب طول الحصار و ما ترتب عنه " فاجتمع ناس مع من يشار إليه من أهل العلم ، وقالوا :انظروا في أنفسكم و تكلموا مع سلطانكم "[2] ، وفي البند الأول من معاهدة التسليم التي أبرمت بين الأمير أبي عبد الله الصغير والإسبان ذكرت أيضا فئة الفقهاء و العلماء : " على ملك غرناطة والقادة ، و الفقهاء ، و الحجاب ، و العلماء ، و المفتين ، و الوجهاء بمدينة غرناطة ، و البيازين وضواحيها أن يسلموا إلى صاحبي السمو أو من ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة أقصاها ستون يوما ، اعتبارا من 25 تشرين الثاني عام 1491 معاقل الحمراء ، و البيازين ، و أبواب تلك المعاقل، وأبراجها، و أبواب المدينة المذكورة ..." [3] .

ومن الفقهاء الذين اختاروا البقاء في غرناطة رغم الحصار **محمد المواق** (**ت 897 هـ/ 1491م**) يعتبر المواق آخر أئمة غرناطة ، اشتغل مفتيا وخطيبا بجامعها إلى غاية سقوطها ، فلما استولى النصارى عليها كان لايزال على قيد الحياة " فسألوا عمن هو المقدم بها في العلم فأشير بالمواق "[4]، وكانت له حادثة مع الإسبان نقلها التنبكتي تفرد بها عن غيره يقول بأنه سمعها من مفتي مدينة فاس

[1] . مجهول ، **المصدر السابق** ، ص 40 . 41 .
[2] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 525 .
[3] . ذنون ، **المرجع السابق** ، ص 59 .
[4] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص ص 561 . 562 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، 378 .

أبي عبد الله القصار يقول : " لما استولى النصارى على غرناطة دمرهم الله وجدوه بها حيا فسألوا عمن هو المقدم بها في العلم فأشير بالمواق ، فأمروا بإحضاره عندهم فامتنع فكلمه الناس فحضر عند وزير الطاغية فبسط الوزير له يده فقبلها المواق رحمه الله ، فلما خرج من عنده أنكره الناس عليه ، فلم تلبث يد الوزير الكافر المقبلة أن تورمت وتوجع منها فأمر برد المواق وطلب منه الدعاء "[1] .

هذه الحادثة تشبه الأسطورة وصورت المواق كواحد من أصحاب الكرامات وهي عادة وطبيعة البشر عند الأزمات والهزائم يبتكرون مثل هذه الحكايات ويتناقلونها بينهم للمحافظة على الروح المعنوية العالية و الأمل في الانتصار ، لكن المؤكد أن حادثة السقوط أثرت عليه وربما كانت السبب في وفاته قهرا بعد خمسة أشهر من سقوط غرناطة وبالضبط في شهر شعبان سنة 897 هـ/1492 م، وكان الإسبان قد استولوا على غرناطة في 29 صفر الموافق ل 1 جانفي من نفس السنة [2] .

ومن الأدباء **أبي عبد الله العربي** واسمه الكامل أبو عبد الله مُحَّد بن أبي مُحَّد عبد الله العقيلي واشتهر باسم العربي ويعتبر خاتمة الأدباء بالأندلس[3] ، اشتغل كاتبا في بلاط بني الأحمر في عهد الأمير أبي عبد الله الصغير [4] .

عايش أبو عبد الله العربي محنة الحصار وله بعض الأبيات يصف فيها حالة الخوف والقلق المسيطرة على الأندلسيين أثناء الحصار و الضغط الذي كانوا يعيشونه يوميا بسبب تخصيص الإسبان لفرق موسيقية تعزف بالطبل والنفير للتأثير على معنوياتهم يقول :

بالطّبلِ في كلِّ يومٍ   وبالنّفِيرِ نُــــراع
وليس منْ بعدِ هذا   وذاك إلا القِــــراع

---

[1] . التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 562 .
[2] . مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 378 ، التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 562 ؛ مُحَّد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري ، **سنن المهتدين** ، تح مُحَّد بن سيدي مُحَّد بن حيمن ، بني يزناسن سلا ، المغرب ، 2002 ، ص 24 .
[3] . المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 103 .
[4] . المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص 552 .

يا ربِّ جَبْرَكَ يرْجُو مِنْ هِيضَ مِنْهُ الذِّراع [1]

و لما أجبر الأمير أبو عبد الله الصغير على مغادرة الأندلس [2] كلفه بكتابة رسالة [3] إلى الأمير الوطاسي الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي(875 . 910 هـ/ 1470 . 1504م) [4] فكتب أبو عبد الله العربي رسالة طويلة تحت عنوان " **الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس** " [5] وبدأها بقصيدة اختار كلماتها بدقة كبيرة لتعبر عن حالة اليأس والحزن المسيطرة عليهم و فداحة الخسارة التي لحقت بهم ، يتوسل فيها الأمير الوطاسي لاستقبالهم في المغرب الأقصى بعدما فقدوا وطنهم وقصورهم وأصابهم الذل والهوان [6] هذه بعض أبياتها :

مَولى الملُوكِ مُلوكِ العُرْبِ والعَجَم رَعْيًا لما مِثْلُهُ يرْعَى منَ الذِّمَمِ

بكَ اسْتَجَرْنا ونِعْمَ الجارُ أنْتَ لمنْ جارَ الزَّمانُ عليه جُورَ مُنْتقِمِ

إيهٍ حَنانيكَ يا ابْنَ الأكْرَمِينَ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بِفَاس غير مُحْتَشِمِ [7]

---

[1] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج4 ، ص 550 .

[2] . لما تغلب العدو على غرناطة سمح في البداية للأمير أبي عبد الله الصغير بالانتقال إلى أندرش مع أهله و عياله و أقام فيها مدة إلى أن قرر الإسبان صرفه إلى العدوة . أنظر المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 67 .

[3] . أنظر الملحق رقم 07.

[4] . هو الأمير محمد ين يحي بن زيان بن عمر الوطاسي الملقب بالشيخ من فرع بني وطاس وهم فرقة من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبد الحق ، ولما تمكن بنو مرين من الاستحواذ على السلطة في المغرب كان لبني وطاس بلاد الريف و عين الكثير منهم وزراء ، وكانوا بنو الوزير يصبون للسلطة فاستعملهم بنو مرين على رأس الولايات والأعمال ، و حين تمكن الأمير أبي العباس بن أبي سالم من السيطرة على مدينة مراكش سانده زيان ين عمر بن علي فكانت له الوجاهة إلى أن حاصر الأمير قصبة مراكش ،كان للوزير دور كبير في هذا الحصار ونصرة الأمير أبو العباس ، جاء بعده ابنه أبو زكريا يحي على رأس الوزارة للأمير عبد الحق ، ثم ابنه يحي إلى أن نكبه الأمير عبد الحق هو و أفراد من قبيلته ففر محمد الشيخ إلى الصحراء و بقي متخفيا ومتنقلا بين المدن فيها ، ثم تمكن من الدخول إلى أصيلا وتلقى المكاتبات من طرف أعيان فاس كما قدموا له المساعدة سرا إلى أن تمكن من بسط سيطرته على المغرب ، حكم إلى غاية سنة 910 هـ/ 1504م و جاء إلى الحكم بعده ابنه محمد المعروف بالبرتقالي . أنظر ابن القاضي ، **جذوة** ، ص 211 ؛ **درة** ، ج 2 ، ص 145 ؛ السلاوي ، **المصدر السابق** ، ج 5 ، ص 119 و ما بعدها .

[5] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 72 .

[6] . **أنظر الملحق رقم : 07** .

[7] . المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص ص 529 . 530 .

ولم يختلف محتوى الرسالة عن القصيدة احتوت هي أيضا على عبارات مؤثرة تستعطف الأمير الوطاسي "...هذا مقام العائذ بمقامكم المتعلق بأسباب زمامكم ، المترجّي لعواطف قلوبكم وعوارف إنعامكم المقبّل الأرض تحت أقدامكم..."[1] ،و عبارات أخرى يعترف فيها الأمير أبو عبد الله الصغير بالتقصير [2] " على أني لا أنكر عيوبي فأنا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبي ، إلى الله أشكو عجري وبجري ، وسقطاتي وغلطاتي " [3]، و يذكر العروض التي حصل عليها من الإسبان ومن عدة بلدان في المشرق للإقامة عندهم لكنه اختار المغرب ووصفها بداره و دار أبائه " فلم نختر إلا دارنا التي كانت دار آبائنا من قبلنا "[4] .

استجاب الأمير الوطاسي لطلب الأمير أبي عبد الله الصغير وحصل على عنايته ، وبعد وصوله إلى مليلية انتقل إلى مدينة فاس مع مرافقيه من الأسرة الحاكمة و ابتنى قصورا في المدينة على النمط الأندلسي أقام فيها إلى غاية وفاته[5] التي اختلفت المصادر في تحديد تاريخها فالمقري ذكر مرة في أزهار الرياض أنها كانت سنة 924 هـ/ 1518م [6]، و في نفح الطيب قال أنها كانت سنة 940هـ/ 1533م [7]، بينما ذكر آخرون أن الأمير أبا عبد الله قتل في معركة أبي عقبة التي جرت بين الأمير أحمد بن أبي العباس الوطاسي و بين السعديين سنة 943 هـ/ 1536م[8]، كيف أقدم الأمير أبو عبد الله الصغير على المشاركة في معركة بالمغرب وبذل حياته دفاعا عن الوطاسيين وهو لم يفعل ذلك سابقا

---

[1]. المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص 536 ؛ **أزهار** ، ج 1 ، ص 83 .

[2]. قام الأمير أبو عبد الله الصغير بتسليم مفاتيح المدينة للملك الإسباني قائلا : " إنهما مفتاحي هذه الجنة وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في إسبانيا وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا و ديارنا وأشخاصنا وهكذا قضى الله فكن في ظفرك رحيما وعادلا " ورد عليه فرناندو : " لا تشك في وعودنا ولا تعوزك الثقة خلال المحنة فسوف تعوض لك صداقتنا ما سلبه القدر منك " . أنظر يحياوي ، **المرجع السابق** ، ص ص 38. 39 .

[3]. المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص 536 .

[4]. المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص 542 ؛ **أزهار** ، ج 1 ، ص 92.

[5]. السلاوي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 135 .

[6]. المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 68 .

[7]. المقري ، **نفح** ، ج 4 ، ص 529 .

[8]. عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 287 ؛ السلاوي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 135 .

دفاعا عن بلاده و عرشه ؟ قد تكون مشاركته في المعركة كرد للجميل وعربون محبة ووفاء للوطاسيين الذين استقبلوه في بلادهم وأكرموه بعدما فقد ملكه وضاقت عليه السبل ، لكن هل كان أبو عبد الله الصغير يقوى على المشاركة في معركة أو في حرب وهو شيخ تجاوز من العمر السبعين سنة أثناء وقوع المعركة المذكورة ؟ لذلك نرجح وفاته سنة 940 هـ / 1533م و هي الرواية التي أوردها المقري في كتابه نفح الطيب [1].

وكان الكاتب أبو عبد الله العربي قد انتقل للإقامة في مدينة فاس في ركب الأمير أبي عبد الله الصغير ومرافقيه هو أيضا [2].

خامسا . محن علماء الأندلس بعد سقوط غرناطة :

بعد استيلاء الإسبان على غرناطة وبسط سيطرتهم عليها بالكامل ترك للأندلسيين في البداية حرية الاختيار بين الرحيل إلى إحدى مدن العدوة وبين البقاء في الأندلس واعدين إياهم بالعناية والاحترام ، وعاشوا مدة بشكل طبيعي محتفظين بممتلكاتهم من دون دفع الكراء أو الضرائب[3] ، ثم نقض الإسبان المعاهدة ودخل الأندلسيون عصرا جديدا مختلفا عن سابقيه عصرا مليئا بالحزن والآلام و النكبات [4].

ارتكب الإسبان في حق الأندلسيين جرائم لم يشهد لها التاريخ مثيلا في الهمجية والاجرام ، وزالت حرمة المسلمين وأدركهم الذل والهوان ، وأثقل كاهلهم بالمغارم ، ووجد الإسبان في صمود الأندلسيين تحد لهم فرفعوا سقف حقدهم وانتقلوا بعد ذلك إلى مقدساتهم الدينية فمنعوا الآذان وعلقت الصلبان والنواقيس في المساجد وأكرهوهم على التنصر " فدخلوا فيه كرها ، وصارت الأندلس

[1]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 529 .
[2]. عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 280 .
[3]. المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 67 .
[4]. ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 155 .

كلها دار كفر ، ولم يبق من يجهر بكلمة التوحيد والآذان"[1] ، ثم طردوا خارج مدينة غرناطة إلى القرى والأرباض المجاورة [2].

كانت إحدى بنود وثيقة الاستسلام الموقعة بين الإسبان و الأمير أبي عبد الله الصغير [3]احترام المعتقدات الدينية للأندلسيين الذين اختاروا البقاء تحت حكمهم " ويتعهد جلالتهما ، وخلفاؤهما إلى الأبد ، بأن يترك الملك المذكور أبو عبد الله والقادة ، و الوزراء ، والعلماء ، والفقهاء ، والفرسان ، وسائر الشعب ، وألا يؤمروا بترك شيء من مساجدهم و صوامعهم ، وأن تترك لهذه المساجد مواردها كما هي ، وأن يقضي بينهم وفق الشريعة و على يد قضاتهم و أن يحتفظوا بتقاليدهم و عوائدهم " [4] لماذا نقض الإسبان بنود المعاهدة واضطهدوا المسلمين ؟ حسب المقري عندما أجبر الأمير أبو عبد الله الصغير على الرحيل غادرت معه جموع من الأندلسيين باتجاه مدينة فاس وعند وصولهم إلى هناك أصابتهم الفاقة وعانوا من غلاء الأسعار وانتشرت بينهم المجاعات والطاعون ففر الكثير منهم وعادوا أدراجهم إلى الأندلس وأخبروا المتخلفين هناك بهذه الأخبار فتقاعسوا عن الهجرة وقرروا البقاء ، وعندما رأى الإسبان ذلك أخذوا في نقض المعاهدة [5].

قد يكون هذا سببا من الأسباب ، لكن السبب الرئيسي هو تعيين الكاردينال فرانسيسكو خيمنيث دي سيسنروس Cardenal Ximenes لمساعدة أول أساقفة غرناطة هرناندو دي تالافيرا Hernando di Talafira سنة 905 هـ/ 1499م فلم ترقه الطريقة التي كان يتعامل بها هذا الأخير مع المسلمين والذي كان ينتهج سياسة لينة مبنية على تكريس الرفق والعدل مع المسلمين فسعى خيمنيث سعيا حثيثا لإقناع الملكة ايزابيلا لتغيير هذه السياسة حتى وصل إلى مبتغاه في الأخير " ووسوس إليها أن في حفظ عهد المسلمين خيانة لعهد الله ، فأنفذت أمرها في الحال باضطهاد

1. المقري ، **أزهار** ، ج 1 ، ص 68. 69 .
2. **نفسه** ، ص 68 .
3. أنظر الملحق رقم :06 .
4. عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 245 .
5. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 68 .

العرب " [1] و استعمل أسلوبا جديدا لتنصير المسلمين قائما على القوة والعنف و التضليل والترهيب والسجن [2] .

فكانت النتيجة ثورة الأندلسيين في حي البيازين بغرناطة (Albaicin) في18 ديسمبر1499م رفضا لمشروع التنصير الإجباري الذي جاء به خمينيث [3] ، ثم امتدت تلك الثورة لمناطق أخرى بجبال البوشارات(Alpujarras) سنة 1500م بقيادة إبراهيم بن أمية و استمرت لمدة ثلاثة أشهر كاملة ، بالإضافة إلى ثورات أخرى بجبال فيلابريس (filabres)بألمرية ، وجبال رندا[4].

استغل الكاردينال خمينيث هذه الثورات سياسيا لإصدار مرسوم يفرض التنصير على المسلمين [5] فأصدر الملكان الإسبانيان أمرا بمنع وجود المسلمين في مملكة غرناطة و أن الله قد اختارهما لتطهيرها من الكفرة في العشرين من شهر جويلية سنة 1501م الموافق للرابع من شهر محرم سنة 907 هـ[6]، وبدأت أوضاع المسلمين المتخلفين في الأندلس تتغير من مسلمين إلى مدجنين ثم إلى مورسكيين " los moriscos "[7]بعد صدور قرار التنصير الجماعي[8]، و الفرق بين المدجن والموريسكي ليس زمنيا فقط بل ديني قانوني اجتماعي ، فبينما كان المدجن يتحدث بلغته العربية إن كان يتقنها ويمارس

---

[1] . ستانلي ، **المرجع السابق** ، ص 155 .

[2] . إي غفيريا ، **المرجع السابق** ، ص 45 و ما بعدها

[3] . أنطونيو دومينغيث أورتيث ، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية** ، تر مُحَّد بنياية ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، أبو ظبي ، 2013 ، ص 22 .

[4] . **نفسه** ، ص ص 22. 23 .

[5] . مارغوميث ريناو ، **اللغة الأعجمية و آدابها : بديل إسلامي للإسبانية** ، التراث الموريسكي المخطوط ، تر مُحَّد مُحَّد عبد السميع ، مكتبة الاسكندرية ، الاسكندرية ، مصر ، 2015 ، ص 20 .

[6] . مظهر ، **المرجع السابق** ، ص 26 .

[7] . ظهر هذا المصطلح في أوائل القرن السادس عشر و أطلق على المسلمين الذين اختاروا البقاء في وطنهم والخضوع لحكم المسيحيين وإجراءات التنصير فيما بعد . أنظر جمال عبد الكريم، **الموريسكيون تاريخهم وأدبهم**، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ص 6 و ما بعدها .

[8] - أورتيث ، **المرجع السابق** ، ص 20 .

شعائره الدينية بكل حرية ويتمتع أحيانا بمكانة مرموقة في المجتمع لم يتبقى للموريسكي إلا الشعور الداخلي بأنه مسلم [1].

واستمر الإسبان في فرض المراسيم والقوانين ففي 12 من شهر فبراير سنة 1502 م صدر قرار ملكي يخير المسلمين بين التنصير أو الهجرة [2]وفي 12 سبتمبر من نفس السنة صدر مرسوم ملكي آخر يحظر على الناس التصرف في ممتلكاتهم قبل مضي سنتين ،كما منعوا من مغادرة مملكة قشتالة إلا إلى أراجون والبرتغال Portugal بسبب إقبال الكثير من المتنصرين على بيع أملاكهم والهجرة إلى بلاد المغرب ، ثم أقيمت المحاكم [3] لمتابعة ومراقبة عملية التنصير خاصة وأنهم كانوا يعلمون جيدا بأن المسلمين واليهود لن يتخلوا عن دينهم بسهولة ، فتفننوا في التعذيب والتنكيل والترويع[4].

انقطعت أخبار العلماء في هذه الفترة وتقهقرت العلوم العقلية والنقلية التي كانت منتشرة سابقا في كل مكان ، وأقدم الإسبان على إحراق المصاحف و إتلاف الكتب الدينية [5] ففي رسالة [6]

[1] . أنطونيو بيسبيرتينو رودريغيث ، **مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية** ، التراث الموريسكي المخطوط ، تر محمد محمد عبد السميع ، مكتبة الاسكندرية ، الاسكندرية ، 2015 ، ص 156 .

[2] . أورتيث، **المرجع السابق** ، ص 23 .

[3] . يعود تاريخ إنشاء محاكم التفتيش إلى سنة 1329 م حيث اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في مدينة تولوز وقرروا تأسيس محكمة تحاكم كل من اتهم في دينه وكل من كان على دين آخر مثل اليهود والبروتستانت والمسلمين المقيمين في أوروبا ، وفي سنة 1333م أعطيت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن مهمته البحث عن المرتدين و سمح له بالاستعانة بالجواسيس ، أطلق على هذه المحاكم في البداية الديوان المقدس ، التفتيش المقدس ، وعلى الرغم من وجود مثل هذه المحاكم في فرنسا وإيطاليا إلا أنها لم تقم بما قامت به المحاكم في إسبانيا والبرتغال فقد وصل عدد ضحايا محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال حوالي 900 ألف بين سنوات 1333 و 1835 . أنظر مظهر ، **المرجع السابق** ، ص ص 51 . 52 .

[4] . مظهر ، **المرجع السابق** ، ص 27 .

[5] . المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 112 ؛ أورتيث ، **المرجع السابق** ، ص 25 .

[6] . **أنظر الملحق رقم : 08.**

أرسلها بعض الموريسكيين للسلطان العثماني بايزيد الثاني (1481 . 1512م)[1] وصفوا فيها محنتهم وذكروا ما يتعرضون له على يد الإسبان طالبين منه التدخل لنصرتهم ، الرسالة عبارة عن نثر وقصيدة طويلة في بعض أبياتها تكلموا عن إتلاف الإسبان للكتب الدينية وتدنيسهم للمصاحف بالنجاسة .

وأَحْرَقَ ما كانتْ لنا منْ مَصَاحِفْ وخَلَطَهَا بالزِّبْلِ أوِ بالنَّجَاسَهْ

وكلّ كِتابٍ كان في أمْرِ دِينِنَـــا فَفِي النَّارِ أَلْقَوْهُ بهُزْءٍ و حُقْرَهْ

ولمْ يترُكُوا فِيهـــا كِتَابــًا لمسْلِمٍ ولا مُصْحَفًا يُخْلَى بهِ لِلْقِراءَه [2]

الرسالة أوردها المقري لكنه لم يذكر تاريخ إرسالها ، من المرجح أنهم أرسلوها بعد صدور القرار الذي ينص على إحراق جميع الكتب التي لها علاقة بالإسلام في 12 أكتوبر 1501م [3] ، فقام الكاردينال خمنيث بإحراق أغلب الكتب والمخطوطات التي تمكن جنوده من جمعها وهي إنجازات علماء الأندلس على مدى مئات السنين ورثتها غرناطة من المدن الأندلسية التي سقطت كقرطبة، وإشبيلية وغيرهما وكانت أكثر من مئة ألف مخطوط في شتى مجالات العلوم لم يسلم منها إلا عدد قليل من كتب الطب ، وضعت في وسط الميدان بغرناطة وأحرقت ولم يشفع لها الموضوع الذي تحتوي عليه رغم أن الكثير منها لم تكن لها أية صلة بالقرآن [4]، وفقد المسلمون الكثير من كنوزهم الفكرية في يوم واحد في هذه الحادثة الشنيعة "ولم يعد المسلم الغرناطي منذئذ قادرا على نقل أبسط معلومة عن أمور زمانه إلى نسله " [5] .

[1] . السلطان بايزيد الثاني السلطان السابع للدولة العثمانية اعتلى العرش بعد وفاة والده محمّد الفاتح تميزت فترة حكمه بالهدوء ، أقام علاقات دبلوماسية مع أغلب الدول الأوروبية عكس والده فاتح القسطنطينية ، وكان يميل إلى السلم أكثر من الحرب محبا للعلوم الأدبية لذلك كان يطلق عليه أغلب المؤرخين الأتراك "بايزيد الصوفي" .أنظر محمّد فريد بك المحامي ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، تح إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 ، ص 179 .

[2]. المقري ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 112 .

[3] . أورتيث ، **المرجع السابق** ، ص 25 .

[4] . فون شاك ، **المرجع السابق** ، ص 126 .

[5] . أي غفيريا ، **المرجع السابق** ، ص 49 .

و أرسل المورسكيون رسالة أخرى [1]هذه المرة إلى الفقيه **أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 917 هـ/ 1533 م)** [2] من مدينة وهران رسالتهم لم تصلنا لكن رد الفقيه المغراوي على الرسالة موجود نقله المؤرخ مُحَمَّد عبد الله عنان في كتابه **" نهاية الأندلس "** ، وهي رسالة مؤثرة مؤرخة بتاريخ أول رجب سنة 910 هـ/ 28 نوفمبر 1504م[3] تضمنت فتوى طويلة فيها طرق للتعامل مع الوضع الجديد " التنصير القسري " دون التخلي عن دينهم وممارسة شعائرهم الدينية ، وكانت الفتوى طويلة من عدة صفحات بدأها المغراوي بوصفه للأندلسيين "بالقابضين على دينهم كالقابض على الجمر " أي أن المسلم في زمن المحن والفتن يصبح كالقابض على الجمر من شدة ما يصيبه من المحن والآلام من الأعداء لإبعاده عن دينه مقتبسا ذلك من حديث الرسول ﷺ " **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ** "[4] ، ويحثهم فيها بالصبر على الأذى ويقدم لهم الحلول والطرق للتعامل مع النصارى دون التخلي عن دينهم ، و القيام بالفرائض الدينية كالصلاة والصوم خفية عن أعينهم[5] .

لماذا أرسل الموريسكيون الرسالة للفقيه المغراوي بوهران ؟ هل كان السبب افتقادهم للفقهاء أم لأسباب أخرى ؟ قد يكون السبب غياب الفقهاء عن الأندلس فأغلبهم شدوا الرحال نحو بلاد المغرب والمشرق قبل تغلب العدو على غرناطة ، ومن المرجح أن من تبقى منهم وعاشوا ويلات

---

[1] . **أنظر الملحق رقم** : 09.

[2] . من فقهاء مدينة وهران بالمغرب الأوسط ، درس في تلمسان على يد نخبة من شيوخها منهم مُحَمَّد بن يوسف السنوسي ، كما كانت له رحلة علمية إلى تونس درس خلالها عند مجموعة من العلماء ، له كتاب في مجال التربية والتعليم وواجبات المعلمين اسمه **"جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وأباء الصبيان "** ، كانت وفاته حسب التنبكتي سنة 917 هـ/ 1533 م أنظر التنبكتي ، **المصدر السابق** ، ص 580 ؛ مُحَمَّد ظافر الأزهري ، **اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة** ، جمعية العروة الوثقى ، 1905 ، ص 16 ؛ مخلوف ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 400 ؛ أحمد بن أبي جمعة المغراوي ، **جامع جوامع الاختصار و التبيان** ، تح أحمد جلولي البدوي ورابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 6 .

[3] . عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص ص 342. 344 .

[4] . الترمذي ، **المصدر السابق** ، ج 4 ، ص 110 .

[5] . عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص ص 342. 344 .

الحصار التحقوا بالركب بعد سقوطها ونقض الإسبان لمعاهدة التسليم و فرض إجراءات محاكم التفتيش ، فهل يستطيع أي عالم أن يتحمل كل هذا ؟ وهناك من اعتبر هجرة العلماء خطأ كبيرا وقعوا فيه وحملهم مسؤولية ما أصاب الموريسكيين من محن بعد ذلك فقد تركوا لوحدهم يجابهون حقد الإسبان " مسؤولية الشيوخ واضحة إذ لم يكفهم أن يفروا بأنفسهم مخلفين أهل دينهم بل حرموا البقاء على من أراده من الرؤساء وطلبوا إليهم الهجرة ومعنى ذلك ترك الضعفاء وحدهم يفعل العدو بهم ما يريد "[1] .

و لكن حتى لو بقي الفقهاء و الشيوخ في بلادهم ولم يغادروها هل كان باستطاعتهم فعل شيء مع كل القوانين التي أصدرها الإسبان ؟ فمن بين الاجراءات التي طبقت بعد نقض معاهدة التسليم منع الدروس الدينية ، أو تقديم الوعظ ، أو الافتاء للمسلمين و من يقوم بخرق هذه القوانين أو يتمرد عليها يتعرض للتنكيل ويقتاد إلى السجن وهناك يجبرونه على اعتناق العقيدة المسيحية على أيدي قساوسة عينوا خصيصا لهذا الغرض[2]، من الواضح أن السلطات الإسبانية أصدرت هذه القرارات للإسراع بعملية التنصير التي شرعت في أدائها و لمعرفتها المسبقة بالدور الكبير الذي قد يلعبه الفقهاء لمنع أو عرقلة هذه المهمة .

هذا ما اضطر الموريسكيين لإرسال الرسالة للفقيه المغراوي حتى يزودهم بمثل هذه الفتوى لتدعمهم وتقويهم على المحنة العظيمة التي أصابتهم في دينهم ولغتهم ، وكان اجتهاد الفقيه المغراوي يتماشى مع حساسية الوضع الذي عاشه الموريسكيون خاصة من استعصى عليهم الرحيل وأجبرتهم الظروف على البقاء على عكس الفتوى التي أوردها عبد الواحد الونشريسي تحت عنوان " **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر** " ردا على نازلة تستفتيه في جواز بقاء المسلمين في إسبانيا " هل تجوز إقامة المسلم في بلد

[1]. أبي العباس أحمد بن يحي بن مُحَمَّد التلمساني الونشريسي ، **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر** ، تح حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، مصر ، 1996 ،ص 17 .

[2]. أي غيفيريا ، **المرجع السابق** ، ص 48 ؛ ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 33 .

تغلب عليه النصارى ؟ "[1]، و أفتى فيها الونشريسي بعدم جواز بقاء المسلمين بأرض تغلب عليها النصارى مهما كانت الأسباب [2]ولم يأخذ بعين الاعتبار أن السواد الأعظم من هذه الفئة كانوا من الضعفاء غير القادرين على الهجرة .

وقد اعتبرت فتوى المغراوي وغيره من الفقهاء الذين أجازوا التقية أفضل حل مكّن الموريسكيين من المحافظة على دينهم[3] ، فكانوا يجتمعون جماعات لأداء الصلاة و يتناقشون في أمور دينهم خفية عن أعين الإسبان [4]، ذكر خير الدين بربروس في مذكراته أن بعض الموريسكيين قاموا ببناء مساجد تحت الأرض للتعبد فيها سرا [5].

و للمحافظة على لغتهم تعلموا استعمال اللغة الأعجمية في حياتهم اليومية [6]كما يبين ذلك ما ذكره بعضهم "و كانت النصارى دمرهم الله تحكم من يجدوه يقرأ بالعربية فتعلمنا القراءة بالأعجمية للأخذ والعطاء "[7]، ثم ابتكر الموريسكيون نمطا جديدا من الأدب للمحافظة على تراثهم من الضياع يعرف بالأدب الأعجمي الأدب الألخاميادو (Literatura aljamiada)، و مصطلح (Aljamia)هو الاسم الذي أطلقه الموريسكيون على لغتهم و المصطلح مقتبس من الكلمة العربية " أعجمية "

---

1. الونشريسي ، **المصدر السابق** ، ص 22 .
2. **نفسه** .
3. ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 21 .
4. **نفسه** ص 22 .
5. خصص خير الدين بربروس جزءً من مذكراته للحديث عن محنة الموريسكيين تحت وطأة محاكم التفتيش ، قال أن الإسبان أحرقوا المساجد وكلما اكتشفوا واحدا منهم صائما أو يصلي يقومون باعتقاله هو وأولاده ويتعرضون جميعا للتعذيب والإحراق ، فتدخل عدة مرات لإنقاذهم ونقلهم في سفنه إلى الجزائر وتونس . أنظر خير الدين بربروس ، **مذكرات خير الدين** ، تح مُحَّد دراج ، شركة الأصالة ، الجزائر ، 2010 ، ص54 .
6. عبد الجليل التميمي ، **تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس و المواقف الاسبانية والعربية و الاسلامية منها** ، منشورات مركز الدراسات و الترجمة الموريسكية ، تونس ، 2011 ، ص 82 .
7. المعجام إبراهيم الرياش بن أحمد بن غانم ، **العز و الرفعة و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب و المدافع** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع تحت رقم 1511 ، ورقة 125 .

أي اللغة الأجنبية [1]، كتب الموريسكيون هذه الكتابات باللغة الرومانثية أو الإسبانية الوسيطة ، بأحرف عربية ، ونصوصها مكتوبة باليد و لم تطبع [2] .

تنوعت مواضيع الكتابات ما بين الأدعية ، و المدائح النبوية ، و المجادلات مع اليهود والنصارى ، وتعاليم لقراءة القرآن ، و توزيع الميراث ، و الطب الشعبي ومواضيع أخرى [3]، كما قاموا بتأليف رسائل حول مبادئ الدين الإسلامي وفق المذهب المالكي و هو المذهب المنتشر في الأندلس قبل سقوطها ، فمن الواضح أن هذا المذهب احتفظ بسيادته وسط الموريسكيين أيضا ، وكانت المواضيع الدينية هي المسيطرة على هذه الكتابات وهذا بسبب القوانين التي كانت تحظر دراسة العلوم الفقهية والشرعية [4].

احتفظ الموريسكيون بهذه الكتابات في أماكن سرية خفية عن أعين الإسبان في أسقف المنازل ، و المحاريب ، و الكهوف ، و عندما طردوا من إسبانيا بقيت هذه المخطوطات مخبأة لقرنين من الزمن إلى غاية القرن 19 م حين اكتشفت بعض هذه الكتابات في منطقة ألموناثيد دي لاسيرا (Alomanacid de la Sierra) بسرقسطة ، و توالت الاكتشافات بعد ذلك في مناطق أخرى [5] و قد تجاوز عدد هذه الكتابات المائتي مخطوط موزعة ما بين المكتبات في إسبانيا وخارجها[6].

و من العلماء الذين عاشوا أثناء هذه المحنة وتحدوا كل الإجراءات والقوانين التي فرضت عليهم من قبل الإسبان **الفقيه عيسى بن جابر** واحد من كبار فقهاء سيغوبيا (Segovia) بقشتالة ، قام بتأليف أول كتبه باللغة القشتالية [7] " مجموع الوصايا و الفروض الواردة في القرآن و السنة " سنة

---

[1] . رينولد كونتزي ، **ملامح دراسة النصوص الأعجمية** ، التراث الموريسكي المخطوط ، تر مُحَمَّد مُحَمَّد عبد السميع ، مكتبة الاسكندرية ، الاسكندرية ، 2015 ، ص 44 .

[2] **. أنظر الملحق رقم : 10 . 11** .

[3] .كونتزي ، **المرجع السابق** ، ص 44 .

[4] . ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 33 . 34 .

[5] **.** ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 22 .

[6] .كونتزي ، **المرجع السابق** ، ص 48 .

[7] . **أنظر الملحق رقم : 10** .

1462م [1] ثم توالت مؤلفاته بنفس اللغة منها كتاب " La Tafcira "يحتوى على تعاليم وشعائر إسلامية ، وكتاب آخر بعنوان" **مختصر العلاقات و الممارسات الروحية** " ضمنه الكثير من الأفكار الصوفية و الفلسفية لبعض العلماء أمثال الغزالي وابن رشد ، ابن سينا وابن العربي [2].

اضطر ابن جابر للتأليف باللغة القشتالية بسبب حاجة المدجنين والقشتاليين وآخرون من سكان شمال شبه الجزيرة الإيبيرية ممن لا يحسنون اللغة العربية لتعلم الشعائر الإسلامية ، بالإضافة إلى عمله إلى جانب الكاردينال خوان دي سيغورا Juan de Segura ، وبسبب تزايد اهتمام القشتاليين بالعلوم الدينية (المسيحية و الإسلامية) و قيامهم بترجمة الكتاب المقدس والقرآن الكريم[3].

و انتقل هذا النمط من الكتابات بعد ذلك إلى أراغون أين وجد أكبر عدد من المخطوطات على مقربة من نهر خالون (Jalón)[4] عن طريق أحد تلامذة ابن جابر يدعى فتى أريبالو Mancebo de Arévalo وهو من مؤلفي الأعمال الأعجمية القلائل الذين تعرف أسماؤهم ، فأغلب الكتابات الأعجمية لا يعرف أسماء أصحابها و لا تاريخ كتابة هذه الأعمال [5] أصله من قشتالة ثم انتقل للعيش في أراغون في العشرينات من القرن السادس عشر [6] ، وقد برز اسمه ضمن الأدب العقائدي الأخلاقي و الصوفي[7] من بين مؤلفاته كتاب في الفقه " Tafçira " [8].

[1] .ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 23 .

[2] . **نفسه** ، ص 35 .

[3] . أنطونيو بيسبيرتينو رودريغيث ، **مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية** ، التراث الموريسكي المخطوط ، تر مُحَّد مُحَّد عبد السميع ، مكتبة الاسكندرية ، الاسكندرية ، 2015 ، ص 157 .

[4] . **نفسه** ، ص 27 .

[5] . ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 35 .

[6] . لويس برنابييه ، **المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية** ، جامعة أليكانتي ، التراث الموريسكي المخطوط ، تر مُحَّد مُحَّد عبد السميع ، مكتبة الاسكندرية ، الاسكندرية ، 2015 ، ص 90 .

[7] . ريناو ، **المرجع السابق** ، ص 35 .

[8] **. أنظر الملحق رقم : 11 .**

و من العلماء الموريسكيين أيضا **ألونسو دي الكاستيو Alonso Del Castillo**(**ت 1019 / 1610 م**) و لد سنة 1520 م بمدينة غرناطة واضطر والده لتغيير اسمه والتحول إلى الديانة المسيحية للبقاء بالمدينة ، ولا ندري إن كان فعلا تحول إلى الديانة المسيحية أم أنه كان يمارس التقية كأغلب الموريسكيين آنذاك و ما يدعم هذه الفرضية محافظته على لغته العربية وتلقينها لابنه ألونسو الذي تعلمها إلى جانب لغات أخرى كاللاتينية واليونانية ، تخصص دي الكاستيو بدارسة الطب ومن المرجح أنه اطلع على كتب الطب العربية المتداولة بين الموريسكيين في تلك الفترة وهذه كانت إحدى وسائله للتمرن و المحافظة على اللغة العربية أيضا ، و في سنة 1555م عمل ألونسو مترجما لدى محاكم التفتيش ، ثم عين مترجما للملك الإسباني فليب الثاني سنة 1581م مقابل 200 دوكاديس في السنة[1] .

و أثناء عمله بمدريد قام دي الكاستيو بتأليف فهرس للكتب العربية الموجودة في مكتبة الأسكوريال سنة 1585م ، وبعد عودته إلى غرناطة قام بوضع فهرس للكتب العربية المحفوظة في الكنيسة الملكية ومحاكم التفتيش ، وأهم أعماله مخطوط عن قصر الحمراء قام فيه بدراسة الكتابات العربية التي تزين قصر الحمراء باللغتين العربية والإسبانية وهذا العمل محفوظ في المكتبة الوطنية في مدريد في مجلد تضمن مؤلفاته منها مخطوط " **استيعـــاب ما بغرناطة من الأشعار و التواريخ** " من خمسة وستون صفحة ، بالإضافة إلى مجموعة من الأمثال و الأشعار العربية ورسائل متبادلة مابين ملوك و أمراء عصره من بينها رسائل بين الأمير المغربي أحمد المنصور و فليب الثاني [2] وهذا العمل له أهمية كبيرة تتمثل في نقل النصوص العربية الصحيحة التي زينت قصر الحمراء قبل أن تتلاشى و تختفي مع الزمن بسبب التآكل أو الإصلاحات السيئة التي أدخلت عليها [3] .

---

[1] . صادق ، **المرجع السابق** ، ص ص 56 . 57 .
[2] . **نفسه** ، ص 58 .
[3] . **نفسه** ، ص 63 .

ومن المؤلفات التي تعود لهذه الفترة أيضا كتاب " **العز و الرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع** " لمؤلفه **إبراهيم بن أحمد بن غانم الرياش الأندلسي** ، ويعتبر الكتاب أول مؤلف عربي في مجال الصناعة الحربية ، رغم الظروف الصعبة التي مر بها المؤلف أثناء فترة تأليفه و التي سردها في مقدمة كتابه .

لُقِّبَ ابنُ غانم مؤلف الكتاب بالرياش ولفظ الرياش محرف من كلمة (Rayas) الإسبانية والتي تطلق على ربان البحر ، ولقب أيضا باسم المعجم لإتقانه اللغة الأعجمية فقد اشتهر بكتابه الذي ألفه بهذه اللغة ، أصله من قرية نولش من غرناطة ، ثم انتقل مع عائلته إلى مدينة إشبيلية بسبب صدور أمر بترحيلهم " أمر سلطان النصارى على جميع الأندلس الذين تأخروا عن الخروج الأول بالارتحال إلى بعض البلاد من بلاده الخارجة من سلطنه غرناطة "، نشأ ابن غانم مولعا بالترحال عبر البحر والمحيط الأطلسي رغم إقامته في مدينة بعيدة عن البحر ، وتمكن من ركوب السفن المسماة بالأعجمية " الغليونية " التي كانت تسافر إلى قارة أمريكا [1] .

كان في هذه السفن رجال متخصصون في الآلات الحربية يجتمعون مع من سماهم أكابر القوم للكلام حول صناعة الآلات الحربية وأحيانا يحضرون بعض الكتب المؤلفة في هذا المجال يتناقشون في مضمونها بسبب الأهمية التي كان يوليها الملوك الإسبان للصناعة الحربية وكل ما يتعلق بها ، و ابن غانم يجالسهم ويستمع إلى ما يقولونه ويطبق ما تعلمه منهم على المدافع فتعلم وحفظ عنهم الكثير[2] .

كيف تمكن ابن غانم من الولوج إلى هذه السفن ؟ هل كانت مهمته بتلك السهولة ؟ فهذه السفن عبارة عن أسطول حربي كانت تخصص للإبحار في مهمات خاصة في المحيط الأطلسي[3] وأغلب من يرتادها من رجال الجيش " و فيها جيش ورجال عارفون بآلات الحرب " [4] ،على حسب

---

[1]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 8 .
[2]. **نفسه** .
[3]. دومينغيث ، **المرجع السابق** ، ص 301 .
[4]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 8.

رواية ابن غانم دخلها ممارسا التقية فلم يكن أحد من ركابها الإسبان يعرف بأنه مسلم ، وساعده على ذلك إتقانه اللغة الأعجمية بطلاقة ، لكن من الواضح أنه كان على علاقة ببعض الإسبان من أصحاب النفوذ ربما ساعدوه على دخولها فعندما تعرض للسجن ذكر بأنه كان يعرف بعضا من الإسبان الذين ساعدوه و اعتنوا به و هو في السجن إذ يقول : " و كان لي من أكابرهم من يعينني ويصاحبني حتى خلصني الله من السجن " [1] .

و يبدو أن دخوله السجن دفعه للتفكير في الهجرة ، فغادر باتجاه تونس ولا نعرف السنة التي رحل فيها عن إسبانيا فهو لم يذكر ذلك لكنه ذكر بعض الأحداث التي نستطيع من خلالها تحديد التاريخ فقال " و في الزمن الذي أمر سلطان النصارى بإخراج جميع الأندلس من بلاده كنت مسجونا "، وكان مرسوم الطرد النهائي للموريسكيين قد أعلن عنه نائب الملك الإسباني فليب الثالث Felipe III (1578 . 1621 م) ماركيز كاراثينا Marqués de caracena في الثاني والعشرين من سبتمبر سنة 1018 هـ/ 1609 م[2] فغادر الأندلس جراء هذا القرار حوالي ثمانمائة ألف من الموريسكيين [3] .

وابن غانم وقتها كان سجينا بسبب مشكلة وقعت له مع بعض الإسبان قال أنها راجعة إلى " دعوى النفس بالشجاعة " فلم يتمكن من الرحيل ، و تخلص من السجن بمساعدة بعض من معارفه الإسبان ، و قرر بعدها مغادرة إسبانيا نحو إحدى دول العدوة ولكن هذا الخيار لم يكن سهلا حتى بعد إثباته أنه أندلسي، وفي الأخير حصل على ما يريد باستعمال المال " ثم أنفقت دراهم في الرشوات " والتحق بتونس و دخل تحت خدمة الداي عثمان[4] قبل وفاته بستة أشهر[1] وكانت وفاة هذا الأخير سنة 1019 هـ/ 1610م [1]، فنحن نرجح رحيل ابن غانم عن اسبانيا بداية سنة 1610 .

---

[1] . ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 8 . .

[2] . دومينغيث ، **المرجع السابق** ، ص 302 .

[3] . التميمي ، **المرجع السابق** ، ص 95 .

[4] . وصل الداي عثمان إلى الحكم في تونس سنة 1007 هـ/1598م و تمكن من القضاء على خصومه ، وتسيير البلاد على أحسن ما يكون فقام بسن قوانين للرعايا أطلق عليها قوانين عثمان " قام بالدولة أحسن قيام لا ترد كلمته و إذا تكلم لا يراجعه أحد "، توفي سنة

بعد وفاة الداي عثمان بقليل عاد ابن غانم ومن معه إلى تونس وهو جريح ومعهم القليل من الغنائم ، وبعد شفائه عاود الإبحار مرة أخرى و بالقرب من مدينة مالقة التقوا بمراكب الإسبان فوقع بينهم اشتباك وتعرض هو ومن كان معه للأسر ، و بقي على هذا الحال سبع سنين ثم تخلص من الأسر ودخل مدينة تونس مرة أخرى ، وتلقى أمرا من الداي يوسف (1019 . 1047هـ / 1610 . 1637 م)[3] يأمره بالبقاء بحلق الواد و فيها أكمل معرفته بالآلات الحربية " وفيها أكملت معرفة الآلات المراجع بالاشتغال بيد وفيها وبالقراءة في كتب الفيزياء بالأعجمية " [4] .

و في حلق الوادي أيضا قرر ابن غانم تأليف كتابه الذي تضمن كل ما توصل إليه من معارف في مجال الآلات الحربية ، وكان السبب المباشر لاتخاذه هذا القرار هو عدم إلمام فرقة المدفعية في تونس بطريقة استعمال هذه الآلات[5]، يبدو أنه لم يكن السبب الوحيد فمن الواضح أنه تلقى الدعم والتشجيع من الداي يوسف لتأليف الكتاب فقد عرف عنه اهتمامه بالجهاد البحري و بحبه لتجهيز المراكب للغزو وجلبه لرؤساء البحر ، وفي أيام هذا الداي بلغ عدد المراكب في تونس خمسة عشر مركبا ضخما " و كانت لمراكبه سمعة و هيبة " [6]، و ما يرجح ذلك أيضا حصوله على مرتب أثناء إقامته في حلق الوادي إذ يقول :" و الأمير يوسف داي أمرني بالقعود في حصن حلق الوادي و نحن من أهل الجيش في الراتب "[7]، فألف هذا الكتاب الذي ضمنه كل المعارف التي توصل إليها لكن

1019 هـ/ 1610 م . أنظر مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار ، **المؤنس في اخبار إفريقية و تونس** ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1286 هـ/ 1869م ، ص ص 191 . 193 .

[1] . ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 08 .

[2] . ابن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 193 .

[3] . تولى منصب الداي بعد وفاة عثمان داي مباشرة ، و كان هذا الأخير قد رشحه في حياته لتولي الحكم من بعده فقد كان صهره زوج ابنته ، اهتم يوسف داي بالجهاد البحري و بالعمران وبنى المساكن والمدارس و الأسواق .أنظر ابن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 193 وما بعدها .

[4] . ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 09 .

[5] . **نفسه** .

[6] . ابن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 194 .

[7] . ابن غانم ، **المصدر السابق** ، 09 .

باللغة الأعجمية متأملا أن يجد من يترجمه إلى اللغة العربية لكي يستفيد منه المسلمين في جهادهم ضد أعدائهم " ولا قصدت به نفعا دنيويا بل الاخلاص لله لنكتب منه نسخا ونبعثها إن شاء الله لبعض المواقع من بلاد المسلمين ... بتفريج المسلمين بإتقان أعمالهم وتخويف أعدائهم الكافرين " [1] .

و ترجمه إلى اللغة العربية **أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي (ت ما بعد 1048 هـ/ 1638م)** [2] ولد في إحدى قرى غرناطة ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة إشبيلية التي نشأ ودرس فيها [3]، نجح في الفرار نحو المغرب الأقصى [4]، و دخل تحت خدمة الأمير السعدي مولاي زيدان بن أحمد المنصور (1012 . 1037هـ)[5] الذي عينه كاتبا ومترجما للنصوص الأعجمية في بلاطه فترجم له ولأبنائه من بعده [6]، حظي ابن القاسم بهذه المكانة عند السعديين بسبب اتقانه اللغتين العربية والأعجمية وقد تعلم اللغة العربية في صغره " أول ما تكلمت به ببلاد الأندلس كان بالعربية "ما يؤكد محافظة بعض الأسر الموريسكية على تلقين أبنائها اللغة العربية والتعاليم الإسلامية رغم الترهيب الذي كانت تمارسه محاكم التفتيش ، ثم أجبرته الظروف على تعلم اللغة الأعجمية التي فتحت له أبواب الملوك حسب قوله: " ثم رأيت أنه بسبب التعليم أنه كان بنية القرب من الله ببلاد المسلمين فتح لي بذلك العلم المنهي عن تعليمه بيبان الملوك المسدودة "[7].

---

[1] . ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 09 . .

[2] . هو أحمد بن قاسم بن أحمد الفقيه قاسم شهاب الدين ابن الشيخ الحجري الأندلسي أصله من إشبيلية انتقل إليها من قرية حجر إحدى القرى التابعة لغرناطة ، عكف على دراسة الإسبانية عدة سنوات حتى أتقنها ، و امتهن ابن القاسم الترجمة من الإسبانية إلى العربية ، ثم انتقل إلى المغرب سنة 1007 هـ/ 1598م وبقي فيها إلى غاية سنة 1047 هـ/ 1637م وأصبح مترجم السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي ،كما كان يكتب رسائله باللغة الإسبانية . أنظر الزركلي ، **المرجع السابق** ، ج 1 ، ص 198 ؛ التميمي ، **المرجع السابق** ، ص ص 91 . 92 .

[3] . الزركلي ، **المرجع السابق** ، ج 1 ، ص 198 .

[4] . التميمي ، **المرجع السابق** ، ص 91 .

[5] . تولى الحكم بتزكية من والده الأمير أحمد المنصور ، لكنه لم يهنأ بالحكم فقد قضى فترة طويلة جدا في محاربة المناوئين لحكمه من أشقائه وأبنائهم "كان السلطان زيدان من لدن مات أبوه المنصور وبويع هو بفاس في محاربة مع إخوته و أبنائهم و مقاتلة مع القائمين عليه من الثوار " أنظر السلاوي ، **المصدر السابق** ، ج 6 ، ص 3 و ما بعدها بعدة صفحات .

[6] . ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 121 .

[7] . **نفسه** .

واختاره إبراهيم بن غانم لترجمة كتابه من الأعجمية إلى العربية وعرض عليه الفكرة عند لقائهما في تونس بعد عودته من أداء مناسك الحج ، ووافق على طلبه بعد اطلاعه على محتوى الكتاب " ورأيت بنيته الصالحة أن الكتاب يكون فيه نفع وعون لهم على الكفار المشركين ... فعزمت على تعريبه "[1]،و لا نعلم هل كان ابن غانم و ابن القاسم يعرفان بعضهما قبل هذا التاريخ ؟ من المرجح أن يكون ابن غانم قد عرفه قبل نزوحه من الأندلس فقد نشأ الاثنان في مدينة إشبيلية ، وربما عرفه عند مروره بتونس أثناء رحلته لأداء الحج فابن القاسم أثناء تذييله لكتاب ابن غانم وصفه بأخينا وحبيبنا ، لكن لو كانا ابن غانم على معرفة سابقة بابن القاسم لما حمل عبأ من يترجم كتابه إلى اللغة العربية وقد ذكر ذلك في مقدمة الكتاب " و نسأل الله أن يقبل النية ، أنها أبلغ من العمل ، وأن ييسر لي من يعربه بالعربية من الكلام الإشبانيول"[2]، وبعد انتهائه من تأليف كتابه بقي مدة ينتظر من يترجمه إلى اللغة العربية إلى أن حل ابن القاسم بتونس سنة 1047 هـ/ 1637م[3]، فذاع صيته ووصلت أخباره لابن غانم فقصده وطلب منه ترجمة الكتاب " لأنه علم أن بمدينة مراكش كنت ترجمان السلطان مولاي زيدان " [4].

و شرع ابن القاسم في ترجمة الكتاب في نفس السنة وهي السنة التي اعتلى فيها أبو المحاسن مراد داي [5]سدة الحكم في تونس [6] ، و لا نعلم إن كان ابن القاسم قد دخل تحت خدمة الأمير و هو في تونس أم لا فقد تكلم عن إنجازاته بكثير من الأعجاب واصفا إياه "بفخر الأمراء و مالك زمان الفضلاء "، و عند الانتهاء من ترجمة الكتاب اعتبره من الأحداث السعيدة التي عرفتها تونس في عهد

---

[1]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 120 .

[2]. **نفسه** ، ورقة 09 .

[3]. التميمي ، **المرجع السابق** ، ص 92 .

[4]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 121 .

[5]. وصل إلى الحكم سنة 1047 هـ/ 1637م بعد وفاة يوسف داي ، عاشت تونس في عهده فترة من الرخاء حيث قام بتحديد الأسعار " وكانت أيام أصطا مراد هذا من أحسن الأيام كانت له صولة و هيبة " قام ببناء مرسى غار الملح ، و أمر بإزالة المخامر المنتشرة بين الأزقة . أنظر أبن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 197 و ما بعدها ؛ ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 122 .

[6]. ابن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 197 .

هذا الداي " و هو أيضا من سعادته و بركاته إذ ظهر في أيامه السعيدة " [1]، وكان ابن القاسم قد انتهى من ترجمة الكتاب في العاشر من ربيع الثاني سنة 1048 هـ/ 1638م وأطلق عليه اسم " **العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع** "بعد موافقة مؤلفه ابن غانم الرياش [2].

كما ألف ابن القاسم بعض الكتب للرد على معتقدات اليهود والنصارى منها كتاب " **ناصر الدين على القوم الكافرين وهو السيف الأشهر على كل من كفر** "، و تعود فكرة الكتاب إلى الزيارة التي قام بها إلى إسبانيا وفرنسا وهولندا ضمن السفارة التي أرسلها الأمير زيدان لتقديم مذكرة احتجاج على سوء المعاملة التي تعرض لها الموريسكيون اللاجئون إلى المغرب من المسيحيين خلال سفرهم بعد صدور قرار الطرد النهائي لهم[3]، و خلال هذه الزيارة التقى بمجموعة من القساوسة والرهبان وعقد معهم مناظرات دينية ، ولأجل ذلك قرأ الإنجيل وغيره من الكتب للرد عليهم " فقرأت الإنجيل و غيره بسببهم للرد عليهم من كتبهم فنصرني الله عليهم مرارا عديدة "كما قرأ التوراة لمناظرة بعض الكهنة اليهود الذين التقاهم بفرنسا ، ثم قرر أن يجمع مناظراته هذه في كتاب بتشجيع وطلب من بعض العلماء منهم أبو الحسن علي الأجهوري الذي التقاه بمصر و هو عائد من أداء فريضة الحج ، و قاضي مراكش عيسى بن عبد الرحمن السكتي الذي شبه مناظراته لليهود والنصارى بالجهاد "... و فرحت بذلك إذ جاهدنا معهم " [4].

و له كتاب آخر في نفس المجال أسماه " **مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى و المسلمين من قول الأنبياء والمرسلين و العلماء الراشدين** " لكن هذه المرة جمع فيه ماجاء على لسان الأنبياء و العلماء الذين قرؤا الإنجيل ، يقول ابن القاسم أن ما تضمنه كتابه لم يرد في أي كتاب آخر واصفا

---

[1]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 122 .
[2]. **نفسه** ، ورقة 123 .
[3]. التميمي ، **المرجع السابق** ، ص 92 .
[4]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 125 .

إياه " بغريب الوجود "[1] تمكن ابن القاسم الحجري من التغلب على محنته باستغلال اللغة التي أجبر على تعلمها وحولها إلى مصدر نعمته و نجاحه وسلاحا أشهره للجهاد ضدهم و دحض معتقداتهم الفاسدة " وما بلغت لما قلت إلا بسبب أنني تعلمت القراءة بالأعجمية بغية الخروج من بلاد الكفار إلى هذه الديار "[2].

كان لعلماء غرناطة دور كبير في الجهاد ضد الإسبان بالقلم ، و السيف وحضور في أغلب المعارك التي شهدتها المملكة فاستشهد العديد منهم ، و أسر آخرون ، وبعد تغلب الإسبان على أغلب المدن انقسم العلماء إلى فئتين ، فئة هاجرت و استقرت في الحواضر المغربية و المشرقية المختلفة وواصلت مسيرتها العلمية من هناك ، و فئة أخرى رفضت خيار الهجرة وتمسكت بالبقاء في وطنها وإن كان عدد هؤلاء قليل و أغفلت ذكرهم كثير من المصادر .

و على الرغم من إجراءات محاكم التفتيش القاسية و التضييق و القمع الذي مارسه الإسبان عليهم لمحو معالم الإسلام والعروبة بعد نقض معاهدة التسليم لم يستسلموا و لم يتوقف انتاجهم العلمي و الفكري و ابتكروا طرقا للمحافظة على دينهم و لغتهم من الزوال و المسخ .

---

[1] - ابن القاسم الحجري ، **مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى و المسلمين** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، الجزائر ، ضمن مجموع تحت رقم 1557 ، ورقة 47 .

[2]. ابن غانم ، **المصدر السابق** ، ورقة 125 .


الخاتمة

تقلص حكم المسلمين في الأندلس مع نهاية القرن 7 هـ / 13 م و اقتصر على مملكة صغيرة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة تضم بضع مدن فقط حكمها أمراء بني الأحمر ،كانت تعاني الضعف في شتى المجالات خاصة في المجال السياسي والعسكري ، فانتشرت الفتن والاضطرابات وساد الانحلال في كل أجهزة الدولة .

و على النقيض من ذلك ازدهرت الحياة العلمية و الفكرية في المملكة ونبغ العديد من العلماء في فروع العلوم المختلفة و ذاع صيتهم في بلاد المغرب والمشرق ، كالإمام الشاطبي وأبي الحسن القلصادي و مُحَّد بن عاصم في الفقه ، و أبي الحسن بن الجياب وأبي عبد الله بن زمرك في الأدب ، وابن هذيل التجيبي في الطب ، ولسان الدين بن الخطيب الذي شكل ظاهرة علمية بإلمامه بأغلب العلوم الموجودة آنذاك كالفقه والأدب والفلسفة والطب و التصوف فكان حضوره طاغيا على الساحة الفكرية والسياسية معا .

لم تخل حياة هؤلاء العلماء من النكبات و الشدائد فأصابت الكثير منهم محنا عظيمة اختلفت أسبابها ونتائجها من عالم لآخر على حسب شجاعته و قوة تحمله و الظروف المحيطة به ، فمنهم من تصدى لها وتمكن من تجاوز عقباتها بكل شجاعة وحزم ، و منهم من استسلم أمامها وآثر الرحيل هربا من تبعاتها و عاش ما تبقى من حياته بعيدا عن أهله ووطنه ، ومنهم من تسببت المحنة في هلاكه.

و المحنة هي الاختبار الذي يصيب الأفراد أو الجماعات من الله أو واحد من الحكام وذوي السلطان (ملك ، أمير ، وزير ، والي) فيكون امتحانا لثباتهم على الحق والمنهج الصحيح ، وامتحانا أيضا لصبرهم و شجاعتهم في مقارعة الباطل و مجابهته .

و للمحن أنواع و أوجه متعددة منها " الابتلاء " و هو الضرر الذي يصيب الانسان في نفسه ، أو في أهله وولده ، أو في ماله أو ما يملكه من ماديات ، وقد ابتلي الكثير من العلماء في الفترة محل الدراسة بأمراض أضعفت كاهلهم ، أو بعاهات بدنية كفقدان حاسة من الحواس ، أو الزمنى ، أوبلوثة سببت لهم الجنون ، وآخرون أصابهم الحزن والكدر الملازم نتيجة فقدان الأهل أو الولد بالمرض ، بل وصل الأمر إلى هلاك البعض منهم .

وأكبر الابتلاءات وباء الطاعون الذي اجتاح مملكة بني الأحمر في منتصف القرن 8 هـ / 14 م و ظل يظهر دوريا كل بضع سنوات حاصدا في كل مرة الآلاف من الضحايا عددا كبيرا منهم كانوا من العلماء ، فانعكست هذه المحنة على أعمالهم وتأثرت الحياة العلمية برحيلهم و تعطلت المدارس والكتاتيب و مؤلفات و كتب كانت بصدد الانجاز .

ثانيا محن العلماء على يد الحكام و ذوي السلطان : تمكن الكثير من العلماء فقهاء ، أدباء، أطباء وغيرهم من الولوج إلى معترك السياسة وغاصوا في دهاليز السلطة وحصلوا على مناصب داخل بلاط بني الأحمر في الوزارة و ديوان الكتابة والقضاء وسفراء مبعوثين للملوك والأمراء فأبلوا بلاءً حسنا و بذلوا جهدهم و أعمارهم خدمة لأمراء بني الأحمر و على الرغم من ذلك كانت نهاية الكثير منهم إما السجن أو النفي أو القتل بأبشع الطرق ومن تمكن من النجاة منهم عاش منزويا يعاني الأمرين .

ثالثا محن العلماء على يد العدو : استغل الإسبان حالة الضعف والفتن السائدة بين الأندلسيين فوحدوا قوتهم و زحفوا نحو مملكة بني الأحمر يسقطون المدينة تلو الأخرى حتى وصلوا إلى غرناطة فقاموا بحصارها عاما كاملا ، ولم يجد الأندلسيون الدعم في محنتهم لا من المغاربة و لا من المشارقة وتركوا لوحدهم يواجهون مصيرهم المحتوم أمام قوة الإسبان الضاربة المدعومة من البابوية والأوربيين معا إلى أن سقطت غرناطة في أيديهم سنة 897 هـ/ 1492م و أجبر آخر أمرائها على توقيع معاهدة الاستسلام .

لم يكن العلماء بمنأى عن هذه المحنة التي حلت بوطنهم فمنذ البداية كانوا السباقين لتوحيد الصفوف بإلقاء الخطب و المواعظ ترغيبا في الجهاد ، مشاركين في أغلب المعارك التي شهدتها المملكة ، فاستشهد عدد كبير منهم .

و بعد تغلب الإسبان على أغلب مدن المملكة انقسم العلماء فمنهم من شد الرحيل نحو الحواضر المغربية أو المشرقية وواصلوا مسيرتهم العلمية من هناك والقليل منهم فقط آثروا البقاء في وطنهم وعاشوا بمعية من تبقى معهم من الأندلسيين محنة عظيمة خاصة بعد نقض الإسبان لمعاهدة التسليم وفرضهم لإجراءات التنصير القسري ، ومنع التدريس باللغة العربية ، وإتلاف وإحراق المؤلفات والكتب ، ومنع الدروس الدينية وغيرها من الإجراءات القاسية التي طبقها الإسبان وأسسوا من أجل تنفيذها محاكم خاصة سميت بمحاكم التفتيش والتي ارتكبت في حق الأندلسيين جرائم لم يسبق لها مثيل في التاريخ الانساني .

و رغم قسوة هذه الإجراءات حافظ المسلمون على دينهم ولغتهم معتمدين على ممارسة التقية، وابتكروا طرقا ووسائل للإبقاء و المحافظة على موروثهم الحضاري من الزوال فألفوا كتبا باللغة الأعجمية " الألخاميادية " و هي عبارة عن كتابات باللغة الرومانثية أو الإسبانية الوسيطية كتبت باليد بالأحرف العربية ، تنوعت مواضيع هذه الكتابات ما بين الأدعية والمدائح النبوية والمجادلات والمناظرات العلمية مع اليهود والنصارى و تعاليم لقراءة القرآن و توزيع الميراث و الطب الشعبي وغيرها ، احتفظوا بها سنوات طويلة بعيدا عن أعين الإسبان في مخابئ داخل جدران و أسقف منازلهم .


الملاحق

الملحق رقم : 01 (مملكة غرناطة أثناء حكم بني الأحمر)

مملكة البرتغال

مملكة قشتالة

مملكة أراغون

مملكة غرناطة

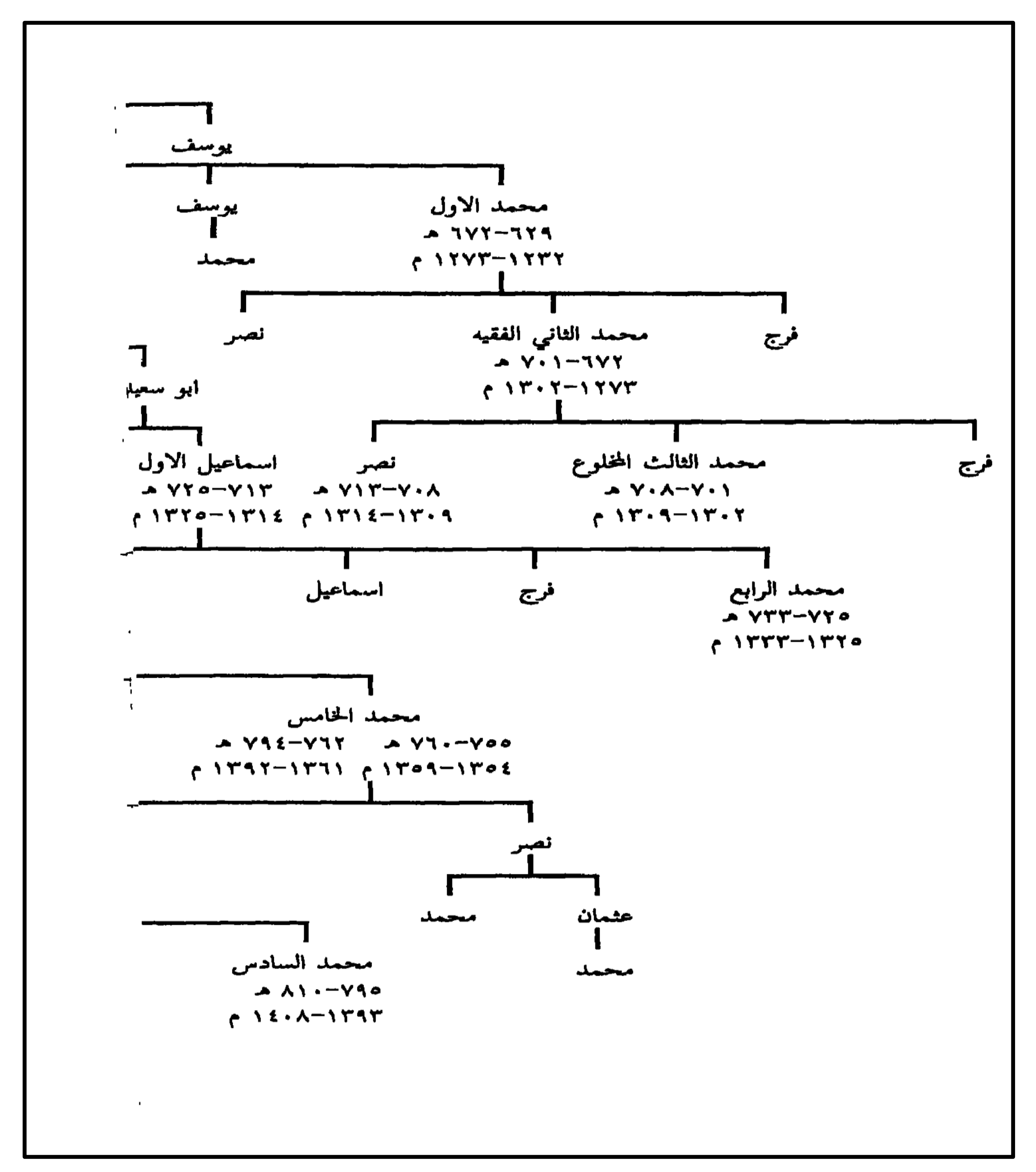
مملكة غرناطة في القرنين
8 - 9 هـ / 14 - 15 م

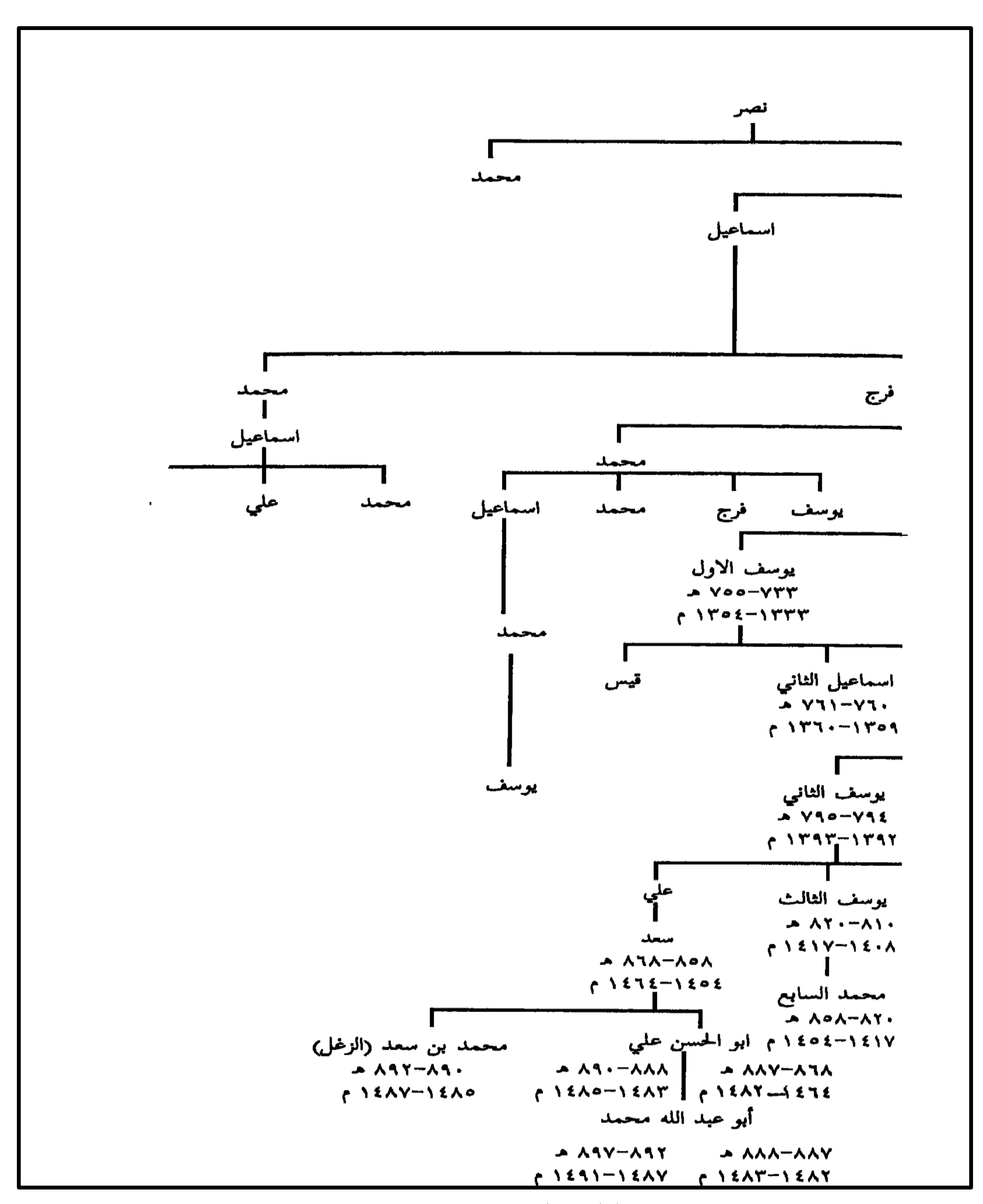
سنتياغو
ليون
نافار
بمبلونة
سرقسطة
برشلونة
بلد الوليد
سلمنقة
قورية
كاستلون
فالنسية
بطليوس
كالاترافا
اليكانتي
لاس نافاس
مرسية
قرطبة
قرمونة
اشبيلية
نبلة
انتكويرا
قادس
مالقة
المرية
جبل طارق



الملحق رقم :02

أمراء بنو الأحمر ملوك غرناطة



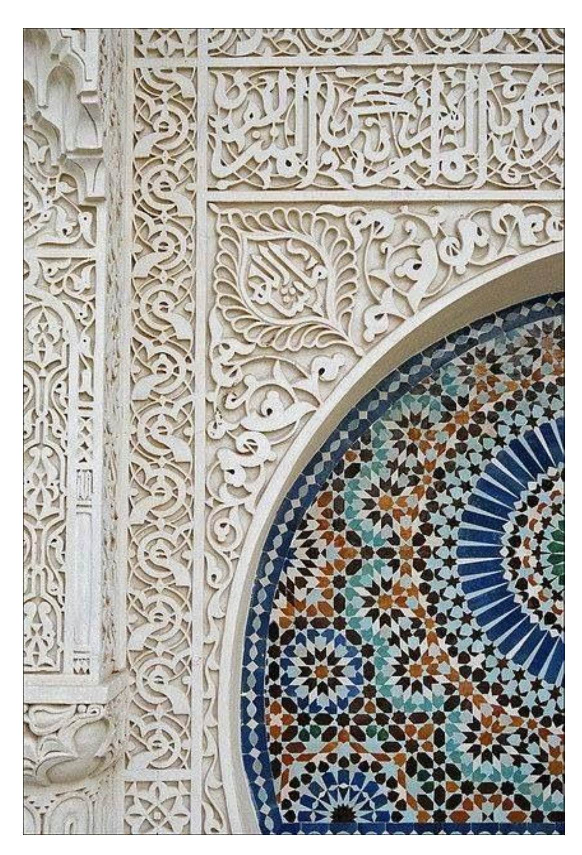


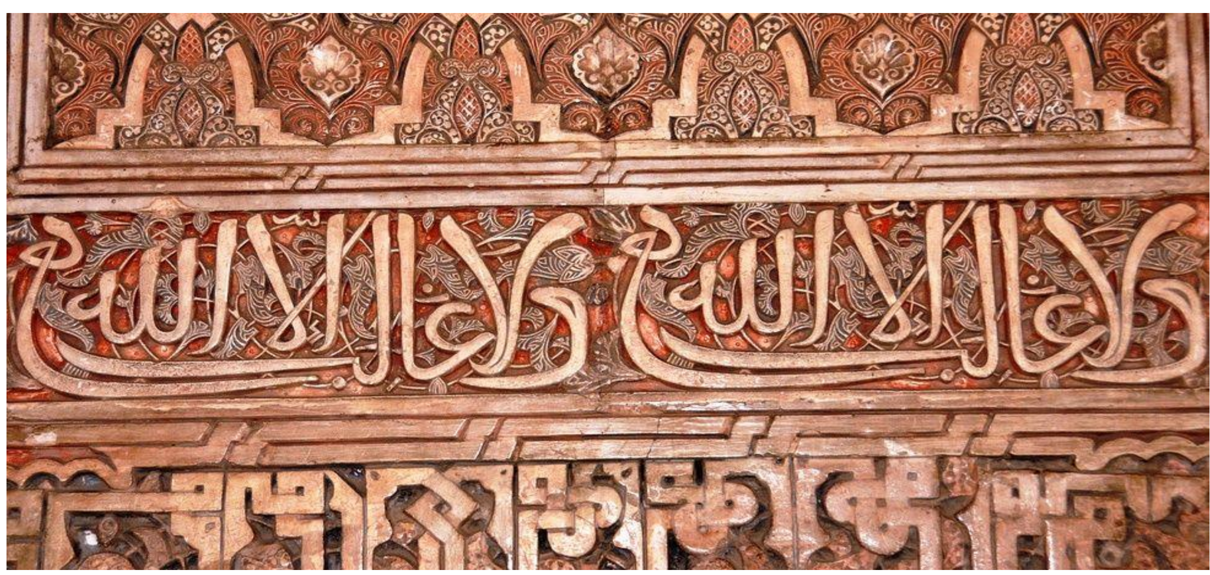
شكري ، <u>المرجع السابق</u> ، ص ص 56 . 57 .

الملحق رقم : 03

نماذج من الزخارف التي تزين قصر الحمراء







عبد الواحد أكمير ، **قصر الحمراء ذاكرة الأندلس** ، منشورات مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات ، الرباط ، المغرب ، 2015 ، ص ص 12 . 13 ؛ بوحسون ، المرجع السابق ، ص 297 .

الملحق رقم : 04

" رسالة الفقيه مُحَّد بن بكر بن سعيد الاشعري المالقي إلى الأمير الأمير يوسف الأول (733 . 755هـ / 1333 . 1354 م) "

" الحمد لله مولاي . أمدك الله بتوفيقه ، وحملك من الرشاد على أوضح طريقة أسلم عليك وأسألكم ، حققت رجاء الآملين وسائلكم ، و لا خاب من قصد لديكم قاصدكم وسائلكم ، ما كان من حديثي الذي لم يزل ذا قدم صدق في خدمة الإيالة الإسماعيلية و بنيها ، و خاصتها وذويها، وادا لا ودائها، نائبا عن متاربها ، يرفع لنصحها في كل ميدان خدمة لواء ، ويؤم أولياءها ثقة و أعداءها مقتا و لواء ، ويجر من نصحها من حسن الطوية رداء ، إلى أن تحمل من عدوى الجوار داء ، وجعل لصاحب الجريمة ...حنانيك أعد النظر فما هي إلا القيت يقرقر بها قرقرة زجاجة ، من قضابها لغيرك فيما أخبث حاجة ، و إن كان وقع لما ألقاه في الأمر شيء من البأس ، و حضر لما زينه و أعانه عليه قوم أخرون من الناس ، فما بنا من ظهور الحق لديك إياس ، و حاشاك أن يخفض للجوار بحضرة عهدك الكريم كبير أناس ، فاعرض عما تسوله الشياطين الأنس و تحليه ، و تعده من الأباطيل و تمنيه ، و عد عما يزخرفه كل خف مزق القول منها فيستند كل نقل روايته إلى أصل غير ثابت ، فيربط قياس رؤيته بما أطمع خضراء الدمن نابت ، قد غمس في آل القاضي يمين طمعه ، وجزاه على غموس اليمين فرط هلعه ، فما ينطق لسانه إلا بما يجعل في كفه من الصامت ، و اعتمد مشورة ناصح لك بإلغاء حذر الوشاة فتخافت ، و إذا حضرك الغاوون المستبغون ، و ألقوا من حبال كيدهم و عصى مكرهم ماهم ملقون ، فتعوذ بالله من شر ما يشركون ، واستحضر من الحق كلمة تلقف ما يأفكون ...ثم اسمع من لسان الحال ، و هو أفصح من لسان المقال ، حجة من اعتاد سيلان الفضائل من يديك ، ومثله جاثيا للاحتكام لديك ، أليس من قواعد الحكم نظر حال المدعى وحال المدعى عليه ، و من يليق به ما عزى له و من لا يناط به ما نسب إليه هل يستويان مثلا ، أويتقربان قولا ، و يتقارنان عملا أو يتباعدان بعد المشرقين ، و يتباينان فوق ما بين عطاردين ..."

النباهي ، **المصدر السابق** ، ص ص 143 . 144

الملحق رقم : 05

" رسالة لسان الدين بن الخطيب إلى الأمير مُحَّد الخامس الغني بالله بن الأحمر "

" ...مولاي كان الله لكم وتولى أمركم أسلم عليكم سلام الوداع ، وأدعو الله في تيسير اللقاء والاجتماع ، بعد التفرق و الانصداع ، و أقرر لديكم أن الانسان أسير الأقدار ، مسلوب الاختيار ، متقلب في حكم الخواطر و الأفكار ، و أن لابد لكل أول من آخر و أن التفرق لما لزم كل اثنين بموت أو حياة ، و لم يكن منه بد ، كان خير أنواعه الواقعة بين الأحباب ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور ... و إن فسح الله في الأمد ، و قضى الحاجة فأملي العودة إلى ولدي و تربتي ، وإن قطع الأجل ، فأرجو أن أكون ممن وقع أجره على الله ...فإن كان تصرفي صوابا ، و جاريا على السداد ، فلا يلام من أصاب ، و إن كان حمق ، و فساد عقل ، فلا يلام من اختل عقله ، و فسد مزاجه ، بل يعذر ويشفق عليه ، و يرحم ، وإن لم يعط مولاي أمري حقه من العدل ، و جلبت الذنوب ، و حشرت بعدي العيوب فحياؤه و تناصفه ينكر ذلك ، و يستحضر الحسنات ، من التربية والتعليم وخدمة السلف و تخليد الآثار و تسمية الولد و تلقيب السلطان ، و الإرشاد للأعمال الصالحة و المداخلة و الملابسة ، لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال و لا سر ، و لا غش في تدبير ولا تعلق به عار ، و لا كدره نقص و لا حمل عليه خوف منكم ، و لا طمع فيما بيدكم ... و أنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال ، فهو عندي أهون متروك ، ولا بولد فهم رجالكم و خدامكم ، وممن يحرص مثلكم على الاستكثار منهم ، ولا بعيال فهي من مربيات بيتكم ، و خواص داركم أنما أوصيكم بحظي العزيز كان علي بوطنكم ، وهو أنتم فأنا أوصيكم بكم فاراعوني فيكم خاصة أوصيكم بتقوى الله و العمل لغد ، وقبض عنان اللهو في موطن الجد ، والحياء من الله الذي محص وأقال ، و أعاد النعمة بعد زوالها " لينظر كيف تعملون " وأطلب منكم عوض ما وفرته عليكم من زاد طريق ، و مكافأة وإعانة ، زادا سهلا عليكم ، و هو أن تقولوا لي : غفر الله لك ما ضيعت من حقي خطأ أو عمدا ، و إذا فعلتم ذلك فقد رضيت ..."

ابن خلدون ، **التعريف بابن خلدون** ، ص 158 . 162.

الملحق رقم : 06

الصفحة الأخيرة من معاهدة تسليم مدينة غرناطة



عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 253

الملحق رقم :07

رسالة الأمير أبو عبد الله بن الأحمر إلى الأمير الوطاسي " الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس "

"...هذا مقام العائذ بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المترجي لعواطف قلوبكم ، وعوارف أنعامكم ، المقبل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، و ماذا الذي يقول من وجهه الخجل ، وفؤاده وجل ، و قضيته المقضية عن التنصل و الاعتذار تحل ... و ما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إن النفس لأمارة بالسوء " هذا على طريق التنزل و الإتصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حيز الإنصاف ، و أما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته الأم ابنة الصديق: "و الله إني لأعلم أني إن أقررت بما يقوله الناس ، و الله يعلم أني منه بريئة ، لأقولن مالم يكن ، و لئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوني فأقول ما قاله أبو يوسف: صبر جميل ، و الله المستعان على ما تصفون "...على أني لا أنكر عيوبي ، فأنا معدن العيوب ، و لا أجحد ذنوبي ، فأنا جبل الذنوب ، إلى الله أشكو عجري و بجري ، و سقطاتي و غلطاتي...و لقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة ، خير فيها و أعطى من أمانة ، المؤكد فيه خطة بأيمانه ، ما يقنع النفوس و يكفيها فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصفر و لا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهراني الكفر...وامتثالا لوصاة أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالة و جلالة ، إذ قد روينا عمن سلف من أسلافنا ، في الإيصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ، ألا يبتغوا إذا داهم بالحضرة المرينية بدلا ، و لا يجدوا عن طريقها في التوجه إلى فريقها معدلا ، فاخترقنا إلى الرياض الأريضة الفجاج ، وركبنا إلى البحر الفرات ظهر البحر الأجاج ، فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين ، و يشفى النفس الشاكية من ألم البنين و من توصل هذا التوصل ، و توسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين..."

المقري ، **أزهار الرياض** ، ج 1 ، ص 72 و ما بعدها

الملحق رقم: 08

رسالة الموريسكيين للسلطان العثماني بايزيد الثاني

" الحضرة العلية ، وصل الله سعادتها ، وأعلى أنصارها ، وأذل عداتها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قامع أعداء الله الكافرين ، كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا مُحَمَّد عليه السلام ، محي العدل ، ومنصف المظلوم ممن ظلم ، ملك العرب والعجم ، والترك والديلم ، ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، ملك البرين ، وسلطان البحرين ، وحامي الذمار ، وقامع الكفار ، مولانا وعمدتنا ، وكهفنا وغياثنا ، مولانا أبو يزيد ، لازال ملكه موفور الأنصار ، مقرونا بالانتصار ، مخلد المآثر والآثار ، مشهور المعالي والفخار ، مستأثرا من الحسنات ما يضاعف الله به الأجل الجزيل ، في الدار الآخرة والثناء الجميل ، والنصر في هذه الدار ، ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ، مجردة على أعداء الدين من بأسها ، ما يروى صدور السمر والصفاح وألسنة السلاح ، بأذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخاير مفارقة الأرواح للأجساد ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الاشهاد... " واتبعت الرسالة بقصيدة طويلة تجاوزت المئة بيت يصفون فيها ما كانوا يكابدونه على يد الإسبان .

المقري ، **أزهار الرياض** ، ج 1 ، 108 وما بعدها .

الملحق رقم : 09

" رد الفقيه الوهراني أبي عبد الله المغراوي على رسالة الموريسكيين بتاريخ : 1 رجب 910هـ / 28 نوفمبر 1504 م "

" الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم تسليما إخواننا القابضين على دينهم ، كالقابض على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا في ذاته ، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته ، الغرباء القرباء إن شاء الله ، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق ، نسأل الله أن يلطف بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعات حقه ، بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا بعد السلام عليكم ، من كاتبه إليكم ، من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم إلى عفوه ومزيده عبيد الله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني كان الله للجميع بلطفه وستره سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار ومؤكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام آمرين به من بلغ من أولادكم إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله فاعبدوه واصطبروا لعبادته ، فالصلاة ولو بالإيماء ، والزكاة و لو كأنها هدية لفقيركم أو رياء ، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم ، والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور ، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ، وتسقط في الحكم طهارة الماء ، وعليكم بالتيمم ولو مسحا بالأيدي للحيطان فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به فاقصدوا بالإيماء نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام فأتوا منه ما استطعتم وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية ، وانووا صلاتكم المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون إليه

من صنم ، ومقصودكم الله ، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام ، وان أجبروكم على شرب الخمر ، لا بنية استعماله ، وإن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ، ومعتقدين تحريمه وكذا إن أكرهوكم على محرم ، وإن زوجوكم بناتهم ، فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم ، فاعتقدوا تحريمه لولا الاكراه ، وإنكم ناكرون لذلك بقلوبكم ، ولو وجدتم قوة لغيرتموه ،وكذا إن اكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم ، ثم ليس عليكم الا رؤوس أموالكم ، وتتصدقون بالباقي ، إن تبتم لله تعالى ، وإن أكرهوكم على كلمة الكفر ، فإن أمكنكم التورية و الألغاز فافعلوا ، والا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك ، وإن قالوا اشتموا مُحَمَّدا فإنهم يقولون له ممد فاشتموا ممد ، ناوين أنه الشيطان أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه ، وإن قالوا عيسى ابن الله ، فقولوها ان أكرهوكم وانووا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود بحق وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراها ، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أويحل به ، وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء ، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن ، أو زوجها الله منه بقضائه وقدره وإن قالو عيسى توفي بالصلب فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره ، وإظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو ، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون ، وأنا أسأل الله أن يديل الكره للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهرا بحول الله من غير محنة ولا وجلة ، بل بصدمة الترك الكرام ، ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به ولابد من جوابكم والسلام عليكم جميعا ، بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مائة ، عرف الله خيره " " يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى... " .

عنان ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص ص 342 . 344 .

الملحق رقم : 10

صورة من مخطوط " المختصر السني " لمفتي سيغوبيا عيسى بن جابر



التراث الموريسكي المخطوط ، **المرجع السابق** ، ص 218 .

الملحق رقم : 11

صورة من مخطوط " Tafçira " (كتاب في الفقه) لفتى أريبالو



التراث الموريسكي المخطوط ، **المرجع السابق** ، ص 219 .

الملحق رقم : 12

" وصية لسان الدين بن الخطيب لأبنائه "

" الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب ، إذا شم نجمه المثقوب ، و لا يبغته الأجل المكتوب ، ولا يفجوه الفراق المعتوب ، ملهم الهدى الذي تطمئن به القلوب ، و موضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة في قسم الوجوب ، لاسيما للولي المحبوب ، و الولد المنسوب ، القائل في كتابه المعجز الاسلوب ، " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب " ، " ووصى بها إبراهيم بنيه يعقوب " والصلاة و السلام على سيدنا و مولانا رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب ، و أشرف من خلعت عليه حلل المهابة و العصمة ، فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب ، و الرضا عن آله و أصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ، و الأمل المسلوب ، و الاقتداء الموصل المرغوب ، والعز و الأمن من اللغوب .

وبعد ، فإني لما علاني المشيب بغمته ، و قادني الكبر في رمته ، وادكرت الشباب بعد أمته، أسفت لما أضعت ، و ندمت بعد الفطام على ما رضعت ، و تأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعية ، و تعلق بسعي سعيه ، وأملت أن تتعدى إلى ثمرات استقامته ، و أنا رهين فوات ، وفي برزخ أموات و يأمن العثور في الطريق التي قضت عثارى إن سلك . و عسى الا يكون ذلك . على آثاري : فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله في توفيقهم ، وإيضاح طريقهم و جمع تفريقهم وأن يمن على فيهم بحسن الخلف ، و تلافي من قبل التلف ، و أن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو ولي ذلك ، و الهادي إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم من بأنواره يهتدى الضلال ، و برضاه ترفع الأغلال ، و بالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، و أخلفت الآمال ، و تبرأت من يمينها الشمال ، إني مودعكم و إن سالمني الردى ، و مفارقكم و إن طال المدى ، و ما عدا مما بدا ، فكيف و أدوات السفر تجمع ، و منادى الرحيل يسمع ، و لا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر ، و عجالة مقتصر ، و رتيمة تعقد في خنصر

ونصيحة تكون نشيدة واع و مبصر ، و تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي و توضح لكم الشفقة و الحنو قصدي حسبما تصمن وعد الله من قبل وعدى ...و عليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، و في وجه الديانة كلوم ، و من الشريعة التي لا يعذر جهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، و حافظوا على الحشمة و الصيانة ، و لا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، و لا توجدوا للغدر قبولا ، و لا تقرروا عليه طبعا مجبولا ، واوفوا بالعهد غن العهد كان مسئولا ، و لا تستأثروا بكنز و لا خزن ، و لا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل و لا حزن و لا تبخسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن و الله الله أن تعينوا في سفك الدماء و لو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، و اعلموا أن الانسان في فسحة ممتدة ، وسبيل الله غير منسدة ، ما لم ينبذ إلى الله بأمانة ، و يغمس في الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سننا قويما ، وجلى من الجهل و الضلال ليلا بهيما : " و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذابا عظيما " ...و إياكم و طلب الولايات رغبة و استجلابا ، و استظهارا على الحظوظ و غلابا فذلك ضرر بالمروءات و الأقدار ، داع إلى الله الفضح و العار و من امتحن منكم بها اختيارا ، أوأجبر عليها إكراها و إيثارا فليتلق وظائفها بسعة صدره ، و ليبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ،فالولايات فتنة و محنة ، و أسر و إحنة ، و هي بين أخطاء سعادة ، و إخلال يعاده ، و توقع عزل ، و إدالة رخاء بأزل ، و بيع جد من الدنيا بهزل و مزلة قدم ، و استتباع ندم ، و مآل العمر كله فوت و معاد ، و اقتراب من الله و ابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير و التنبية ، و ممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه ، هذه اسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها ، و تجارتي التي اربحكم أدرتها فتلقوها بالقبول لنصحها ، و الاهتداء بضوء صبحها ، و بقدر ما أمضيتم من فروعها ، و استغشيتم من دروعها ، اقتنيتم من المناقب الفاخرة و حصلتم على سعادة الدنيا و الآخرة ..."

المقري ، **أزهار الرياض** ، ج 1 ، ص 320 و ما بعدها بعدة صفحات .

قائمة المصادر و المراجع

قائمـة المصـادر و المراجـع

– القـرآن الكـــريم برواية ورش

. الأحاديث النبوية :

. الترمذي أبي عيسى مُحَّد بن عيسى (ت 276 هـ/ 889 م) :

. **الجامع الكبير** ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1996.

. المخطوطات :

(01) **. ابن غانم إبراهيم بن أحمد " المعجام . الرياش ":**

. **العز و الرفعة و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب و المدافع ،** مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع تحت رقم 1511 .

(02)**. ابن القاسم الحجري (ت ما بعد 1048 هـ/ 1638م) :**

. **مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى و المسلمين** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، الجزائر ، ضمن مجموع تحت رقم 1557 .

. المصـادر:

(03) **. الأزهري ، مُحَّد ظافر :**

. **اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة** ، جمعية العروة الوثقى ، ب.مكا ، 1905.

(04) **. الإدريسي الشريف (ت 560 هـ/ 1166 م) :**

. **نزهة المشتاق في اختراق الافاق** ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ب. ت.ط.

(05) **. ابن الآبار أبي عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658 هـ/ 1260م) :**

. **الحلة السيراء** ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1985 .

(06) . **إعتاب الكتاب** ، تحقيق صالح الأشتر ، المطبعة الهاشمية ، ب . مكا ، 1961.

(07) **. ابن أبي زرع علي الفاسي (ت 726 هـ/ 1326 م) :**

. **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، صور للطباعة والوراقة ، الرباط ، المغرب ، 1972 .

(08) **. ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل (ت 807 هـ / 1404 م) :**

. نثير الجمان في شعر من نظمني و إياه الزمان ، تحقيق مُحَّد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1987 .

(09) . **روضة النسرين في دولة بني مرين** ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1962 .

(10) . **تاريخ الدولة الزيانية** ، تحقيق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، 2001 .

(11) . **ابن بطوطة ، مُحَّد بن عبد الله مُحَّد اللواتي (ت 779 هـ/ 1377 م) :**

. **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** ، تحقيق مُحَّد عبد المنعم العريان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، 1987 .

(12) . **ابن جابر شمس الدين الوادي آشي (ت 749 هـ/ 1348 م) :**

. **برنامج ابن جابر الوادي آشي** ، تحقيق مُحَّد الحبيب الهيلة ، منشورات كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، السعودية ، 1981 .

(13) . **ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ/ 1448 م) :**

. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ب.ت.ط .

(14) . **ابن حزم أبي مُحَّد علي أحمد بن سعيد (ت 456 هـ/ 1064 م) :**

. **المحلى بالأثر** ، تحقيق أحمد مُحَّد شاكر ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، مصر ، 1928.

(15) . **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تحقيق مُحَّد ابراهيم نصير ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ب.ت.ط .

(16) . **ابن حنبل أبي عبد الله حنبل بن إسحاق :**

. **ذكر محنة أحمد بن حنبل** ، تحقيق مُحَّد نغش ، ب.مكا ، ط 2 ، 1983 .

(17) . **ابن الخطيب لسان الدين (ت 776 هـ/ 1374م) :**

. **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات ، الجزائر ، 2009 .

(18) . **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ب. ت. ط .

(19) . **أوصاف الناس في التواريخ و الصلات** ، تحقيق مُحَّد كمال شبانة ، صندوق إحياء التراث الإسلامي ، ب.ت.ط .

(20) . **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر ، 1928.

(21) . **صفة مملكة غرناطة** ، المطبعة الدولية المسيحية ، مدريد ، إسبانيا ، 1860.

(22) . **خطرة الطيف** ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ب.ت.ط .

(23) . **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** ، تحقيق ليفي لروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1956 .

(24) **. ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808 هـ/ 1407 م) :**

. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2000 .

(25) . **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1979 .

(26) . **ابن خلدون أبي زكرياء يحي (ت 780 هـ/ 1378 م) :**

. **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تحقيق بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ب.ت.ط .

(27) . **ابن خليكان أبي العباس شمس الدين (ت 681 هـ/ 1282 م) :**

. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ب.ت.ط .

(28) . ابن خليل المالطي عبد الباسط (920 هـ / 1514 م) :

. **رحلة عبد الباسط الملطي إلى المغرب و الأندلس من كتاب " الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم "** ، تحقيق روبرت برونشفيك ، لاروس للنشر ، باريس ، فرنسا ، 1936.

(29) . ابن رشد أبو الوليد (ت **595 هـ/ 1198** م) :

. **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة** ، تحقيق محمد عمارة ، دار المعارف ، ط 3 ، ب . مكا ، ب. ت.ط .

(30) . **تهافت التهافت** ، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس ، مكتبة ابن سينا للنشر و التوزيع القاهرة ، مصر ، 2011 .

(31) **. ابن رشيد الفهري السبتي أبي عبيد الله محمد (ت 721 هـ/ 1321 م) :**

. **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة و الجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة** ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1982 .

(32) . **ابن زكري أبي العباس أحمد التلمساني المالكي (ت 900 هـ/ 1494 م) :**

. **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام** ، تحقيق محند أو إيدير مشنان ، دار ابن حزم ، الجزائر ، 2005 .

(33) **. ابن عاصم أبي يحي محمد الغرناطي (ت 857 هـ/ 1453 م) :**

. **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى** ، تحقيق صلاح الجرار ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1989 .

(34) . **ابن عماد شهاب الدين أبي الفلاح (ت 1089 هـ/ 1678م) :**

. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

(35) . **ابن فرحون المالكي (ت 799 هـ/ 1396 م) :**

. **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

(36) **. ابن غازي أبو العباس العثماني المكناسي (910 هـ/ 1504م) :**

. فهرس بن غازي ، تحقيق محمد الزاهي ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1979 .

(37) . **ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت 1025هـ / 1615م) :**

. **درة الحجال في أسماء الرجال** ، تحقيق مُحَّد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ،1971 .

(38) . **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، المغرب ، 1973 .

(39) . **ابن القنفذ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت 810 هـ/ 1407م) :**

. **كتاب الوفيات** ، تحقيق عادل نويهض ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ب.ت.ط.

(40) . **ابن لب الغرناطي أبي سعيد (ت 782 هـ/ 1380م) :**

. **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد** ، تحقيق حسين مختاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 .

(41) . **ابن مرزوق مُحَّد التلمساني (ت 781 هـ/ 1379 م) :**

. **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن** ، تحقيق ماريا خسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

(42) . **ابن مريم أبي عبد الله مُحَّد المليتي المديوني التلمساني (ت 1020 هـ/ 1611 م) :**

. **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، المطبعة الثعالبية الدولية ، الجزائر ، 1908 .

(43) . **ابن منظور الافريقي (ت 711 هـ/ 1311م) :**

. **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ب. ت . ط .

(44) . **بربروس خير الدين (ت 953 هـ/ 1546 م) :**

. **مذكرات خير الدين** ، تحقيق مُحَّد دراج ، شركة الأصالة ، الجزائر ، 2010 .

(45) . **البغدادي إسماعيل باشا (ت 1339 هـ/ 1920 م) :**

. **هدية العارفين** ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1955 .

(46) . **التنبكتي أحمد بابا (ت 963 هـ/ 1036م) :**

. **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط 2 ، 2000 .

. **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** ، تحقيق مُحَّد مطيع ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، 2000 .

(47) . **التميمي أبو العرب مُحَّد بن أحمد بن تميم (ت 333 هـ/ 944 م) :**

. **المـــحن** ، تحقيق يحي وهيب الجبوري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2006 .

(48) . **التنسي مُحَّد بن عبد الله (ت 899 هـ/ 1494 م) :**

. **نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان** ، تحقيق محمود بوعياد ، صدر عن وزارة الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، 2007 .

(49) . **الحموي أبي عبيد ياقوت (ت 622 هـ/ 1225 م)** :

. **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1977 .

(50) . **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** ، تحقيق . إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1993 .

(51) . **الحميري عبد المنعم (ت 900 هـ/ 1494 م)** :

. **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، 1975 .

(52) . **الدباغ أبو زيد (ت 696 هـ/ 1296م)** :

. **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان** ، تحقيق إبرهيم شبوح ، مكتبة خانجي ، القاهرة ، مصر ، 1968 .

(53) . **الذهبي شمس الدين (ت 748 هـ/ 1347 م)** :

. **سير أعلام النبلاء** ، مُحَّد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، مصر ، 2003.

(54) . **الرازي فخر الدين (ت 606 هـ/ 1209 م)** :

. **خلق القرآن** ، تحقيق أحمد حجازي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1992 .

(55) . **الرعيني مُحَّد بن أبي القاسم (ت 1102 هـ / 1690م)** :

. **المؤنس في اخبار إفريقية و تونس** ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1869 .

(56) . **السخاوي شمس الدين مُحَّد بن عبد الرحمن (ت 903 هـ/ 1497م) :**

. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1992 .

(57) . **السلاوي أحمد بن خالد (ت 1315 هـ/ 1897 م) :**

. **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق جعفر الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1954 .

(58) . **السلمي عز الدين عبد العزيز عبد السلام :**

. **الفتن و البلايا و المحن و الرزايا أو فوائد البلوى و المحن** ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ب.ت ط .

(59) **. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ/ 1505 م) :**

. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة** ، تحقيق مُحَّد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ، مصر ، 1964 .

(60) **. الشاطبي أبي اسحاق (ت 790 هـ/ 1388 م) :**

. **الاعتصام** ، تحقيق محمود بن جميل ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، 2010 .

(61) **. الشفشاوني مُحَّد بن عسكر الحسني (ت 986 هـ/ 1578م) :**

. **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ، تحقيق مُحَّد حجي ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، المغرب ، ط 2 ، 1977 .

(62) . **الشهرستاني أبي الفتح (ت 548 هـ/ 1153 م) :**

. **الملل والنحل** ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، 2005 .

(63) . **الصريحي مُحَّد بن يوسف (ت 797 هـ/ 1394 م) :**

. **ديوان ابن زمرك** ، تحقيق مُحَّد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1997.

(64) . **العبدري مُحَّد بن يوسف بن أبي القاسم (ت 897 هـ/ 1491 م) :**

. **سنن المهتدين** ، تحقيق مُحَّد بن سيدي مُحَّد بن حيمن ، مؤسسة الشيخ مربية ربة لإحياء التراث و التبادل الثقافي ، سلا ، المغرب ، 2002 .

(65) . **عياض القاضي (ت 544 هـ/ 1149م) :**

. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك** ، تحقيق مُحَّد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998 .

(66) . **الغبريني البجائي أبو العباس أحمد (704 هـ/ 1304 م):**

. **عنوان الدراية** ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان، ب .ت.ط .

(67) **. الفيروز آبادي مجد الدين مُحَّد بن يعقوب :**

. **القاموس المحيط** ، تحقيق مُحَّد نعيم العرق سوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 8 ، 2005 .

(68) **. القلصادي أبي الحسن علي (ت 891 هـ/ 1486 م) :**

. **رحلة القلصادي** ، تحقيق مُحَّد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ب.ت.ط .

(69) **. الكتاني عبد الحي عبد الكبير :**

. **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ط 2 ، 1982 .

(70) **. الكتاني مُحَّد بن جعفر بن إدريس :**

. **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس** ، تحقيق مُحَّد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، ب.مكا ، ب.ت.ط

(71) **. المالكي أبو بكر عبد الله بن مُحَّد (ت بعد 449 هـ/ 1057 م) :**

. **رياض النفوس** ، تحقيق بشير بكوش ومُحَّد العروسي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1994 .

(72) **. المحامي مُحَّد فريد بك :**

. **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، تحقيق إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1981.

(73) **. مخلوف مُحَّد بن مُحَّد بن عامر قاسم (ت 1360 هـ/ 1940 م) :**

. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تحقيق عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

(74) **. المجاري ابي عبد الله مُحَّد الأندلسي (ت 856 هـ/ 1452م) :**

. برنامج المجاري ، تحقيق مُحَّد بن الأجفان ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982.

(75) **. مؤلف مجهول :**

. نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق ألفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، 2002 .

(76) **. المراكشي عبد الواحد (ت 647 هـ/ 1249 م) :**

. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق مُحَّد سعيد العريان ، لجنة احياء التراث الإسلامي ، ب .مكا ، ب.ت.ط .

(77) **. المغراوي أحمد بن أبي جمعة (ت 917 هـ/ 1533م) :**

. جامع جوامع الاختصار و التبيان ، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ب .ت.ط .

(78) **. المقري أحمد بن مُحَّد التلمساني (ت 1041 هـ/ 1631 م) :**

. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1968 .

(79) . **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، تحقيق ابراهيم الإبياري و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ، القاهرة ، 1932 .

(80) . **المواق محمد (ت 897 هـ/ 1492م) :**

. **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية** ، تحقيق محمد حسن ، المدار الإسلامي ، تونس ، 2007 .

(81) . **النباهي أبو الحسن (ت بعد 793 هـ/ 1390م) :**

. **قضاة الأندلس** ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

(82) . **الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد (ت 914 هـ/ 1508م) :**

. **وفيات الونشريسي** ، تحقيق محمد بن يوسف القاضي ، شركة نوابغ الفكر ، ب. مكا ، ب.ت.ط .

(83) . **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر** ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، مصر ، 1996.

. **المراجع العربية :**

(84) . **البيلي محمد بركات :**

. **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 1993.

(85) . **التميمي عبد الجليل :**

. **تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس و المواقف الاسبانية و العربية والإسلامية منها** ، منشورات مركز الدراسات و الترجمة الموريسكية ، تونس ، 2011 .

(86) . **الجابري مُحَّد عابد :**

. **المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ب . مكا ، 1995 .

(87) . **جدعان فهمي :**

. **المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الاسلام** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 2014 .

(88) . **الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حماد :**

. **تاج اللغة و صحاح العربية** ، تحقيق مُحَّد مُحَّد تامر و آخرون ، دار الحديث للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2009 .

(89) . **حتاملة مُحَّد عبده :**

. **الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة** ، مطابع الدستور التجارية ، عمان ، الأردن ، 2000 .

(90) . **الحجاجي حمدان :**

. **حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء** ، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، 2007 .

(91) **. الذنون عبد الحكيم :**

. **آفاق غرناطة** ، دار المعرفة ، دمشق ، سوريا ، 1988 .

(92) **الزركلي خير الدين :**

الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 15 ، 2002 .

(93) **. زينل نهاد عباس :**

. **الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب.ت.ط .

(94) . **شكري يوسف :**

. غرناطة في ظل بني الأحمر ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1993 ،

(95) **. الصغير عبد المجيد :**

. الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الاسلام ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، ب . مكا ، 1994 .

(96) **. الفوزان عبد الله بن فوزان بن صالح :**

ـ **المحنة و أثرها في منهج الإمام أحمد النقدي** ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية ، 2009 .

(97) **. عبد الكريم جمال :**

. **الموريسكيون تاريخهم وأدبهم** ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، مصر ، ب.ت.ط .

(98) **. عبد المجيد حامد :**

. المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، تحقيق عبد المجيد و آخرون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط 3 ، 2000 .

(99) **. عنان مُحَمَّد عبد الله :**

. دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 4 ، 1997 .

(100) **. الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1997.

(101) **. مسعد سامية مصطفى مُحَمَّد :**

. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

(102) **. النعنعي عبد المجيد :**

. تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ب . ت . ط

(103) **. يحياوي جمال :**

. سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1492 . 1610 ، دار هومة ، الجزائر ، 2004 .

. المراجع الأجنبية :

(104) . **Rachel Arié** :

historia y cultura de la granada nazari, Granada, 2004

(105) . **a perçus sur le royoume de grenade**, casa . éditrice armena, universita de veniza , Veniza , 1986

. المراجع المعربة :

(106) **. أشباخ يوسف** :

. **تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين** ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 3 ، 1996.

(107) **. أورتيث أنطونيو دومينغيث** :

. **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية** ، ترجمة محمد بنياية ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ب.ت.ط .

(108) **. إي غفيريا خوسي مونيوث** :

. **تاريخ ثورة الموريسكيين** ، ترجمة عبد العزيز السعود ، منشورات ليتوغراف ، ب . مكا ، 2010 .

(109) **. ايرفينغ واشنطن** :

(110) . **سقوط غرناطة** ، ترجمة هاني يحي نصري ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، 2000.

. الحمراء ، ترجمة هاني يحي نصري ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، 1996 .

(111) **. بروديل فرنان** :

. **المتوسط و العالم المتوسطي** ، ترجمة مروان أبي سمرا ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

(112) **. بروفنسال ليفي** :

. **الحضارة العربية في اسبانيا** ، ترجمة طاهر أحمد المكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، 1994 .

(113) **. ستانلي لين بول** :

. قصة العرب في إسبانيا ، ترجمة علي الجارم بك ، كلمات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ب. ت ط.

(114) **. شاك فون** :

. **الفن العربي في إسبانيا وصقلية** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1985.

(115) **. كنده خوسيه أنطونيو** :

. **تاريخ حكم العرب في إسبانيا** ، ترجمة لارا نيكولا قاليه ، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2014 .

(116) **. كولان ج . س** :

. **الأندلس** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1980 .

(117) . **لوبون غوستاف :**

. **حضارة العرب** ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 .

(118) . **منتغمري وات :**

. **في تاريخ إسبانيا الاسلامية** ، ترجمة مُحَّد رضا المصري ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1998 .

(119) . **هونكة زيغريد :**

. **شمس العرب تسطع على الغرب** ، ترجمة فاروق بيضون و آخرون ، دار الجيل ، بيروت، لبنان ، ط 8 ، 1993 .

(120) . **قرانيت خوان :**

. **فضل الأندلس على ثقافة الغرب** ، ترجمة نها رضا ، إشبيلية للدرسات و النشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، 1997.

. رسائل الماجيستر و الدكتوراه :

(121) . **الأنس رجب نصر موسى :**

. سنة الابتلاء في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين ،2007 .

(122) . **بلعربي خالد :**

. **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني** ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2009 .

(123) **. بوحسون عبد القادر :**

. **الأندلس في عهد بني الأحمر (رسالة دكتوراه)**، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2013 .

(124) **. حيمي عبد الحفيظ :**

. **نظام الشرطة في الغرب الإسلامي 2 . 6 هـ / 8 . 12 م (رسالة دكتوراه)** جامعة وهران ، الجزائر ، 2015 .

(125) **. مزدور سمية :**

. **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط** ، مذكرة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، 2009 .

(126)**. كتاب حياة :**

. **آراء ابن جزي الأصولية** ، رسالة ماجيستير ، كلية أصول الدين ، الجزائر ، 2001 .

. رسائل الماجيستير و الدكتوراه باللغة الأجنبية :

(127) **Bènèdicte Vicente Beaufils** :.

L'expression de la culture de l'eau dans l' Alhambra : **poids de la r´ealit´e et pouvoir de l'imaginaire** , Thèse de Docteur . Universite de Rennes 2 , 2008 .

(128) **Antonio Peláez Rovira**:

Dinamismo social en el reino nazarí (**1454** . **1501**) : **de la Granada islamica a la Granada mudéjar** , Tesis doctoral , universidad de Granada .

. المقالات :

(129) **. البلداوي حميدة صالح :**

. جداريات شعرية في قصر الحمراء ، مجلة كلية التربية للبنات ، المجلد 21 ، 2010.

(130) **. التويجري نورة بنت محمَّد بن عبد العزيز :**

. الصراع بين أبناء يوسف الأول و أثره في إضعاف مملكة غرناطة ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد 15 ، 1996 .

(131) **. جاهين كامل محمَّد :**

صور من محن المحدثين ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية بنات ، مجلد 9 ، العدد 2. 2017 .

(132) **. السابر محمَّد عويد :**

. ابن هذيل التجيبي الغرناطي (ت 753 هـ / 1352 م) حياته و ما تبقى من شعره جمع و صنعة ودراسة ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، العدد 7 ، ج 19 ، 2012 .

(133) **. السبهاني مُحَّد عبيد :**

. أدب ابن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ/ 1453م) ، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ، العدد 3 ، 2010 .

(134) **صبيح صادق :**

مجلة الخزانة ، مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية ، كربلاء ، العراق ، العدد 01 ، 2017 .

(135) **. عباس فائزة حمزة :**

. **المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية** ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، مجلد 12 ، العدد 1 ، 2012 .

(136) **. العزايزة سعد مُحَّد :**

. شعر النقوش عند ابن زمرك الأندلسي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد 13 ، العدد 02 ، 2005 .

(137) **. شلبي عمر راجح :**

. **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري** ، مجلة الجامعة الإسلامية ، مجلد 16 ، العدد 02 ، 2008 .

. المقالات باللغة الأجنبية :

(138) . **Fernando rodrı´guez mediano** :

The post-Almohad dynasties in al-Andalus and the Maghrib (seventh ninth/thirteenth fifteenth centuries) , The New Cambridge History of Islam , 2011

. الموسوعات :

(139). **The Encyclopaedia of Islam** , L eiden E . J . Brill , 1991 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الملخص باللغة العربية :

نحاول من خلال هذه الدراسة تناول موضوع محن علماء أندلسيين في القرنيين 8 . 9 هـ / 14 . 15 م أثناء فترة حكم أمراء بني الأحمر بمملكة غرناطة (635 . 897 هـ / 1237 . 1492م)

تطرقنا خلالها لتعريف المحنة و أنواعها ، ومنها الابتلاء فتناولنا محن أصابت بعض العلماء كالأمراض و العاهات البدنية و الذهنية و فقدان الأهل و الأولاد و انتشار جائحة الطاعون و ما خلفته من ضحايا في صفوف العلماء ، كما حاولنا رصد محن أخرى أصابت جمعا منهم على يد الأمراء وذوي السلطان لأسباب مختلفة كالتنكيل والسجن و القتل بأبشع الطرق و الصور .

و تناولنا أيضا محنة سقوط غرناطة في يد الإسبان ، تطرقنا خلالها إلى أسباب السقوط و دور العلماء في الذود عنها ، و ما خلفته المحنة من نتائج أدت إلى هجرة الكثير منهم نحو المدن و الحواضر المغربية والمشرقية ، ومحن علماء آخرين تعذر عليهم الرحيل فتجرعوا ويلات التغريب والمسخ وإجراءات محاكم التفتيش الإسبانية .

الكلمات المفتاحية : محنة . علماء . الأندلس . غرناطة . بنو الأحمر .

الملخص باللغة الانجليزية :

The tribulations of Andalusian scholars in the (9.8 th A.H 14 15th A.D)

Abstract :

Through this study, we try to discuss the issue of tribulation of Andalusian scholars during the rule of Bani al-Ahmar princes in Granada kingdom.

During which, we discussed the definition of tribulation and its types. This one afflicted some of scholars such as diseases, physical and mental impairments , loss of their families and the spread of the plague pandemic which had left many victims among the scientists.

In addition, we tried to focus on other tribulations afflicted a group of scholars by princes and Kings because of many reasons such as abuse, jail and killing with hard ugliest ways.

We also discussed the collapse of Granada by Spanish army, the causes of that and its effects on the migration of majority of them to the cities , Maghreb and eastern civilisations .besides, the tribulations that prevented scholars from migration , so that they were suffering from Spanish court procedures .

Keywords: Tribulation – Bano al Ahmar – Granada - Andalus – Scholars